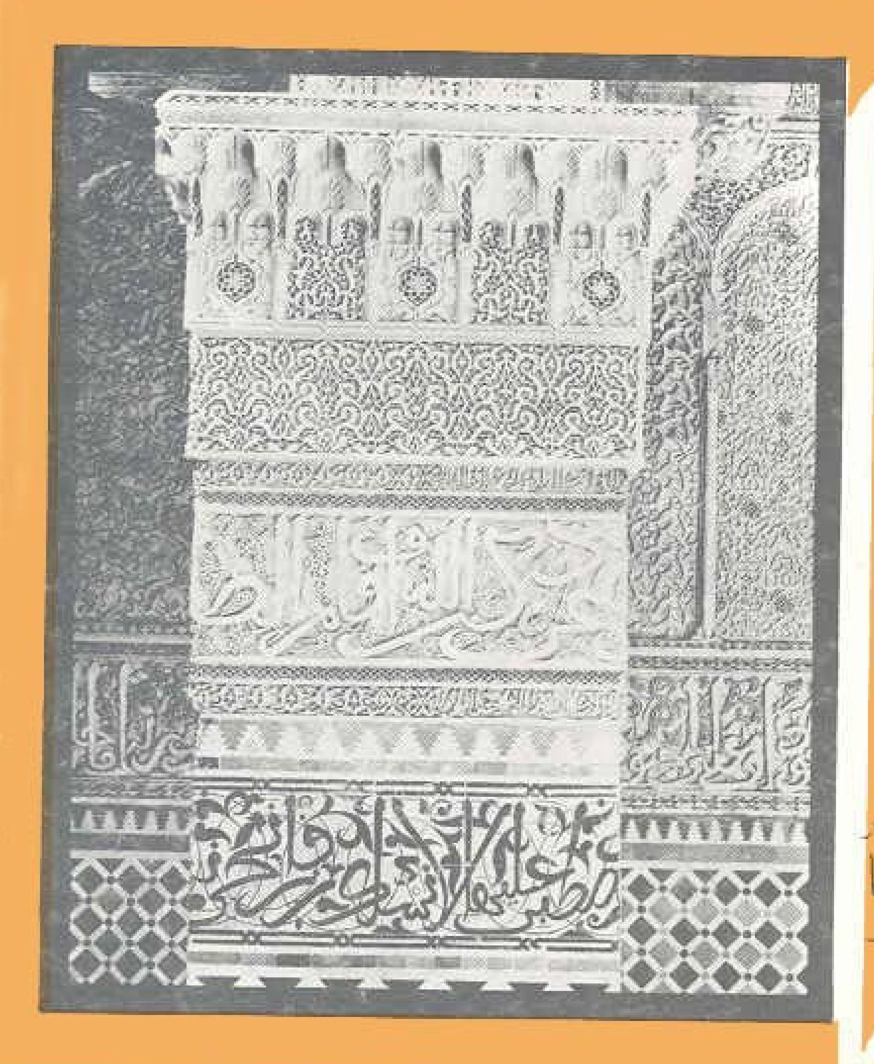
# دعوة الحق

العمود الفكري لمسؤولية الإسلامية

شهرية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مديرية الشؤون الإسلامية

تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر .



## الرد القرآني
على كتاب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

## نحن والمال
وحق الله فيه

## الايديولوجية السلفية
- 2 -

## دراسة تحليلية لشعر مفدى زكريا

العدد الأول ، السنة الثامنة عشرة * صفر 1397 - يناير 1977 * ثمن العدد : 3 دراهم

تصدرها وزارة
الأوقاف والشؤون
الاسلامية

مديرية
الشؤون الاسلامية

# دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الأول
السنة الثامنة عشرة
صفر 1397
يناير 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

## بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالى :

مجلة « **دعوة الحق** » ـــ مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 ـــ الرباط ـــ المغرب
الهاتف : 85،235 ـــ 30،338

الاشتراك العادى عن سنة 30 درهما ، والشرفى 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

---

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدى 55 - 485
الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55
à Rabat

أو تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان اعلاه :

---

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادى والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

---

**لا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر**

الافتتاحية :



دراسات اسلامية :



دراسات مغربية :



أبحاث ودراسات :



مكتبة دعوة الحق :



ديوان المجلة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

# الصمود الفكري.. مسؤولية إسلامية

الخروج من حالة التخلف بمظاهرها ووجوهها وأشكالها المتعددة ، وفك الحصار الاستعماري الرهيب ، والتحرر الكامل من رواسبه ومخلفاته، يتطلب جهادا مستمرا ، ويستوجب تعبئة عامة ، ويفرض استعدادا نفسيا وطاقة عالية لمواجهة الاعباء ، ومقاومة المضاعفات ، والتصدي للمؤامرات، وتحصين المكتسبات والدفاع عنها .

وليس من شك فى أن الاستعمار العالمي بأقنعته المتنوعة ، يقف بالمرصاد اليوم للشعوب الاسلامية ، ويتربص بها الدوائر ، ويحبك لها من الدسائس ما يجعلها دائما فى حالة الدفاع عن النفس ، ويشغلها بمعارك طارئة الغاية منها تبديد طاقتها وصرفها عن تنمية اقتصادها ، والرفع من مستواها الاجتماعي ، وبناء كيانها الجديد على نحو يحفظ لها ماء وجهها ويصون كرامتها ، ويدعم مركزها ، ويكسبها القوة والمناعة والوجاهة .

وفى عصر الوفاق الدولي والتقارب بين الانظمة المتصارعة ، يلاحظ التسابق الشديد نحو اعادة اكتساح الوطن الاسلامي وغزو الانسان المسلم بالفكر والثقافة والادب والصحافة والاعلام والسينما والمسرح ومختلف فنون القول والتعبير والابداع ، مما تسبب فى بلبلة فكرية وحيرة عقائدية واضطراب نفسي وقلق عقلي ، واوجد حالات ضياع شاذة على المستويين السياسي والايديولوجي انعكست آثارها بكيفية ملموسة على الواقع العربي الاسلامي سواء من حيث التفكير والتدبير والتخطيط ومعالجة القضايا المصيرية المطروحة أو من حيث العجز عن مواكبة متطلبات العصر ومجاراة أسلوبه المتطور باستمرار

واذا كانت شعوب العالم الثالث عموما تعيش هذه الاوضاع المفروضة بإرادة الاستعمار الحقود فان الشعوب الاسلامية على الخصوص أكثر تعرضا

لمضاعفات وأخطار هذا التردي السحيق ، وقسطها من الكيد والحقـد والتآمر أوفر وأوفى ، ولذلك كانت أزمتها اشد وطئـا واكثر تعقيدا ، ومعاناتها اقوى وأقسى وأبلغ تأثيرا ، يؤكد هذا أن أكثر المناطق فى العالم قابلية للانفجار بين الحين والآخر هي التي يسكنها عرب ومسلمون ، وأن اخطر المشاكل العالمية التي تهدد السلام الدولي تتركـز فى العالـم العربي والاسلامي . الى جانب هذه الصورة القائمـة نجـد الثروات الطبيعيـة الهائلـة والطـاقـات البشريـة الضـخـمـة والاستعدادات الفنية فى شتى حقول التنمية ومجالات التطور . ويكفـي أن أكثر من نصف أعضاء منظمة « أوبيك » دول اسلاميـة .

● فما هي أسباب هذا التناقض اذن ؟ . ولماذا هذا التركيز الشديد على الوطن الاسلامي والانسان المسلم ؟ أليس فى الامر مـا يحمل على التفكير ويدعو الى تحليل وضعية المسلمين الراهنة انطلاقا من دراسة مخططات الاستعمار والصهيونية والصليبية والالحاد ؟ .

فى نهاية المطاف لهذا التحليل لا يسعنا الا ان نقف طويلا عند الدور التخريبي المفزع الذي يمارسه الغزو الفكري ، ومن الحقائق المروعة ان الغزو الفكري يستهدف اقتلاع الاسلام من جذوره ، وان المعركة ممتدة على طول الساحة العربية والاسلامية ، وان هناك تخطيطا محكما لا يستثني فى تصوره العام بلادا عربية اسلامية دون أخرى ، وأن طرق المحق والمحو والتخريب والتدمير تتغير وتتطور حسب الظروف والمناخ واستعدادات المقاومة فى كل قطر عربي على حدة .

● فما هو موقف الفكر والثقافة والاعلام العربي الاسلامي من هذه الغارة التتارية الجديدة ؟ .

هذا السؤال يبلور ـ بالتحديد ـ رسالة ووظيفة هذه المجلة التـي حملت لواء الصمود الفكري وجمعت حولها نخبة طيبة وصفوة مختارة من علماء الامة ومفكريها وكتابها وأدبائها وشعرائها والذائدين عن القيم الثقافية والفكرية الرفيعـة .

ولكن السؤال ـ مع ذلك ـ يظل مطروحا ، لان القضيـة بحجمهـا ومستواها وما يكتنفها من ملابسات أبعد مدى وأوسع نطاقا .

وهذا هو الدور الحضاري والعقائدي الذي ينهض بـه المغرب فى مرحلته التاريخية الراهنة على نحو يصح أن يكون نموذجا يحتـذى سواء على الصعيد السياسي بما فى ذلك التنظيم الداخلي للدولة من توفيـر الحريات العامة وتكافؤ الفرص أمام جميع المواطنين وبناء صرح الاقتصاد الوطني والتوازن المنضبط فى ربط العلاقات مع دول الشرق والغرب أو على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافيـة . وفى جميع الحالات يعطي المغرب المثل فى التحرر والاستقـلال والنضـج الفكري والرشد السياسي والاعتزاز بالاصالة والمقدسات .

وهذه القدرة على الانفلات من قبضة التبعية والانحياز الى جانب الحق والعدل والمشروعية واقامة كيان حر مستقل غير منتم لأي كتلة من الكتل المتطاحنة المتربصة ببعضها البعض ، كل ذلك يعكس ايجابية الصمود الفكري القائم على أساس الايمان والوعي ويعبر عن الانتماء المغربي المطلق للاسلام والعروبة .

وهذا التوازن والاعتدال والنظرة الموضوعية والمعالجة العقلانية لمعطيات مرحلة الاقلاع الاقتصادي علامات صحة وعافية ودلائل فوز ونجاح تؤكد جميعها أن المعركة التي يخوضها المغرب هي حقا من صميم المعارك الفكرية والثقافية والحضارية التي يخوضها العالم العربي والاسلامي .

وهكذا نجد انفسنا ازاء الفكر والثقافة مهما تشعب بنا الحديث واختلفت طرائقه .

وتلك هي معركتنا اليوم . الفكر بالفكر ، والحجة بالحجة ، والمنطق بالمنطق ، وجميعها أدوات عقلانية تفرض نفسها فرضا على الصراع المحتدم في عالم اليوم .

والاعتصام بالاسلام يكسبنا طاقات هائلة للصمود الفكري الذي لا يمكن بأية حال من الاحوال استمداده من عقيدة او ايديولوجية أو مذهب أو فكرة بديلة .

وقد وفق الله مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني الى تلخيص طبيعة الصراع الرهيب في دنيا الاسلام والمسلمين بقوله :

« ان المسيرة طويلة ، والعمل الذي ينتظرنا جد شاق ، ومهمة ملك البلاد ليست هينة كما أن مسؤولية العلماء غير صغيرة ، فمعاول أعداء الاسلام ترتفع لتقويضه في كل جهة ، وصيحات خصومه تتعالى لتقليص ظله من كل جانب ، وشبهات الحاقدين عليه الناقمين منه تثار حوله بمناسبة وبغير مناسبة ؛ تثيرها كتب ملغومة وأقلام مدسوسة وصحافة مأجورة ووسائل اعلام مدخولة مريبة وسائر وسائل الاغراء ومرافق الاغواء فوجب أن نستشعر الحذر ونأخذ بالحيطة والحزم ونعمل على مقارعة الشبهة بالحجة ودحض الباطل بالحق ، ودمغ الغواية بالرشاد ، متسلحين لاصابة الهدف وبلوغ المرام بنفس الاسلحة العصرية التي يشهرها في وجه ديننا ولغتنا الخصوم ويصلتها الاعداء .. »

أبعد هذا التحديد الموضوعي لمخططات الاستعمار وأعداء الحق والانسان يبقى مجال للشك ؟ .

لقد اعتدنا أن نقرأ مثل هذه الافكار في كتب ومقالات الكتاب والادباء والصحفيين والباحثين المتخصصين ، أما أن تصدر عن قائد ورائد عربي اسلامي استوعب ثقافة الغرب وخبر أساليب السياسة وعرف الطيب من

الخبيث ، فهذه مسألة تحرك الوجدان وتثير العقل وتزيدنا ايمانا ووعيـا وادراكا لحقائق العصر .

ونعود فنكرر أن هذه رسالة المجلة . وما كانت « دعوة الحق » الا صادعة بحقائق الاسلام ، جاهرة بقيم ثقافته ، داحضة للشبهات ، رائدة للحركة الفكرية والادبية ، وملتقى للفكر العربي الاسلامـــي من مشرقــه الى مغربــه .

وهي مسؤولية مشتركة بين المجلة وكتابها الذين واكبوها بانتاجهم وتعهدوها باهتمامهم وأمدوها برحيق الحياة وعصارة الفكر طيلة ثمانيــة عشر عاما . وهو عمر قليل من المجلات العربية والاسلامية ما تبلغه .

فلتتكاثف الجهود على بركة الله . وليمد السادة الكرام كتاب المجلة أيديهم الينا ، لنمض معا على درب الكلمة النظيفة الطيبة الى ما يرضي الله ورسوله والمؤمنيــن .

دعوة الحق



# دراسات إسلامية

- الرد القرآني على كتيب :
  هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

---

- نحن والحال وجود الله فيه

---

- الايديولوجية السلفية

---



## مسابقة أدبيـــة بمناسبة عيد المولد النبوى الشريـــف

● تنفيذا لتعليمات رائد البعث الاسلامي ، ومجـــدد امجادنـــا التاريخية مولانا امير المؤمنين ، جلالة الملك الحسن الثانـــي نصره الله وتخليدا لذكرى مولد رسول الاسلام الاكرم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تنظم وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مباراة ادبية لانتخـــاب أروع انتاج شعري او قصصي ، تجود به قرائح الشعراء والكتاب بهـــذه المناسبـــة الخالـــدة .

وقد رصدت الوزارة لهذه الغاية ثلاث جوائز نقدية ، تقديرا للقصائد او القصص الفائزة .

الجائزة الاولى : قيمتها ثلاث آلاف درهم

الجائزة الثانية : قيمتها الفا درهم

الجائزة الثالثة : قيمتها الف وخمسمائة درهم .

وستجتمع لجنة برئاسة الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشـــؤون الاسلامية لفحص وتقييم ما ستتوصل بل الوزارة من انتاج في هذا الموضوع

وسيتولى معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية تسليم الجوائز للفائزين في حفل تكريمي ، سيقام بهذه المناسبة ان شاء الله .

وتلفت الوزارة انظار المشاركين الكرام الى مراعاة الاجراءات التالية:

1 ) ان يقدموا انتاجهم في ثلاثة نظائر الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ( الكتابة العامة ) المشور السعيد ـ الرباط ـ وذلك قبـل 20 صفر 1397 ، مع اثبات اسمائهم وعناوينهم كاملة .

2 ) ان يتراوح حجم القصيدة ما بين 50 و 70 بيتا ، وحجـــم القصة ما بين خمس وسبع صفحات .

فعلى اولى القرائح الوقادة ان يهبوا لتمجيد هذه الذكـــرى ، وان يصوغوا من لآلىء القول ، وجواهر اللفظ قلائد وعقودا يطوقون بها جيدها المطر ، مستوحين من الرسالة النبوية ، ومن مواقف صاحبها الاكرم ، ومن صموده وثباته وثقته في نصر الله ، ومستلهمين من جلال هذا الحـــدث العظيم ، الذي كان نقطة تحول في تاريخ البشرية ، وتصحيحا في خـــط سيرها ، وما صاحبه واعقبه من فتوحات سياسية وفكرية وحضاريـــة خالدة ما يذكي جذوة ايمانهم ويرقي بادبهم الى مستوى الاجادة والابداع.

حفظ الله مولانا امير المؤمنين ، وابقاه حصينا للوطن والديـــن ، وأعز به الاسلام والمسلمين واقر عينه بسمو ولي عهده الامير سيدي محمد، وصنوه الامير المولى الرشيد وبباقي افراد الاسرة المالكة الشريفة ، انه ولـــي التوفيـــق .

# الردّ القرآني

## على كتيب: "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟"

8

للأستاذ عبد الله كنون

### من هم المستفيدون من الصلوات :

اطلعنا فيما مضى على مهاترات هذا الكتاب فى المسائل الاساسية كحقيقة القرآن وموقفه من العمل وخلق العالم ، والسلم والصداقة بين الشعوب ، وقضية المرأة ، وما سطره فى هذه الفصول من ادعاءات باطلة ، وتقول على الاسلام وكتابه المبين ، وفضحنا ما فى كلامه من تزوير ودس ، وجهل بهذه الموضوعات فى أصلها ، بقطع النظر عن كلمة القرآن فيها ؟ فاما حين يتعرض لاقوال القرآن ، فانه لا يبين عن جهله فحسب ، ولكنه يعمد الى الكذب والبهتان مدفوعا بعامل التعصب المقيت والثقة العمياء فى ما لقنه اياه أساتذته الشيوعيون ، وشحنوا به فكره العاجز عن التامل واعمال النظر فيما يقرا او يسمع !

والآن ينتقل الى الكلام على امور اخرى من شعائر الدين كالصلاة وما اليها ، ليملى رايه الالحادى المتعنت ، متذرعا بذلك الى نقد القرآن والطعن فى الاسلام ، فلنستمع اليه حين يقول تحت العنوان السابق :

« الغاية من الصلوات التى ينظمها القرآن والشريعة الاسلامية لاتباعهما المومنين بهما هى الشعور بالخضوع المهين ، ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام واحيانا عدة ايام متوالية ، وبالاضافة الى الصلوات الخمس التى يؤدونها فى كل يوم كما فرضها القرآن فانهم يستعينون بالله فى كل مناسبة وفى كل الظروف ، قبل طلوع الشمس ، وقبل الاكل واثناءه ، وقبل غروب الشمس ، وعند غروبها واثناء الليل » .

ان شخصا ملحدا ، يعيش فى غمرة المادة ، ولا يعرف شيئا عن الحياة الروحية ، كهذا الكاتب ، لا يمكن أن يفهم معنى الصلاة او يدرك لها مغزى ، ولا يستطيع ان يتصور السمو الروحى الذى توحى به الصلاة لمن يمارسونها ، لان ما ران على احساسه من جساوة المادة ، يجعله بعيدا عن هذا الجو . وبما أنه يعيش حقيقة فى تبعية مطلقة وخضوع مهين ، لسيطرة الحزب الرهيبة ، وتسلط الحاكمين بامرهم ، فهو انما يصدر فى احكامه وآرائه ، عن تجاربه الشخصية ، وما عرفه فى حياته اليومية من اذلال وتسخير . وما مثله الا مثل ولد الوزير الذى نشا فى السجن مع ابيه ، فلم ير فى حياته الا الفار ، فكان كلما حدثه والده عن شىء مما هو خارج السجن ، الا قال له : اتراه مثل الفار ؟ .

ان الصلاة — يا هذا — ضمير حى لا ينشا الا عند المومنين بها ، يأمرهم وينهاهم فيكفهم عن الشر ويحضهم على الخير ، ويقوم رقيبا حسيبا عليهم ، فلا تصدر منهم زلة او هفوة الا واخذهم بها ، وبذلك تصفو نفوسهم ، وتطهر بواطنهم ، كما تتطهر ظواهرهم واجسامهم بشرطها الذى لا تصح الا به ، وهو الوضوء ، والاغتسال ان وجد موجبه . وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم بقوله ( ان الصلاة تنهى عن

الفحشاء والمنكر ) وخبراء الاحصاء يسجلون انخفاض نسبة الاجرام فى البلاد الاسلامية عنها فى البلاد الاوربية والامريكية ، برغم تقدم هذه فى العلم والحضارة ، ولا يعرفون أن السبب فى ذلك يرجع الى تدين المسلمين ، وبالخصوص الى هذا الوازع العتيد الذي هو الصلاة فليعرف ذلك من لم يكن يعرفه، ومن يجعل الحسنات سيئات .

والصلاة رياضة بدنية مفيدة جدا يزاولها المصلى من حيث لا يشعر ، فى اوقات متقاربة ، وحصة زمنية قصيرة ، فيقوم ويقعد ، ويركع ويسجد ، على اوضاع متناسقة متعادلة تكسبه خفة ونشاطا ، الى ما استفاده من تهذيب نفسه وتقويم خلقه ، ويقول العلامة الحكيم عبد اللطيف البغدادى المعروف بالموفق فى شرح الاربعين الطبية ، بعد أن ذكر ان الصلاة رياضة جسدية كما هى رياضة للنفس ما نصه : « وقد رايت جماعة من ارباب البطالة والترف محفوظى الصحة ، فبحثت عن سبب ذلك ، فالفيتهم كثيرى الصلاة والتهجد ، وذلك انها تشتمل على انتصاب القامة وركوع وسجود وتورك وغير ذلك من الاوضاع التى تتحرك معها اكثر المفاصل ، وتنعم فيها اكثر الاعضاء ، ولا سيما المعدة والامعاء وسائر آلات التنفس والغذاء ، عند الركوع والسجود » الى آخر ما قال فى منافعها الصحية ومعالجتها لعدد من الامراض البدنية (1) ، والصلاة فوق ذلك صلة بين الخالق والمخلوق ، يناجى الانسان فيها ربه ، فيقف بين يديه تملأ نفسه معانى القرب والاختصاص ، فينقطع ما بينه وبين العالم السفلى ولو للحظات ، ويسمو الى عالم الملكوت ، حيث يدرك تفاهة المادة وما اليها من هذه الحياة الفانية ، ويتعرف الى الحياة الروحية الخالدة التى لا تنتهى بالموت ، كما يعتقد الملحدون الماديون ؟ وهذا السمو الروحى هو ما اعوز الكثير من شباب الغرب الذى نشأ فى احضان المادية الملحدة فتنكر للدين والايمان بالغيب ، واقبل على تعاطى المخدرات مثل الماريخوانا ، يلتمس فى تخيلاتها العزاء عما فقده من لحظات الاشراق الروحى التى حرم منها لما ولى دبره للحياة الدينية واهم مظاهرها وهو الصلاة .

وعلى كل فالخضوع المهين ابعد شيء عن مفهوم الصلاة وحتى لو جعلنا الصلاة خضوعا فهو خضوع للعلى الاعلى يشرف صاحبه ولا يهينه كما يهينه الخضوع للبشر على ما هو الامر فى خضوع المؤلف لرؤسائه من القادة الحزبيين والحكام حسبما اشرنا اليه آنفا . ولنعمل مقارنة بسيطة بين الخضوعين لنرى ايهما المهين ، فلو صدر امر لهذا المتمرد على الله من مشغل او مفتش فاحرى زعيم ، هل يسعه عدم تنفيذه وأن جهل غايته ؟ . الجواب لا طبعا ، ونحن نجد الامر يصدر من الله الى الخلق مع بيان حكمته كالصلاة مثلا ، يقول فيه عز وجل ( واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) وكالصيام يقول فيه تعالى ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) وقد يأتى الامر تدريجيا على مراحل كما فى تحريم الخمر ، ومع ذلك فان الحسم فيه يكون بعبارة كلها نصح وارشاد واكاد اقول وملاطفة ( يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ؟ ) وهذا مع ايجاد المندوحة عند العذر وعدم الاستطاعة ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) وفى الحديث « اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم »! فاين المهانة والخضوع المشعر بها ؟ الجواب : فى الامر الاول قطعا ، فليخرس الخاضع المهين ! ..

ومن دلائل جهل الكاتب بما يتكلم فيه قوله : « ويقوم المسلمون بالصلوات كل يوم بانتظام ، واحيانا عدة ايام متوالية » فان كان يريد الصلوات الخمس المكتوبة فالجملة الاولى كافية فى الدلالة على المراد ، وان كان يريد صلوات اخرى فاننا لا نعرفها ولا نعرف اياما مخصوصة يقوم المسلمون فيها بصلوات متوالية غير الصلوات المطلوبة منهم .

ثم يقول : « وبالاضافة الى الصلوات الخمس التى يؤدونها فى كل يوم كما فرض القرآن ، فانهم يستعينون بالله فى كل مناسبة وفى كل الظروف قبل طلوع الشمس وقبل الاكل .. الخ » وليت شعرى اذا لم يستعن المؤمنون ، مسلمين وغيرهم ، بالله فبمن يستعينون ! اما اذا كان يريد للمسلمين ان يستعينوا بالاتحاد السوفياتى ، فقد فعلوا ذلك فى وقت من أوقات غفلتهم وفتنتهم ، فخذلهم فى اشد ما كانوا بحاجة اليه سنة 1967 ولما راجعوا ايمانهم وبصيرتهم

---

(1) انظر ( شرح الاربعين الطبية ) لعبد اللطيف البغدادى بتحقيقنا . نشر معهد المخطوطات بمصر

واستعانوا بالله سنة 1973 نصرهم وهزم عدوهم ، وهكذا تأكدوا ان الله وحده هو القوى المعين .

بعد هذا يذكر المؤلف صلاة الجنازة ، وصلاة السفر ، وصلاة المصيبة ، ويقول ان بعض الصلوات تدوم ساعتين او ثلاثا وكل ذلك فى سياق الانكسار والاستغراب من كثرة الصلوات عند المسلمين .

اما صلاة الجنازة فهى مما يوجد فى جميع الاديان ، وحتى الملاحدة لم يستطيعوا ان يلغوها فابدلوها بلحظات الصمت وموسيقى الحزن ، ومع ذلك فان صلاة الجنازة فى الاسلام بل الشعائر الجنائزية كلها هى من البساطة ومناسبة الحادث المؤلم الذى هو الموت ، بحيث كانت السبب فى اسلام احد المسيحيين (2) واما ما سماه بصلاة السفر وصلاة المصيبة فهى من تقولاته على الدين الحنيف التى ليس لها سند من كتاب او سنة ، واذا كان بعض المتدينين يتطوع بالصلاة قبل سفره ، او يفزع الى الصلاة عندما تنزل به مصيبة ، رجاء وجود بركة الصلاة فى السفر ، او تخفيف وقع المصيبة عليه بالاستغراق فى جو الصلاة فان ذلك مما يدل على انه مومن فاضل ولا يلومه على فعله هذا الا البطالون ! وزعم المؤلف ان بعض الصلوات تدوم ساعتين او ثلاثا هو من التشنيع الذى يريد ان يبث به كراهية الصلاة فى نفوس غير المومنين ، وليس فى الاسلام صلاة تدوم هذه المدة على سبيل اللزوم ، الا ان تكون صلاة الكسوف، وهى لا تقع الا مرة فى سنين عديدة ، ومع ذلك فهى غير لازمة . نعم ان المتطوع بالصلاة كالمتهجد ليلا ، اذا اراد ان يطيل صلاته فذلك على حسب نشاطه وما يجده فيها من المتعة الروحية وليس لنا ان نتحكم فى ارادة الناس الا اذا كنا شيوعيين نتدخل حتى فى الحريات الشخصية للاخرين ! وبالعكس مما يقول هذا الذى يهرف بما لا يعرف . فان المطلوب فى الصلاة الواجبة اذا كانت فى الجماعة ، هو التخفيف ما امكن للحديث الشريف الوارد فى ذلك ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « اذا ام احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والمريض وذا الحاجة ، فاذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » ولننظر الى قوله : « فليطول ما شاء » فانه تخيير له وليس الزاما والا لقال « فليطول » بدون زيادة ما شاء ! .

وما للمؤلف ينكر على المسلمين تطويل الصلاة فى بعض الاحيان ، ويغض الطرف عن الصفوف التى تمتد على مسافات بعيدة فى الكرملين لزيارة جثة لينين والتى تدوم عدة ساعات بل اليوم كله ، فى خشوع مصطنع ، اليست هذه صلاة اطول من صلاة المسلمين التى يعيبها بالطول ؟

ويزيد المؤلف قائلا على سبيل الاستنكار : « وحسب شريعة القرآن يجب على المؤمن ان يتوضأ قبل كل صلاة » وهذه فضيلة حقه ان يحمدها ، لو لم يكن يتكلم بروح الكراهية والحقد . فالوضوء طهارة ونظافة ، جعلها الاسلام من قبيل العبادة ، وبذلك كان المسلمون منذ اربعة عشر قرنا اكثر الامم عناية بنظافة اجسامهم وطهارة ابدانهم ، بل وثيابهم واماكنهم لان الصلاة لا تصح الا مع ذلك ، وقد جعلهم هذا الامر ينشؤون الحمامات والمغاسل الخاصة فى بيوتهم والعامة خارجها للنساء والرجال . وكانت بلاد المسلمين اكثر البلاد حمامات حتى ان من المدن ما كانت الحمامات فيها تعد بالمآت ، وبعضها كان مجانيا ، وهذا فى حين كانت بلاد اوربا لا تعرف هذا النوع من المنشآت الصحية والحضارية . بل كان الاغتسال والنظافة البدنية عند سكانها بدعا من الامر ، ناهيك بانهم فى اسبانيا بعد طرد العرب ، كانوا اذا علموا ان احد الافراد يغتسل ويعتنى بنظافة بدنه واطرافه يتهمونه بانه مسلم ما يزال على دين العرب الراحلين ويقدمونه للمحاكمة وربما قتل واحرق . ولهذا كان فقهاء الاندلس يمنعون دخول النصارى الى مساجد المسلمين — كما هو مذهب الامام مالك متبوعهم — فاذا كان هناك ما يحمل على دخول احد النصارى الى المسجد ، فانه يجب ان يدخل حسب فتواهم بحذائه قائلين : لان حذاءه انظف من رجله واقل وسخا ونتنا ! ولعل هذا الفقه ما يزال عاملا حتى فى مساجد الشرق التى يسمح فيها للمسيحيين بدخولها . لكن مع لبس الشبشب الذى يدخلون فيه احذيتهم ويعفون من نزعها كما ينزع المسلمون احذيتهم ونعالهم ! لهذا كان على المؤلف ان يخجل من الكلام على الوضوء والتزام المسلمين به عند الصلاة ، ثم انه كما فى كل كلامه قد ارتكب خطأ جديدا حين قال : ( ان الوضوء يجب قبل كل صلاة ) فالامر ليس كذلك : لانه اذا كان الوضوء لازما للصلاة فانه ليس بلازم قبل كل صلاة اذ قد يكون المسلم ما يزال على الوضوء ،

---

(2) انظر فصل ( هؤلاء اسلموا ) فى كتابنا على درب الاسلام .

وحينئذ فانه يصلى بوضوئه السابق . وهكذا فان اكثر المصلين يصلون بالوضوء الواحد عدة صلوات فاذا حدث ما يبطل وضوءهم فحينئذ فقط يجب تجديد الوضوء ! ..

ويتحدث المؤلف عن شعور المسلم أثناء الصلاة فيقول ( انه يفقد معنى الحياة الواقعية ويتخيل انه يحيى مع الله ويكون لنفسه مشهدا فاتنا عن الجنة كما يتمثل رؤى مهولة عن يوم الحساب . وهكذا يقضى المؤمن يومه فى الصلاة امتثالا للاية 56 من السورة 51 التى تقول : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) وهو فى هذه الجملة ينقض ما قاله فى اول كلامه من ان غاية الصلاة هى الشعور بالخضوع المهين . والتناقض فى كلام هذا المؤلف مما اكلنا عليه وشربنا ، ودلالته الواضحة هى أنه دخيل على الكتابة والتاليف وانه يقحم نفسه فيما لا يحسنه ولا معرفة له به ، ولولا اننا اردنا أن نرد عليه بكلامه لما نقلنا هذه الفقرة ، اذ ليس فيها ما يستحق النظر غير التوهم والرجم بالظنون مع تكرار ما سبق له قوله من ان المسلم لا عمل له الا الصلاة ، والاستدلال بالآية الكريمة على ما لم ترد فيه وقد بينا المراد بها عند العلماء ، فى فصل القرآن والعمل .

ولا يخلص المؤلف الى الجواب عن السؤال الذى طرحه فى عنوان هذا الفصل الا بالتكرار الممل لما قاله منذ البدء ، وهذا هو جوابه : « وتنتشر الصلوات على جميع مظاهر حياة المؤمن ، فيومه يبتدىء وينتهى بالصلاة ، واذا طغى الجفاف او اذا ظهر مرض او نزلت مصيبة فزع المؤمن مرة اخرى الى الله والى الصلاة وفى الواقع ان الصلاة تستخدم كمخدر وهى وسيلة للاثراء بالنسبة لرجال الدين والبكوات » .

لقد كثر ما قال واعاد ان الصلاة عند المسلمين هى عملهم اليومى ، وانها تستعمل فى كل المواقف الحرجة التى تواجه الفرد او الجماعة فى المجتمع الاسلامى ، فاذا كان قد ذكر صلاة الاستسقاء فى هذه النذلكة ، وهى مما يمكن ان يقال انه لم يصرح بها فى كلامه السابق ، فانها داخلة فى عمومه قطعا . ولا شك ان مدلول الصلاة عنده لا يختص بالقربة الفعلية ذات الاحرام والسجود كما يعرفها فقهاؤنا ، بل يشمل المعنى اللغوى الذى هو الدعاء ، والا لما ذكر اشياء لا تشرع فيها صلاة كالاكل على ما سبق له وكالمرض هنا ، فكيف تتصور الصلاة أثناء الاكل الا أن تكون دعاء . وذلك انما هو التسمية قبله والحمد بعده ولا زائد ، وفى المرض يخفف عن المريض حتى انه يرخص له فى الصلاة من جلوس وبالايماء كما هو معلوم ، وعلى كل فمقصوده الاعظم هو ان يقول ان الصلاة مخدر وان المستفيدين منها هم رجال الدين والبكوات ! واذا اعتبر الصلاة مخدرا فلا عجب لان الشيوعيين يعتبرون الدين كله افيون الشعوب ، ولكن الشعوب قد افاقت من سباتها فرات أن اعظم مخدر هو الشيوعية التى كانت تزعم لهم انها جاءت لانقاذهم من استغلال الامبريالية والبورجوازية فاصبحت اعظم حليف لهما ، ولم تزد على أن جردت المومنين من ايمانهم والاغنياء من ثرواتهم والملاك من املاكهم ، ونشرت الافلاس المادى والمعنوى بين جميع طبقات الشعوب وأرثت العداوة والبغضاء بين الامم والدول !

والمضحك فى قول حثالة الشيوعيين هو قوله : « ان المستفيدين من الصلاة هم رجال الدين والبكوات » علما بان الاسلام اولا ليس فيه رجال دين وان المسلمين كلهم رجال دين ونساء دين ، فالصلاة مطلوبة من الجميع - وهى مما يتعلمه الصبيان فى بيوتهم وبارشاد من اوليائهم ولا يحتاجون فيها الى معلم من خارج ، وتسعة اعشار المسلمين يؤدون صلواتهم منفردين بانفسهم فى بيوتهم ومعاملهم وحقولهم ومتاجرهم من غير توقف على واسطة مما يسمى فى غير الاسلام برجال الدين . والباقون الذين يؤدون الصلاة فى المساجد خلف الامام ، ولعله هو الذى يعنى هذا الحثالة برجال الدين ، لا ينتفع منهم امام الصلاة بشىء مطلقا لانه واحد منهم قدموه ليؤمهم ، ولو غاب لقدموا غيره ممن حضر فماذا فى ذلك من الافادة له ، وخاصة الافادة المادية التى تعنى الشيوعيين !

واعجب ما فى هذا الكلام هو الزج بالبكوات فى المستفيدين من الصلوات ، ان غباء المؤلف مما يبعث الرثاء ولكن اغبى منه الذين رشحوه للدفاع عن الشيوعية والهجوم على الاسلام ففضحوه وفضحوا انفسهم فى آن واحد .

ويختم المؤلف كلامه فى هذا الفصل بقوله : « ان جذور الدين قد استؤصلت منذ زمن بعيد فى الاتحاد السوفياتى وان الذى ساعد على ذلك هو النجاحات المحصل عليها فى ميادين العلم والتكنولوجيا وقد قل عدد الكنائس والمساجد ، وفى أيامنا هذه لا يرتاد المسجد الا الشيوخ العاجزون .. » يقول هذا فرحا مستبشرا ولكنه يعود فيقول : « ومع ذلك فكون المسلمين لا يذهبون الى المسجد لايؤخذ برهانا على

انهم قد تحرروا تماما من الاسلام والصلاة فهناك من لا يذهبون الى المسجد ولكنهم يزاولون الشعائر الدينية فى بيوتهم ويرغمون اطفالهم على الصلاة وينظمون بمناسبة الاعياد الدينية الحفلات ويضحون بالحيوانات فى عيد القربان كما يقومون باعذار الاطفال طبقا لتعليمات القرآن والشريعة الاسلامية » .

ونحن نشكر المؤلف على هذه المعلومات السارة التى افادنا بها ولا ندرى كيف أفلتت منه على تعصبه وانكاره للحقائق الثابتة ، ونذكر له آية قرآنية تزيده غيظا وحنقا على القرآن . لانها تؤيد هذا الواقع الذى يؤذيه وتبشر بان العاقبة ستكون للاسلام لا للشيوعية برغم ما بذلت وتبذل من جهود لصرف المسلمين عن دينهم وتحويلهم عن عقيدتهم وهى قوله تعالى : ( يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ) .

**عبد الله كنون**

# نحن والمال
## وحق الله فيه

للأستاذ حسن التهامي
الامين العام السابق للمؤتمر الاسلامي

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا » والدنيا لهو ولعب فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل ، ولكن الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا في الدنيا والاخرة وهي وجه الله الذي يبتغيه المؤمن في كل تصرفاته الدنيوية ، وبحسن التصرف يصبح متاع الدنيا مقربة الى الله وغرسا في تربة الباقيات الصالحات . واذا كان المال دنيا تورث وفيه يستخلف الانسان فأين نحن معشر المسلمين من المال والدنيا ووجه الله ؟

ومصادر المال الطيب في الاسلام كثيرة ووسائل الكسب الحلال شتى والتجارة بانواعها اكثرها تنمية للمال مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( تسعة اعشار الرزق في التجارة ) .

والاسلام لا يضع حدا لوقف انماء الكسب الحلال ولا يعتدي عليه ولا يمنعه ولا يصادره الا ان يخرج صاحب المال حق الله والناس فيه واذا ما التزم صاحب المال المسلك الحلال القويم وكان التاجر الصدوق المستقيم الذي زكاه وأعلى قدره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه : التاجر الصدوق الامين في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء ...

ومارس صلى الله عليه وسلم التجارة بنفسه قبل البعث بمال السيدة خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها والتي كانت تدعى بالطاهرة وبسيدة قريش والتي ظل صلى الله عليه وسلم يذكرها بالخير فقال في حقها « آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من الناس» وظل يمارس التجارة الى ان غلبت حياة الجهاد في اتمام الرسالة على كل ما عداها من امور الدنيا .

على انه حين اختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى كانت درعه مرهونة بثلاثين صاعا من شعير لقوته وقوت اهله واوصى بما كان تحت يده من أراضي واموال ـ كان يضع غلتها في مصالح المسلمين ـ ان يكون صدقة كما امر صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف ( نحن الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة ) الا عدة الحرب والجهاد وما بقي في بيته صلى الله عليه وسلم فقد صارت من حق آل البيت.

كما كان كبار الصحابة ـ وهم قدوة المؤمنين في كل العصور من خيرة التجار واغناهم واسمحهم نفسا بالانفاق في سبيل الله واتقاهم لله في معاملاتهم مع الناس .

فانفق ابو بكر ـ وكان من اغنى تجار قريش ـ ماله في اكثر من مناسبة في سبيل الله : في الهجرة وتجهيز الجيوش وعتق الرقيق ذلك المال الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر » فبكى ابو بكر وقال : « وهل انا ومالي الا لك يا رسول الله » . ولم يترك الصديق دينارا ولا درهما ولم يجد عنده في بيت مال الدولة حين توفي الا دينارا واحدا سقط من غرارة .

وبعد ان بويع بالخلافة شوهد الصديق يخرج الى السوق صباح يوم ليتجر في بردين من صوف على كتفه ليكسب قوت يومه فأوقفه عمر ورجاه الا يفعل بعد ان بويع بالخلافة وقال المسلمون : « افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يغنيه » قالوا : « رداءه اذا اخلقهما وضعهما واخذ غيرهما ونفقته على اهله كما كان ينفق قبل ذلك وظهره ـ دابته ـ اذا سافر » فقال رضيت .

فلما حضرته الوفاة أوصى بأن يرد ما أخذه من ذلك الى موضعه من مال المسلمين وبذلك نــزل أولا على ارادة المسلمين فقبل ما عرضوه عليه تواضعــا واستجابة لمشاعرهم ثم رده الى مال الله قبــل ان يلقى الله تعالى فاستغنى بمال الله عن مال الخلــق ، ولا عجب فى ذلك فقد كان طوال حياته ورغم غنــاه يأبى ان يدخل على ماله درهما من غير حله او يدخل جوفه لقمة او تمرة من حرام ، عارفا موقنا بأن كـل لحم نبت من حرام فالنار اولى به .

**الصديــق .. وعمــر**

وكان مسلكه هذا ما اتاه الصديق فى حق الله فى مالــــه .

وكان الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه تاجرا ثريا يعرف قدر التجارة ويحض عليهــا ويوصــي القرشيين الا يغلبهــم عليها أحــد لانهــا ــ ثلــث المالك ــ ولكنه كان يرى ان صلاح المال فى ثلاث : ان يؤخذ من حق ويعطى فى حق ويمنع من باطــل . والتزم هذا النهج منذ ان أسلم فشاطــر الله مالــه ــ أعطى نصفه لله ــ

ولما ولى الخلافة قال : « الا واني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولى اليتيــم : ان استغنيــت استعففت ، وان افتقرت اكلت بالمعروف .. لكم على الا أجتني شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه ولكم على اذا وقع فى يدي الا يخرج مني الا فى حقه ولكم على ان أزيد عطاياكم وارزاقكم ان شاء الله ، واسد ثغوركم . واذا غبتم فى البعوث فانا ابو العيال حتى ترجعوا اليهم » .

ولما سئل عما يحل للخليفة من مال الله قال : « انه لا يحل لعمر من مال الله الا حلتين : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما احج به واعتمر وقوتي وقــوت اهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهــم ، ثم انا بعد رجل من المسلمين » .

وحين اجتاح قحط الرمادة المسلمين نهض لــه واستجلب القوت من كل مكان فيه مزيد منه وجعل يحمله مع الحاملين ، وشارك الفقراء طعامهم ومضت عليه فترة لا يطعم غير الخبز والزيت ــ كغيره مــن الناس ــ حتى اسود ما تحت عينيه وآلى على نفسه ذلك حتى يفتح الله على المسلمين جميعا بالــرزق ، كما انه قدر قسوة ذلك الظرف على المحتاجين فلم يقطع يــد السارق .

وكانت خلافته مزدهرة بالاصلاحات الاقتصادية وتوسيع بيت مال المسلمين وتجهيز الجيوش وغزو الامصار وفتحها فكثرت الغنائم ، فاستن شرعيــة مسئولية الدولة عن كل ابنائها العجزة والايتام وامن المجتمع ماليا حتى اهل الذمة كما نظم العلاقــة بين الفرد والمجتمع والحاكم والمحكوم ووفــر اقــوات المسلمين ومنع احتكارها واقام فى الاسلام اول دواوين الخراج وبيت المال والمحاسبة والاحصاء .

وشرع القوانين الاقتصادية التــي عرفتهــا المجتمعات المتحضرة بمفهوم عصرنا الحاضر كقانون « من اين لك هذا » ؟ فكان يحصي أموال الولاة على الامصار قبل ان يتولوا مناصبهم ويدخل ما زاد من اموالهم زيادة غير معقولة فى بيت المال ، ويأمرهــم ــ عند عودتهم الى بلادهم من ولاياتهم ــ أن يعــودوا نهارا حتى يتضح لكل ذي عينين ما حملوه معهم عند عودتهــم .

ومن تعلل منهم بالتجارة فى ثرائــه رد عليــه دعواه قائلا : « انما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا » فان اشتغال الحاكم بالتجارة مشغلة له عما استرعاه الله ومظنة استغلال المنصب والجاه .

ومن هذا القبيل ما كتب به الى عمرو بن العاص يسأله عن مال ظهر عليه : « من اين لك هذا المــال وعجــــل » .

فرد عليه عمرو بن العاص : « فأما ما ظهر لـي من مال فانا قد قدمنا بلادا رخيصة الاسعار كثيــرة الغزو فجعلنا ما أصابنا فى الفضول التي اتصلت بأمير المؤمنين . والله لو كانت جبايتك حراما ما جئتك . وقد اتهمتني فاقصر عني كتابك فان لنا احسابــا اذا رجعنا اليها اغتنينا من العمل مع مثلك » . ولما كان عمرو بن العاص تاجرا يتنقل بين الامصار وكان قــد حضر الى مصر قبل فتحها وتعرف على قساوســه اقباطها ورجالاتها وسبق له ان زار الاسكندريــة فى تلك الرحلة فقد فطن الفاروق الى ما فى هذا الاتجار من شبهة استغلال النفوذ ولذلك رد على ابن العاص: « انتم معشر الامراء قعدتم على عيون الامــوال وان يعوزكم عذرا وانما تاكلون النار وتؤثرون العار وقــد وجهت اليك محمد بن مسلمة فسلم اليــه شطــر ــ نصف ــ ما فى يدك » فانصاع عمرو الى الامر بــلا تردد وسلم نصف المال الى محمد بن مسلمة الــذي عاد به الى بيت المال .

كما وجه الفاروق ابا عبيدة بن الجراح الى خالد ابن الوليد وقاسمه ماله حتى بقيت نعلا خالد فاعطى ابا عبيدة احداهما واخذ الاخرى على انه حين توفى ولم يخلف الا فرسه وغلامه وسلاحه لتكون فى سبيل الله رثاه عمر ووفاه حقه وابرا ذمته فقال : « رحم الله ابا سليمان .. كان على غير ما ظنناه .. كان والله سدادا لنحور العدو ميمون النقيبة » .

ومن فراسة عمر ودرايته بتصرفات الخلق وتوازع النفس المالية الى الدنيا ان ساءل ابا سفيان عقب عودته من عند ابنه معاوية والي الشام عما أهداه له .. فلما انكر ابو سفيان اهداء شيء اليه تحيل عمر على اخذ خاتمه وبعث به مع رسول الى هند زوج ابي سفيان طالبا اليها ارسال الخرجين اللذين جاء بهما زوجها من الشام . واذ عاد الرسول بالخرجين وفيهما عشرة آلاف درهم طرحهما عمر فى بيت المال.

ومع اتساع مسئولية الدولة امام افرادها فطن عمر الى أن ازدهار الامة يستوجب مزيدا من التعديل والتطوير فى النظام الاقتصادي بما نصفه اليوم بتقريب الفوارق بين الطبقات فقال قبيل استشهاده فى المسجد النبوي الشريف : « لو استقبلت من امري ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء فقسمتها على الفقراء » ـ اي ما زاد عن حاجة الاغنياء لتكاليف الحياة من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وما يحجون ويعتمرون به طيلة عام ـ مما يدل على نيته النظر فى علاج مشكلة الفقر والغنى .

### الضرائب التصاعدية

ولعل فى اسلوب الضرائب التصاعدية على الاموال والدخول ما يحقق بعض القصد الذي ذهب اليه الفاروق عمر فى قولته هذه التي تحمل فى طياتها الكثير من العطف والشعور بالمسئولية تجاه فئات من الامة لا تقدر على تكاليف الحياة ـ على ان الشطر الاخر من قولته يعني اخذ هذه الاموال لتصرف على الفقراء والمحتاجين وان يكون التخصيص فى الصرف لهذا الهدف وهو مبدا يبيح للحاكم او ولي الامر ان يتخذ مثل هذا التشريع او الاجراء وليس للصرف من هذا الدخل بالذات على من فى مقدوره العمل والانتاج ولكنه لا يعمل اذ ان هذا الفضول فى المال والاخذ منه يمكن اعتباره سنة تسنّ لسد حاجة ولتضامن الامة بعضها مع بعض فى السراء والضراء وليس الزاما اي انه تيسير وليس فريضة .

وحين جاءته سكرة الموت لم تشغله عن وصية ولده بسداد ديونه من ماله ومال أهله اذ لم يترك عمر دينارا ولا درهما وبيعت داره بعد وفاته فى قضاء دينه فسميت باسم « دار القضاء » .

وقد تصرف عمر فى ماله وفق ما رآه من حق الله فى هذا المال .

وخلفه ذو النورين عثمان الذي كان من اثرياء واسخياء قريش ، ولما اسلم زادت نفسه سخاء بالبذل فى سبيل الله فاشترى بئر رومة لسقاية المسلمين وجهز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بما عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على عثمان ما عمل بعدهن » .

أي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمد لعثمان ما ارتآه من حق الله فى ماله .

وجعل سيدنا علي كرم الله وجهه تجارته كلها مع الله فلم يدخر ابدا ـ على شرفه ورفعة مكانته فى الاسلام ـ اكثر من قوت يومه فكان حقا ـ ابا تراب ـ كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرى على هذه السياسة فى ادارة بيت المال فكان يبادر بتوزيع ما فى بيت المال على مستحقيه حتى لا يبقى فيه شيء ثم يصلي فيه شاكرا لله انعمه وتوفيقه .

وظل على هذا الحال حتى لقي ربه شهيدا وكان كل ما تركه الامام ثلاثمائة درهم فقد كان ينفق كل ما ياتيه على الفقراء والضعفاء انفاق من لا يخشى الفقر ثقة بربه قائلا للدنيا « غري غيري » وكان آخر ما فاه به : « لقد فزت ورب الكعبة » لقد فاز حقا فى معركته الحياة مع ربه بتجرده عن المادة ـ تلك فطرة وفقه الله اليها واعانه عليها دون تكلف او افتعال ورأى سديد عمل به فى حق الله فى حالة .

وسمع ووعى عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ ومن اهل الشورى ـ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سماحة البيع والشراء : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى » و « ياحكيم ان هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن اخذه باشراف نفس « تطلع وطمع » لم يبارك له فيه فكان كالذي ياكل ولا يشبع»، وعن رحمة الله لرجل اتخذ السماحة مسلكا فى تجارته فنهج عبد الرحمن على البيع بالسماحة ينظر المعسر ويتيسر على الموسر .

وساله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عن سر غناه فقال عبد الرحمن : « ما تركت بيعة فيها دينار ربح الا اتممتها ولم ابع بأجل قط » اي لم يبع بدين مؤجل .

فشرحت سماحته فى البيع وقناعته فى الربح بتيسيره على المشتري وعدم حبسه المال صدور المؤمنين للاتجار معه وبارك الله له فى تجارته وحقق بذلك ما نسميه فى عصرنا بتكرار دورة رأس المال وتلك من أكبر دعائم الرخاء الاقتصادي الان فى اي مجتمع .

وحين بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رايت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » بادر الى التخفف من امواله حتى لا تثقله عن الركض ـ الجرى ـ الى الجنة فجعل سبعمائة راحلة قدمت له من الشام بما عليها فى سبيل الله كما قسم أربعين الف دينار فى بني زهرة وفقراء المسلمين وامهات المؤمنين اتبعها باربعين الفا اخرى وحمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم أردفها بالف وخمسمائة فرس اخرى ..

ان كل صحابي من اولئك الكرام الاسخياء كان بخلقه وسماحته أمة وحده فاقاموا دولة الشهامة والجود والاخلاص .

وسار على هذا الدرب الامام ابو حنيفة النعمان فكان ـ مع اشتغاله بالفقه ـ يتجر ويبعث بالبضائع الى بغداد ويشتري ما يحتاجه اخوانه وشيوخه معطيا اياه محتسبا ربحه من اثمانها ويقول : « هذا رزق اجراه الله على يدي » . ولقد قصده يوما فقيه فى ثوب معين فاستدعاه بعد ايام وقال له : « هذه حاجتك وثمنها درهم » فقال الفقيه له : « تهزأ بي ؟ » قال : « لا والله اشتريت ثوبين بعشرين دينارا ودرهم ، بعت احدهما بعشرين دينارا وبقي هذا بدرهم وما كنت لاربح على صديق » .

## الايمان يغلب المادة

لقد كانت هذه الروح شائعة بين المسلمين فى ازمان كان الايمان فيها غالبا على المادة والمودة طاغية على الاثرة وصلة الرحم اقرب الى اولى الارحام من مشاغل الدنيا ، ولعلنا ما زلنا نعيش الان على بقية هذه الروح نتلمس من خلالها اسباب بعث السماحة والوفاء والاخاء وصلة الرحم واغاثة المحتاج من جديد .

وعلى الجانب الاخر يروى ان ثعلبة احد فقراء الصحابة الذين كانوا يلازمون الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة وصلاة مالت نفسه الى الدنيا فسأل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان يدعو له بسعة الرزق فلما آتاه الله من فضله وغدت اغنامه تغطي الارض فى مسيرها تخلف عن صلاة الجماعة فالجمعة ثم تغيب كلية عن المسجد ورد جباة الزكاة فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى عض ثعلبة بنان الندم وعرض زكاته على الخلفاء فما قبلوها وبقي ثعلبة اسيفا كسيفا وحيدا بعيدا فى مجتمع الصحابة والمؤمنين بعد ان آثر المال على الصحبة والدنيا على الآخرة ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال فيه : « ويح ثعلبة » .

لقد حث بل اوجب الاسلام على المؤمنين الانفاق فى سبيل الله فى السلم والحرب سرا وعلانية الزاما وتطوعا وحرم على الاغنياء حبس المال ليكون دولة بينهم وقرع اسماعهم بان المال مال الله وانهم مستخلفون فيه وان الله يبسط الرزق لمن يشاء بلا حدود فلا راد لفضله ، وان المال فى الاسلام لا يعدو ان يكون رزقا وميسرة واقامة حياة وتعاونا على البر وانفاقا فى سبيل الله وامتحانا فى الدنيا لحسن التصرف فى النعمة ، وان المخزون منه يأتي يوم القيامة عبئا واذى لخازنه يعقبه عذاب ، وان المال والثروة والجاه عوارض دنيوية وعوارى زائلة تزول نهائيا بالانتقال الى الرفيق الاعلى ولا يبقى منها وعليها الا الحساب : اما الثواب واما التعزير والعقاب .

وليس معنى هذا ان الاسلام يحض على الفقر او يشجعه او يرضى به بل انه يحث على بذل الجهد والاكتساب وتنظيم حياة المجتمع على أسس تسمح بالرخاء فيحض على الغنى والتجارة بلا احتكار والربح من حلال والانفاق فى سبيل الله فالمال الحلال والتجارة والتملك الحلال افضل من النزوع الى الفقر وافقار الناس ؛ فالغني الشاكر الذي يحسن التصرف فى ماله خير من الفقير العابد وفى كل خير والذي يجعل الدنيا بما فيها من مال ونعيم فى يده خير ممن يجعلها فى قلبه .

اللهم اجعلها فى ايدينا لنتصرف بها وفيها بما يرضي الله تعالى ولا تجعلها فى قلوبنا كما فعل ثعلبة

وعلى ذلك اصبح الغنى والانفاق سمة من سمات المجتمع الايماني العامل .

كان ذلك سلوك الافراد فكيف كان حال الدولة. فاذا كان هذا هو مسلك المتطوعين فلا زالت هناك ثمة التزامات للافراد قبل الدولة .

واذا كان هذا هو وعي الرجال الذين قامت على اكتافهم دعامات اقتصاد الدولة عن ادراك وايمان واخلاص وتطوع فان الدولة كان لها بجانب ذلك حقوق لتسد حاجة الفقير والمحتاج ولتجهيز الجيوش فكانت الزكاة وبيت المال ثم اخذ عمر العشور وحدد الحكم الاسلامي منذ 1300 عام ونيف الفرق بين المال الخاص والمال العام فكانت الارض لمن يقدر على زراعتها وكان الملح اي المعادن ما ظهر منها فوق الارض وما في باطنها مالا عاما .

وبدءا بعهد عمر ضمنت الدولة حق الفقير والمريض والعجائز وفرضت الدولة توفير القوت لعامة الناس واستنت لذلك اول تشريع يحرم الاحتكار خاصة فى الارزاق واذا كان ذلك قد تم فى عهد اليسر والرخاء فى الامة الاسلامية فانه يصبح ضرورة واجبة الاداء عندما تجتاح الامة الاسلامية الشدة والقحط ولنا فيما اتخذ سيدنا عمر عام الرمادة اسوة حسنة .

واذا ما نظرنا الى ما انتواه سيدنا عمر من اخذ فضول اموال الاغنياء لترد على الفقراء، فان لسان حال عمر فى ذلك المقام يشير اشارة واضحة الى ان امة المؤمنين يجب ان تعرف ان حاجة الفقراء من الامة قد يأتي فيما بعد عهد عمر من طريق العطاء من فائض اموال اغنيائها الى ذوي الحاجات اما تطوعا بروح الصحابة واهل الايمان وذاك من سمات الاخوة فى الاسلام واما بنظام مفروض ومنظم من الدولة وذاك هو النظام العمري : تكافل اجتماعي بعدل وبلا اجحاف او ظلم فان الله لا يحب الظالمين .

ولنذكر حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنتعلم منه سمو المعنى الذي يرضاه لنا رسول الله عندما نلتقي يوم الحساب اذ يقول : « اذا جاع احد من المسلمين فلا مال لاحد » اى ان يصبح اطعام فقراء المسلمين الزاما على اصحاب المال وليس منة .

ان فكر كل مفكر يتدبر امر هذه الامة وينشد لها المخرج من ازمتها المركبة العناصر الى منطلق يبعثها بعثا جديدا يتوقف عند حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجد هذا المخرج فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لو كان نبي من بعدي لكان عمر » فالامة محتاجة الى عدل عمر وقلب عمر وابوة عمر وسيف عمر وخوف عمر من لقاء ربه عز وجل — عمر الذي كان اذا سلك فجا سلك الشيطان فجا غيره.

واذا كان غنى الافراد غنى للدولة واثراء لها فان انفاق الاغنياء تطوعا امر لا مندوحة عنه اذ ان الالزام واضح ومقرر فى شريعة مجتمعنا ، فالزكاة بانواعها كلها فريضة واجبة الاداء وان اخذ العشور عند الاقتضاء سنة سابقة والخمس فى الركاز واجب — الركاز كل مال وجد مدفونا فى ارض موات او طريق سابل — وان فى اداء اصحاب الاموال حق الله وحق المحتاجين فيها تطهير لذنوبهم وتزكية لاعمالهم وعلى من تؤدى اليه ان يدعو لهم امتثالا لقوله تعالى : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » .

فاذا حصلت الدولة من اغنيائها والقادرين الحقوق الشرعية لاقامة المجتمع ، واذا علت همة المؤمنين وسرت نفحات الايمان بين اغنيائهم والقادرين منهم للانفاق فى سبيل الله تطوعا مقبلين على الله غير مدبرين ، واذا تكفل بيت المال بالمحتاجين والضعفاء والعجزة فان ذلك حرى بامة المسلمين ان تحل بهذا النظام كل مشاكلها الاجتماعية الاقتصادية دون الحاجة الى نظام يضير النفوس او يقتل الهمم او يضعف الايمان او يحول البشر الى جزء من المادة .

على ان مفهوم الاقتصاد لا يقف عند هذا الحد فالمجتمع يتطلع الى آفاق اخرى خارج حدوده الاقليمية يزيد — عبرها — من قدراته على مواجهة تطلبات كل عصر وان يسترد حقوقه التي بذلها فى ساعة العسر ومن هنا ينشا تخطيط التعاون الاقتصادي المتكامل بين الامة الاسلامية كلها الذي كان وما زال موضع الاهتمام الكبير ويحتاج الى مزيد من النور والوضوح نضيف به مداخل جديدة واجبة على ذلك التضامن الاقتصادي العربي والاسلامي فان ذلك هو موطن القوة الحقيقية للدولة الاسلامية الشاملة لكل اقطارها.

تلك معان تحلق فى افق افكارنا عندما نتوخى الصلاح لهذه الامة والتي تظهر فى اعسارها معاني الايمان والاخلاص والحرص على مصالحها والتطوع لعمل الخير والاستمرار فيه والتزام المجتمع بهذه المثل لترشيد الدولة لسلوك الناس واقدام الدولة على ذلك الترشيد بالاسلوب العصري واجب ملح عليها .

# الايديولوجية السلفية

## - 2 -

للأستاذ حسن السائح

**الايديولوجية السلفية :**

الايديولوجية مجموعة افكار يطمح الى تحقيقها بالضرورة وقد تكون مجموعة افكار غير مطابقة للواقع تهدف الى تحقيق هدف غير مرتبط بالحالة الموجودة . فالايديولوجية هى علم الافكار او تنسيق الافكار فمثلا الايديولوجية نسق للقانون المنتقى . ويأتى القانون نتيجة لها ويصبح علما اما هى فتتابع نشاطها الدائب لغاية اخرى يعتبر القانون تبعا لها . وتظهر الايديولوجية ( بالوعى ) ، فالامة تعمل دائما وتسير ولابد لها من ايديولوجية لمسيرتها ومن ضرورة استعمالها لمواجهة ( عدم التطابق ) وذلك ليتم التطابق بين الواقع والقانون .

ان الايديولوجية السلفية تعنى اقتناص الافكار العامة وتنسيقها وصياغتها بطريقة علمية محددة وهى ايديولوجية مستمدة من القيم الدينية الاسلامية وواقع الوضع القومى ، فالدين بصفته ينظم العلاقات بين الانسان وذاته الداخلية وبيئته ومحيطه الاجتماعى .. وكذلك بينه وبين الكون باسره لان الفلسفة ليست قادرة الا على تنظيم الجماعة بين بعضها ، وليست المذاهب كذلك بقادرة على تجاوز التنظيم الاجتماعى بخلاف الدين الذى يتسع لاعظم من ذلك كله ، للانسان وموقعه من المحيط الاسروى الصغير ، والاسروى والوطن الكبير والجار والرفيق ، والانسان فى كل مكان دون اعتبار اللون أو اللغة والتعاطف مع الكون كله لانه جزء منه كالنجم الذى لا ينفصل عن السديم .

ولهذا فميدان الدين واسع جدا يتسع لكل ما فى الوجود من ظاهر وباطن ، من طبيعى وما ورائى فى البعد الزمانى الحاضر والغابر والمقبل .. والاسلام بالضبط فانه آخر الاديان ، واقدرها على الشمولية والاستيعاب سواء على الصعيد العقائدى او الاجتماعى او الانسانى .

والاسلام ضرورة للمجتمع الانسانى كله فهو ( عبادة ) اى التزام داخلى ووعى ذاتى ، ولهذا فالفلسفة غير قادرة على امتصاص تهديدات الثقافة فالثقافة الغربية بطبيعتها استعلائية متسلطة غير الغربية المتحدية للافريقى والشرقى على السواء متواضعة ، وهى ثقافة الذئب امام الحمل ولم يستطع الافريقى ان يواجه التحديات الثقافية الغربية منذ عصر الرومان الى عصر الاستعمار الحديث الا حين انتظم بثقافته ووجدانه متلاحما ليواجه التحدى الاوربى فالسلفية من هذا الجانب بعث اسلامى وجدانى وتلاحم الصف لمقاومة الاعتداء الاوربى ، وصد التحدى وضرورة للحياة الكريمة وقد وجد الافريقى ( مصله ) الثقافى فى الاسلام ، ولحسن الحظ فالاسلام ليس دينا جامدا بل هو حى ، شعبى ، وهو صوت هاجس فى ضمير كل انسان يسهم فى بناء الحضارة الانسانية ، ولقد اصبح الانسان المعاصر يعيش قضايا عصره بكل معطياتها وابعادها وغير معنى بتاتا من المشاكل المحيطة به والتى اذا لم يصنعها ويبدى رايه منها كان متنازلا عن حقه .. بل ضارا بحق غيره بسبب

هذا التنازل فاذا كان ينال من انتاج مواطنيه فمن الخيانة أن يخذل مواطنيه بسكونه وكسله .

واذا فالمسلم قوى بمفهوم قوة الشخصية والقدرة على ممارسة حريته وحقه في الحياة سياسيا واقتصاديا دون ان يترك لغيره فرصة استغلاله ، ولهذا فالسلفية كعودة للاصول الرئيسية للدين الاسلامي تقتضي وتفرض كرامة الانسان باعتباره انسانا خليفة للخالق في الارض له من الكرامة والمكانة ما لا يحق لغيره ان لا يحترمها . فالسلفية تحافظ على مزايا الانسان وشخصيته ولاجل ذلك تنطلق من الايمان بالله ايمانا مطلقا لا شبيه فيه ، وتستوعب العقيدة الصافية بملاءمتها الفلسفية مع الواقع الاسلامي ، والايمان بالله الخالق الكامل الكمال المطلق دون حاجة الى الاغراق في الاستدلالات الفلسفية على الوجود لانه موجود بالضرورة ... وكل تعاليمه مصدرها الوحي ، والتعاليم السنية ، عن طريق الوعي والاقتناع يسمو بشخصيته لان الوعي ضرورة للتكامل الاجتماعي وكما يقول ( هيراكليت ) ان الواعين ليس لهم الا عالم واحد ، اما غير الواعين فلكل عالمه .. وتعاليم الاسلام تمتاز بفعاليتها لانه يقر تعاليم الاديان التي سبقته الا ما نسخ ، ويؤكد انها تجاوزت مرحلتها التاريخية .

فالمسيحية تجاوزها التاريخ ، وهي كالديانة اليهودية التي حققت مرحلتها اما الاسلام فهو دين الفطرة والتلقائية ظهر في مرحلته الاولى في الملة الابراهيمية ، التي تولدت عن الميثاق الازلي ثم الموسوية ثم المسيحية ، واخيرا استكمل الذاتية على يد المحمدية ، وهو من ذلك الوقت قابل للتجديد على يد المجتهدين من مفكري الامة الاسلامية . والاسلام دين الشعب فهو اول من وضع الكتاب بيد الامة كما يبطل الاستعلاء العلمي والفكري والكهانة والرهبانية وكل ما يمكن ان يكون اداة للاستغلال ولقد كتب على اكاديمية ( افلاطون ) ان لا يدخلها الا المهذبون اما الرسول الاعظم فقد قال انا مدينة العلم وعلي بابها .. وقال ايضا نحن امة امية لا تكتب ولا تحسب . فالعلم من خصائص الاسلام والامية اي البساطة والشعبية من خصائصه ايضا ، فهو قادر على تكوين النخبة الفكرية ، وصهرها في الامة كلها دون استعلاء فكري .

**ماذا تعني السلفية ؟**

قد يكون تعريف السلفية من النظريات الصعبة ذاتها . ذلك لان السلفية ظلت تعني في التاريخ كل حركة تجديدية اسلامية تعتمد على أرضية صلبة وقدرة على المعاصرة دون التخلي عن الاصول الاولى او عن الوعي الذاتي للملاءمة مع التطور والمحيط والتطور الواقعي للمجتمع البشري فهي دعوة الى العودة الى الاسلام الاول الذي كان صافيا ، لم يعكر بالتأثرات والشروح والتفسيرات التي املتها المذاهب الفلسفية والكلامية والعلمية .. ومن خصائص هذا الصفاء أن يكون صادرا عن وعي ذاتي ، وهي في نفس الوقت مسايرة للواقع والمعاصرة .

**السلفية اليوم :**

يجب أن تنطلق من تحديدات معاصرة لعرض السلفية كعقيدة دينية وذلك بتحليل مفهومها المعاصر وقدرتها على التحديات والمواجهة للمشاكل الفكرية والوجدانية التي تثيرها المزامنة للتطورات المعاصرة في ميدان التقنية والعلم والسياسة والاجتماع والاقتصاد والاخلاق والاداب .. ولا شك أن موضوع السلفية كحصن يعتصم به نحو تسعمائة الف مسلم يواجه شبابهم بالحاح لاحد له ، قلق الشباب وحيرة الكتاب .

ان موضوع السلفية بمفهومها الجديد في مواجهة قضايا السبعينات يثير عشرات الاسئلة التي سنجد صعوبة اعترف مسبقا . انها في حاجة الى اكثر من قلم لشرحها وتفسيرها والتعبير عنها ولا يمكن أن نكون واقعيين الا بتحليل الماضي لاكتشاف التجربة وصداها فلم يكن اجدادنا جامدين بل كانوا حركة دائبة للاصلاح ، ولم يكن مجتمعنا ( مجتمعا واقفا ) ( جامدا ) بل كان مجتمعا سائرا . متحركا فليس في البحث التاريخي ما يقيد الحاضر ولا ما يكرسه وانما هو لعرض النماذج وبلورتها وتطور ما يمكن ان يطور واجتثاث الاصول النخرة ، فالمؤثرات التاريخية والتراث الموروث سواء التراث الثقافي المتمثل في الايديولوجيا او التراث الاجتماعي والاخلاقي المتمثل في السلوك قادران معا على تزويد الحاضر بطاقة قوية وديناميكية .. ولن نجد ذلك متمثلا في شيء قدر ما نجده متمثلا في السلفية التي كانت حركة اقتصادية وفلسفية واجتماعية واخلاقية .

ان السلفية اليوم تعنى ان نعيد النظر فى المشاكل والقضايا الاسلامية على ضوء التطورات الحديثة فى ميدان علم النفس والاجتماع والتاريخ والاقتصاد . كما نعيد النظر فى الاراء والنظريات الحديثة من الوجهة الاسلامية لنعيد صياغتها فى اطارها الاسلامي دون السير وراءها دون ترو . ومن الغلط ان نعيد الصياغة الجديدة للفكر الاسلامى مع تجاهل الابعاد التاريخية والجرى وراء المعاصرة .. والاستشهاد بآراء المفكرين المسلمين او المفكرين الغربيين فى قضايا لم تكن مثارة فى عصرهم حيث لم تكن الملابسات كلها متوفرة لنفس القضية فى عصرهم وعمل من هذا النوع لا يفيد المسلمين ولا يخدم الاسلام ، ولكم جر ذلك الى اغلاط كثيرة ، حيث اغرق بعضهم فى العلوم الباطنية عندما عسر عليه ان يجد معنى ظاهرا ، واغرق آخرون فى المقارنات العلمية والفيزية ليثبتوا المعجزة العلمية للاسلام .

ومن التعسف ان تجد فى الاسلام السلفى كل الاجوبة ، بل سيعطل الفكر ويسود الجمود .. فالاجوبة نجدها بالاجتهاد والتطلع الى اكتشاف المجهول .. لا فى البحث فى التحملات والاستنتاجات فى الماضى .

واذا فالسلفية اتجاه واقعى ، وليست باتجاه مثالى ، وهى فى نفس الوقت اجتماعية وليست انعزالية فارة . ولذا فقد كان السلفيون دوما واقعيين يرفضون الاستعمار والتبعية .. ويواجهون معركة الفكر التقليدى الثابت الذى لا يتحرك ، والفكر الاستسلامى والمراوغ ، والداعى الى التقية ، والمعرفة المستترة .. والسلفية ليست شرحا الدين فقط ، ولكنها شرح وتحليل للمجتمع والمعاصرة والاخذ بالبعد الوطنى والاقتصادى وتحدى كل سيطرة اجنبية استلابية فكرية او ثقافية او اقتصادية .

ان السلفية تعتمد على الارضية الاسلامية والاطار الدينى وتركز على الاسس الدينية وتسرى فى الهيكل الاسلامى روحا جديدة .. فهى حركية دائمة ذات بعد تاريخى ، وبعد معاصر مع وعى تام لقضايا العصر ، ومشاكله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومواجهتها باصرار وليس معنى هذا ان السلفية واحدة المفهوم والدلالة فى العالم الاسلامى كله ، بل انها نظرا لوعيها تتاقلم اكثر من غيرها .. فالسلفية التى نادى بها الافغانى تختلف عن سلفية محمد عبده فالاولى سياسية ثورية والثانية تربوية مرحلية فقد استساغ محمد عبده الاقتصاد التربوى متحالفا مع طلعت حرب لبناء وطنية مصرية .

ولقد عرف المغرب ثورة الحركة السلفية التى استبطت كل حركة تغيرية ، تطورية سواء كانت فردية او وطنية جماعية . وكل الحركات تولدت عن الاصلاح السلفى سواء بطريق الانضواء او المعاكسة، والحركة السلفية حررت الانسان المغربي من رواسب انحرافات الماضي القريب بالعودة الى الماضي البعيد ليكون انطلاقا للتغير والتطور والملاءمة مع العصر .

ان الفكر السلفى ينطلق من الواقع ليعالج القضايا فى التجديد والمثالية لا العكس ، اى لم ينطلق من المثالية الى الواقع .. وفرق عظيم بينهما .

وهذا هو الواقع السلفى . فالافكار تاتى من الخارج وتستقر فى الذهن لتخرج الى الخارج معبرة فى قالب لغوى عن مضمونها ، فاللغة تعنى الواقع ، وهى التى تفهمه وتشرحه وتغيره والثقافة السلفية تواجه الثقافة الاجنبية المستلبة التى هى ثقافة سطحية ان السلفية تعنى العصر والمعاصرة معا ، وتتعامل مع الثقافات على اساس التفاعل الناتج عن الاختيار والوعي لا عن العواطف المريضة .

لقد تلوث الفكر الثقافى فى بلادنا باعمدة الفكر الثقافى الغربى ، واصبح المثقفون عندنا ممن يمجدون ( سارتر ) و ( فولتير ) ويتجاهلون رجال الفكر المغربى ويحكمون عليهم قبل معرفتهم .. ولا شك ان هؤلاء المثقفين مستلبون لغويا واجتماعيا .

ولهذا فالسلفية اليوم تبتنى ثقافتها بناء يعبر عن مضامين مجتمعية ، واعية هادفة الى تطوير المجتمع الاسلامى وتغذية تفكيره بكل عناصر القوة والمتانة والثقافة باعتبارها تشخيص للتصورات المعبرة عن الوعى الذاتى والاجتماعى ، سواء كانت تصورات متصلة بموضوعات اجتماعية او فهم الطبيعة او العلاقات الاجتماعية ، هى تشخيص لكل الممارسات والطرق والاشكالات والتعبير عن الواقع والعمل على التغيير الممكن والصالح معا .

ولسنا فى حاجة ان نفهم مجتمعنا بالتفسير التاريخي « او التاريخاني » . وانما يجب ان ننقد ايديولوجيته للكشف عن الحقيقة .. وعن الوعى

الحقيقى لان الوعى الخاطىء ليس بامكانه انتشالنا من الهوة ؛ ولهذا فالوعى ليس مجرد الشعور باللحظة وانما هو العودة الى التاريخ . فالتاريخ ضرورى لكل مجتمع والتركيز عليه وحده تضليل للواقع ، فلا بد من الملاءمة بين الواقع والغابر . ومن خلال المقارنات مع المجتمعات الاخرى سنعرف الثابت والمتحرك فى ثقافتنا ونهضتنا ومن المفروض أن نعبر عن نتيجة التجربة ، لكن مجتمعنا قلة عنصر الكتابة ، حتى نكاد أن نعيش ثقافة غير معبر عنها . وكل مجتمع غير معبر عن واقعه يظل مغلقا غير مفهوم . ان السلفية تعتز بتاريخها وحاضرها معا . ومع الاسف فقد عمل كثير من المفكرين المسلمين فى الشرق على اخضاع الاسلام وثقافته للغرب فى خشوع كما فعل طه حسين وعلي عبد الرازق جاهلين او متجاهلين ان الاراء الغربية التى يحاولون اخضاع الفكر الاسلامى لها تعتمد على مفاهيم غربية مسيحية لا صلة لها بتاتا باسس الفكر الاسلامي . ونقل مذهب الشك والافتراض ، الى ثقافة لها اصالتها واساليبها فى الحيطة وتقديس الرواية لايناسب قطعا ثقافتنا ولا نستفيد منه بقدر ما نتوض به وجودنا وحاضرنا لنكون طعمة سائغة للمتربصين .

وتصرف السلفية المعاصرة اهتماماتها بالشباب الذى يعانى من تأثير عالم التقنية ما يعانيه فى الشرق والغرب على السواء .. وعندما تحلل السلفية اسباب الانحراف ترى انه يتولد عن اسباب اجتماعية متعددة وتخص بالذكر الانحرافات العقيدية المتولدة عن الفراغ الروحى والفقر الدينى وترى السلفية ان سبب هذه الانحرافات العقيدية ترجع لرواج الدعايات المادية الالحادية التى تلقى فى روع الشباب انها مذاهب جديدة تقدمية تناسب تطور العصر .

## السلفيـــة والثقـافـة :

ان المثقف الاصيل هو الذي يستوعب ويعي ثقافة مواطنيه ، فالثقافة تعني وعى الاخلاق والمعاملة والتآزر .. وليست الثقافة حفظ معلومات او فهم النظريات او تعاليا عن الشعب . وكل ثقافة ليست شعبية فهى ثقافة انانية تضر حركة الامة ، اذ ان كل انسان لا يشارك الجماعة فى بناء حضارتها فهو عضو مستنزف لطاقتها دون مقابل .

والعجب ان مآت الفرنسيين والانجليز وغيرهم يقيمون ببلادنا سياحا وتجارا وموظفين ولم نجد منهم من يتخلى عن عادته او لغته او يحيينا بالسلام عليكم .. بينما نرى المغربى المثقف فى بلاد اجنبى يبدأ بالتخلى عن قوميته بالتزوج بالاجنبيات والتخلي عن العادات المغربية حتى فى اشارات اليد والوجه ثم يعيش فى بلاده كمواطن دون عقدة الخيانة .

## الاقتصـاد والسلفيـة :

ان السلفية لا ترى فى الاقتصاد اساس العلاقات بين البشر ولا انه سبب التآزر الاجتماعى فهذا راى مادى محض وانما ترى السلفية ان الدين والعقيدة اساس للترابط الانسانى ، ويأتى الاقتصاد كناحية من نواحى التنظيم الاجتماعى فالاقتصاد هو علاقة بين الناس يوحد بين مصالحهم المادية فلا تتجاهل الاقتصاد بل تراه كامتن العلاقات ؛ لهذا فهى تنظمه على اساس ابراز قيمة العمل واعتبار المال ضرورة لرصد العمل وتقييمه .. على ان العلاقة بين الناس هى التآزر والتعاون العملى والمال يتبع الجهد الانسانى ؛ لهذا فلا تجيز الاستغلال ، ولا الارتشاء ، ولا تـزف الطبقة الضعيفة ، وانما تعتبر حرية العمل ، وتقنين المال حتى ينال كل حسب جهده فاذا استطاع احد بذكائه ان يعمل اكثر من الاخرين فان حفظ التوازن يصبح اساسا يتجاوز العمل الى تحقيق الوحدة والتضامن .

## المغـرب والسلفيـة :

لقد ظل المغرب وفيا للاسلام الحق الذى لم تكدر صفاءه التيارات الاجنبية عنه .. ، ولذلك كان العلماء المغاربة من دعائم السلفية .. وعندما اشتهر الغزالي فى المشرق كان ابو بكر ابن العربي ( وهو امام عظيم ) اول من حمل ( الاحياء ) الى المغرب رغم عدم رضاه على بعض آراء الامام الغزالى .. وقد وقف القاضى عياض وقاضى قرطبة ابن حمدين معارضين المفاهيم الغزالية الصوفية ، واحرق كتاب الاحياء فى المغرب والاندلس سنة 503 هـ بل أحرقت نسخة الاحياء التي كان يملكها ابن العربي رغم مكانته العلمية ويعسر ان نتقصى اسماء العلماء الذين ظلوا مخلصين للسلفية مجددين للدين ، الى ان جاء العلامة السوسى الذى دعا للسلفية الوهابية ؛ وكان المولى سليمان وهو عالم كبير وحجة من دعاة السلفية ( انظر العلامة ابن زيدان فى اتحافه ) واخيرا كان الشيخ ابو شعيب الدكالى من اكبر المحدثين الذين مكنوا للسلفية التى وجدت فى الحركة الوطنية ميدانا خصبا للدعوة اليها ..

# مهام جسام

للدكتور عبد السلام الهراس

ان التفاؤل بانتعاش العالم الاسلامي واسترداد الدعوة الاسلامية انفاسها واستعادة قواها والتئام جراحها لا ينبغي ان يكون مسرفا ، فهذه الدورة المباركة من التداول المسنون فرصة غنية جديرة بأن تستثمر الى اقصى حدود الاستثمار حتى لا تتلاشى ، في جو من الحماس والانسياق للصدف والترقب الغامض !! ان على قادة الراي والعمل في العالم الاسلامي ان يضطلعوا بجسامة المسؤولية التي القاها الله على كواهلهم . ومن المهام الجسام التي تنتظر الشعوب الاسلامية انجازها على ايديهم :

1 ــ القيام بدراسة خصوم الاسلام وأعدائه الكائدين له والعاملين على تخريبه من الداخل والخارج حتى تكون المعاملة معهم وفق الخطوات العلمية المحسوبة وليس من خلال العواطف والانفعالات والاندفاعات . وقد علمنا القرآن ان العدو ينبغي ان تعرى حقائقه واعماله ، فقد كشف القرآن المشركين وعاداتهم ، وفضح اليهود ومكرهم واخلاقهم بتفصيل واستقصاء ودقة ، كما وصف ملامح المنافقين ونفسياتهم ومواقفهم وتصرفاتهم ، ولم يدع القرآن عدوا او خصما الا قدم للمسلمين عنه وصفا كاشفا شافيا ، مع حثهم على متابعة هؤلاء الاعداء والحذر منهم والاعداد لهم حسب الزمان والمكان .

2 ــ دراسة تجارب الدعوات الاسلامية وبخاصة الحديثة والمعاصرة منها لاستخلاص عناصر الفشل والنجاح حتى يستعين الداعي بذلك على دعوته ويسير على منهاج لاحب فيدعو على بصيرة ووعي متجنبا الاساليب العقيمة ذات النتائج السيئة او المضادة ...

3 ــ العمل على تقويم الحركات الاسلامية القائمة وتعيير أعمالها بمقاييس موضوعية صارمة ثم تكتيل جهود الصالح منها وتنسيق جهودها ونشاطها واحداث شبه حسبة للدعوة مهمتها التوجيه والاشراف والمراقبة حتى لا تبقى الامور فوضى فيندس في الدعوة الاسلامية الجاهل والمغرور والمتآمر والمورط الذي يحاول نسفها والدفع بها الى مآزق ومخاطر كما يقع ــ مع الاسف ــ في أحيان كثيرة .

تلك أهم ما يجب على القائمين على الدعوة الاسلامية في العالم الاسلامي أن يعملوا على انجازه قبل ان تفلت الدورة المباركة لتحل مكانها الدورات المشؤومة وما اكثرها !!! نقول هذا ، لان هذا التفاؤل العارم الذي يملأ العالم الاسلامي بسبب فشل اعداء الاسلام في القضاء عليه في تركيا وفي غيرها من البلاد التي اعلنوا فيها نهاية هذا الدين او انه في طريق نهايته ، يقابله في جهة اخرى تشاؤم اسود ولكنه عنيد وشرس لا يعرف الاستسلام ويسخر كل امكاناته لتحويل الهزائم الى نصر وانتصار ... وان اصعب من النصر المحافظة عليه ، فكم هم اولئك الذين انتصروا فاغتروا بهذا النصر واستسلموا

لنشوته فذاقوا وبال ذلك من المرارة والويل اضعاف ما ذاقه المهزوم ، ولهذا نرى القرآن الكريم يأمر نبيه ان يكون بعد الانتقال من حالة العسر الى حالة اليسر اشد نصبا ويقظة وتعبا للمحافظة على هذا اليسر حتى لا ينقلب الى عسر فيقول تعالى : « فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » . فالفراغ يجب ان يكون من العسر الى النصب حرصا على اليسر وحفاظا على ثمرة النصر لان المهم ليس النصر ولكن ما بعد النصر من التثبت والتمكين ، ولذلك وعد الله المؤمنين به الناصرين لدعوته بتثبيت الاقدام بعد النصر « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

فاذا كان المتفائلون قد فوجئوا بالفرج ، بعد شدائد مدلهمة ، يعتمدون على الصدف ويستسلمون للرياح المواتية تدفع بهم السفينة عبر الامواج المتلاطمة فى اتجاه مرغوب يحدوهم الامل العميق المشبوب ويهزهم الحنين الى تلك الحياة الشريفة المشرقة الرائقة كما وعدهم القرآن ، فان الجهة الاخرى ، اي اعداء هذه الامة ، لا ينال منهم ما حاق ويحيق بهم من فشل ولا يعتمدون فى خططهم وحساباتهم على الصدف الطائشة وانما هم يواجهون كل حالة جديدة بما تستحق من الدراسة العميقة ، مستعينين فى ذلك بأدمغة جبارة وخبراء عمالقة ووسائل علمية كثيرة ومتنوعة وفعالة ومستخدمين عناصر هامة من « المستغربين » و « المضبوعين » من ابناء المسلمين الذين ربوهم تربية خاصة فغسلوا « أمخاخهم » وزيفوا مشاعرهم و « ضبعوهم » « ضبعة » متقنة . فاصبحوا يزودون مخابر التحليل وحلقات البحث والدرس بمواد هامة ودراسات مفيدة وبذلك كانوا اكثر نجاعة للقيام بأدوار خاصة لا يستطيع القيام بها على نحو متقن الا هذا النموذج المشوه من ابناء هذا العالم الاسلامي . فالمسلمون دائما محل دراسة وتمحيص وابحاث واحصاء وتجارب، وهناك جامعات ومعاهد وجهات مختصة فى دراسة هذا العالم من جميع نواحيه التاريخية والجغرافية والبشرية والادبية والفنية والفلكلورية والاجتماعية ، مما يجعل ادق تفاصيل حياة هذا العالم وتطوراته تنعكس بدقة وتتابع وسرعة على الشاشات المنصوبة هناك ، وهنالك !! لذلك كان تعاملهم مع هذا العالم ليس محكوما بالآراء والاهواء الشخصية للرؤساء والقادة وانما هو خاضع لحسابات دقيقة وقواعد صارمة وتصديرات موزونة ودراسات موضوعية موجهة ومرشدة بل وآمرة مستحكمة . وان اي تغيير فى المعاملة أو اللهجة او الموقف لا يعني تغييرا فى العواطف والاحساسات وانما هو تغيير ضروري فى الاساليب والوسائل التي لا تتحقق الاهداف بغيرها . ان الاستراتيجية ثابتة لا يصيبها تبديل او تغيير ، اما الوسيلة واسلوب المعاملة فيتغيران حسب ارتباطاتها مع مقتضيات تلك الاستراتيجية . وقد عبر القرآن الكريم عن استراتيجية الاعداء واهدافهم بكل حزم ووضوح وصرامة فيقول تعالى :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ».

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

« ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون » .

« ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ».

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

« ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

« وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » .

« يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ... » .

« فلا تطع الكافرين ودوا لو تدهن فيدهنون ».

فالصراع دائم ومستمر ومن توهم انه انتهى او كاد فانما هو ساذج غير أهل لقيادة المسلمين لانه يستهين بحقيقة الحرب المستمرة والمعارك القائمة الشرسة ، وقديما استهان الفاتحون للاندلس بالقائد « بلايو PELAYO » الذي لاذ هو وثلة من اصحابه بصخرة عتيدة فى شاهق من الجبال الشمالية للاندلس . فقال المسلمون بعد ما اعياهم حصاره ومطاردته : « ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم » . قال ابن سعيد المغربي :

« فآل احتقار تلك الصخرة ومن احتوت عليه الى ان ملك عقب من كان فيها المدن العظيمة حتى ان حضرة قرطبة في يدهم الآن جبرها الله تعالى !! » . وهكذا نرى المسلمين الفاتحين استعجلوا الراحة واطمانوا للقوة ، وتشاغلوا بانفسهم عن الاخطار المحيطة بهم فاضاعوا كثيرا مما فتحوا بسبب تلك الاستهانة الهوجاء .

ان ما عاناه المسلمون من اهوال عاتية يجب ان يدفع قاداتهم الى مواجهة الحقائق بالعلم والدراسة والنظر حتى لا تستفحل المصائب وتتكرر الكوارث !

وبجانب دراستنا لعدونا يجدر بنا أن ندرس انفسنا نحن ، فالدعوة أساسا موجهة الى هذا العالم الذي لم يان له ان يستيقظ اليقظة المفعمة بالوعي والتبصر لينطلق الانطلاقة التي لا توقف لها ولا اعوجاج ، فعلى قادة الدعوة الاسلامية مدارسة تجاربنا الماضية واستيعابها حتى يضعوا ايدهم على عناصر الضعف فيها وعلى مكامن الثغرات منها حيث يتسرب الفشل والوهن الى داخلها .

فمراجعة الحساب ضرورة من ضرورات العمل الاسلامي ولتكن هذه المراجعة على أسس علمية موضوعية متانية بعيدة عن الاستعجال والانفعال وذلك بمجابهة الحقائق كما هي ، ويجب تجاوز مرحلة المبادرات الفردية التي تتسم كثيرا بالخطا والنقص والاضطراب رغم ما يبذل فيها من مجهود كبير ، وهناك محاولات لا باس بها في هذا المجال وفي المجال الاول ، لكن عيبها انها ناقصة وكثيرة الفجوات لان مثل هذه الدراسات لا تؤتي اكلها الا اذا عالجت في جو علمي متكامل العناصر مهيأ الوسائل متعدد الافراد فتضبط التسيير والادارة !!

ان عودة العمل الاسلامي والدعوات الاسلامية الى مسرح الحياة في البلاد الاسلامية شيء مرغوب فيه ويبعث على السرور وينعش الآمال ؛ لكن ، ان تكون هذه العودة دون زاد من التجارب ودون وضوح الرؤية على ضوء معطيات الاعصار والامصار والظروف والملابسات والتطورات ، فامر يدعو للاسى والاسف!! وبكل صراحة ان بعض الامراض التي كان بعض الدعاة المسلمين يشتكون منها ويجعلونها مسؤولة عن التعثرات والانتكاسات لا تزال تظهر على السطح خلال ما يقال ويعمل ويكتب . وهذا يفضي بنا الى القول ان من اوجب واجبات الدعوات الاسلامية التنسيق فيما بينها والتعاون على الخير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والكف عن كل ما يبعث الشقاق والخلاف بين الاخوة ، وان امكانات ذلك اليوم لكثيرة ؛ فعلى ذوي النيات الطيبة والارادات الحسنة والرأي السديد ان يسارعوا الى راب التصدعات وتمتين الروابط وتصفية القلوب وتوحيد العزائم في وجهة واحدة وتنسيق الوسائل واحكام الحركات والاعمال حتى تكون الحركات الاسلامية اكثر عطاء وايجابية واستجابة لتطلعات هذا العالم اليتيم الضائع بين ضراوة الخارج وتمزيق الداخل . واقصد بالداخل تلك المجموعات من دعاة هذا الدين وبخاصة في المشرق العربي حيث كان الامل ولا يزال في نهضة اسلامية سديدة تاخذ بيد العالم الاسلامي وتنفخ فيه روحا جديدة تجعل منه عالما ذا حجم وموقع وشخصية يحسب له حسابه ويحترم جانبه ويفسح لخطواته للتحرك نحو المستقبل العظيم المنتظر .

**فاس : د. عبد السلام الهراس**




للدكتور عبدالكريم كريم

الى جانب ايماننا ويقيننا بعناية الله تعالى بالرسول عليه السلام وهدايته وتوفيقه علينا ان نهتم بالجانب السياسي لشخصيته صلى الله عليه وسلم ، وذلك لنتمكن من ابراز بعض ما كان يتمتع به عليه السلام في هذا المجال ، ولنفهم المواقف المختلفة التي كان صلى الله عليه وسلم يقفها من قريش ومعارضتها لدعوته .

فخلال ثلاثة عشر عاما من وجود الرسول عليه السلام في مكة ، كان يواجه تحدي قريش باتخاذ موقفين متلازمين :

**أولا :** بما يدفع عنه وعن أصحابه خطر قريش ويبعد عن المسلمين أذاهم .

**ثانيا :** بما يحقق له الفوز على قريش ويمكن بالتالي دعوته من الانتشار .

ولعل من أبرز الجوانب السياسية لشخصية الرسول عليه السلام تخطيطه للهجرات الثلاث التي وقعت :

اولا الى الحبشة في العام الخامس للبعثة .

ثانيا الى الطائف في العام العاشر للبعثة .

ثالثا الى يثرب في العام الثالث عشر للبعثة ، وهذه هي موضوع دراستنا :

لقد عقد زعماء قريش في دار الندوة اجتماعا للتداول في أمر الرسول عليه السلام ، وحسب ما أورده ابن هشام في السيرة عن هذا الاجتماع ، نستخلص ما يلي :

**أولا :** حضور عدد كبير من زعماء قبائل قريش يدل على أهمية هذا الاجتماع وخطورة الوضع بالنسبة لقريش .

**ثانيا :** أن تشاور زعماء قريش في أمر تفادي هجوم اسلامي خارجي ضدهم في مكة أو مصالحهم يؤكد حقيقتين هما : ايمان قريش بالقوة التي أصبحت للمسلمين في يثرب التي تجمع بها معظم المسلمين المهاجرين بالاضافة الى من أسلم من الاوس والخزرج . وادراك قريش بأن مصالحهم قد أصبحت مهددة وذلك لأهمية يثرب الستراتيجية : فهي تشرف على طريق التجارة الاولى التي تربط مكة ببلاد الشام .

**ثالثا :** نستخلص من الاقتراحات المختلفة حول موقف زعماء قريش من الرسول عليه السلام انهم لم يتمكنوا من اتخاذ موقف موحد : هل يحبسونه أم يخرجونه أم يقتلونه . والتطورات التي حصلت فيما بعد تؤكد ذلك .

أذنت السماء للرسول عليه السلام بالهجرة ونزل قوله تعالى : ( واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله،

والله خير الماكرين ) ، كما اوصى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم حسب سيرة ابن هشام :

( لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ) .

فاسرع صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر الصديق ليبثه الخبر وقد جاء في الهاجرة على غير عادته اذ كان ياتي بيت ابي بكر كل يوم اما في الصباح او في المساء كما جاء عن عائشة ام المؤمنين .

ومن دراسة الاحداث والتطورات نصل الى ان امر الهجرة قد نظم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعلي بن ابي طالب :

فقد كلف ابو بكر بتنظيم وسائل السفر بما في ذلك الدواب والدليل . وبان يقوم ابنه عبد الله بنقل اخبار قريش الى النبي صلى الله عليه و- لم وابي بكر في الغار ، كما امر ابو بكر مولاه عامر بن فهيرة بأن يرعى الغنم لطمس آثار الاقدام .

اما علي بن ابي طالب فقد كلف بان ينام على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وان يرد الودائع الى اصحابها .

وفي ليلة الهجرة حاصرت قريش بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج عليه السلام وهو يتلو آيات من سورة يس ( وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) .

فما هي الخطة التي بيتتها قريش عندما حاصرت الرسول عليه السلام في بيته ؟

ان الاحداث والوقائع تؤكد بان قريشا كانت تحرص في تلك الليلة على محاصرته في بيته كمرحلة اولى لمكيدة دبرتها له ، بدليل :

— **ان قريشا اعتادت ان تحاصر المسلمين منذ عشر سنوات في بيوتهم تمهيدا لتعذيبهم .**

— **وان النبي صلى الله عليه وسلم قد ادرك هذا الجانب فاناب عنه عليا وطمانه كما جاء في سيرة ابن هشام ( نم على فراشي هذا وتسج ببردي هذا الحضرمي فنم فيه فانه لن يصل اليك شيء تكرهه منهم ) .**

— **وبدليل ان قريشا ما ان تاكدت من ان النبي صلى الله عليه وسلم نائم على فراشه ــ وكان علي هو الذي ينام عليه ــ حتى شددت الحصار حول البيت دون القيام بشيء آخر ، والا ، فلماذا لم يهاجموا بيت الرسول المتواضع الذي مكنهم من معرفة ما يجري بداخله ؟ فاذا قلنا بانهم كانوا ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم الى ان ينام فلماذا لم يهاجموا عليا الذي كان ينام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كما ان القول بانهم هموا باقتحام الدار وسلق الجدار القصير الا ان امرأة من الدار صاحت فتراجعت قريش كما جاء في بعض كتب التفسير ، رأي لا نطمئن اليه بل ويتناقض مع ما كانت قريش تقدم عليه من هتك حرمات بيوتات المسلمين وتخريبها وحرقها .**

ومما يؤكد حرصهم على محاصرته انهم لما تاكدوا من خروجه وبحثوا عنه جعلوا جعلا قدره مائة جمل لمن يرجع به حيا لا لمن ياتي برأسه .

وهنا نصل الى سؤال هام : لماذا كانت قريش تحرص على حصار النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ؟

لقد اصبحت قريش تدرك مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نجاحه في ادخال عدد من زعماء يثرب في الاسلام ، وبعد ان هاجر معظم المسلمين الى هذه المدينة : اي ان الرسول عليه السلام قد اصبحت له قوة سياسية هامة ، ووضع ممتاز في الحجاز يمكنه من تهديد مصالح قريش التجارية وضرب حصار اقتصادي عليها . وكانت قريش تدرك في الوقت نفسه ان لمكة والبيت الحرام المقام الاول في الدعوة الاسلامية وان الرسول صلى الله عليه وسلم لن يلبث بعد هجرته وتنظيم انصاره ان يسعى جادا لفتح مكة .

فقريش اذا اصبحت مهددة بحصار اقتصادي وهجوم اسلامي ، فهل كانت ترى في حصار النبي صلى الله عليه وسلم والضغط عليه وسيلة تتمكن بها من الحصول على تعهد خاص منه صلى الله عليه وسلم بألا يهاجمهم او يتعرض لمصالحهم ؟ فاجتماع دار الندوة وما جرى به من مداولات تعكس تخوف قريش من ذلك بالدرجة الاولى ، ثم ان اقدام الرسول صلى الله عليه وسلم ولما تمض غير بضعة اشهر على

اقامته بالمدينة على تهديد مصالح قريش التجارية يزيدنا ايمانا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرك هذا الجانب الهـام .

أما عن تنظيم الرسول صلى الله عليه وسلم للهجرة ، فدراسة الاحداث تعكس جانبا هاما منها :

جاء في سيرة ابن هشام قوله ( لما كانت عتمة من الليل ) ، العتمة : الثلث الاول من الليـل اى ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان حاصرت قريش بيته خرج فى الثلث الاول من الليل ثم قصد بيت ابى بكر حيث خرجا معا من ( خوخة لابى بكر فى ظهـر بيته ) ، فهل نفهم من هذا ان عيون قريش كانت حول بيت ابى بكر ايضا ؟

وبعد ان قطعا مسافة تقدر بنحو ثمانية عشـر كيلو مترا جنوبى مكة وصلا الى غار ثـور حسب تخطيط سابق . فكم مكث الرسول صلى الله عليـه وسلم وصاحبه الصديق فى الغار ؟ يبدو انهما لـم يمكثا طويلا فى الغار :

**اولا :** لان الاقامة بالغار كانت مرحلة اولـى الهجرة ولتضليل قريش بالدرجة الاولى .

**ثانيا :** لقد طوقت قريش مكة وضواحيهـا ، فكيف يعقل ان يبقيا فى الغار ثلاثة أيام كما جـاء فى بعض كتب السيرة وان يتردد عبد الله بن ابى بكـر واخته اسماء على الغار عدة مـرات دون ان تنتبـه قريش الى ذلك ، علما بان قريشا قد حاصرت بيت ابى بكر منذ الساعة الاولى لقيامها بالبحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء فى السيـرة لابن هشام ان اسماء بنت ابى بكر قد روت بأن قريشا قد حاصرت بيتهم وان ابا جهل قد سألها عن ابيها وعندما اجابته بانه خرج لطمها لطمة قوية . وهكذا يبدو ان عبد الله بن ابى بكر قد استغل انهمـاك قريش فى البحث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة وضواحيها وقصد الغار مع أسماء والدليل عبد الله بن ارقـط وخلفهم عامر بن فهيرة الذي كان يرعى الغنم لطمس آثارهم ، وما ان وصلوا الى الغار حتى خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديـق وبـدأت الهجرة نحو يثرب فى مسـاء ذلك اليوم أو فجر اليوم التالـى .

واذا اخذنا بما جاء فى كتب السيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج من الغار يوم الخميس فاتح ربيع الاول ( من السنة الاولى للهجرة ) الموافق ليوم 24 غشت 622 م فان خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته الى الغار يكون ليلة الاربعـاء 30 صفر الموافق 23 غشت 622 م .

وعن الطريق التي سلكها الرسـول صلى الله عليه وسلم فى هجرته : اتجهوا جميعا من الغار نحو الشاطىء فى اتجاه من الشرق الى الغرب ، وظلـوا محاذين للطريق الساحلي من الجنوب الى الشمال ، الى ان وصلوا الى مكان فى الساحل يرسم مع يثرب خطا افقيا ( بقرب اليوم من الينبوع ) فاتجهوا مـن الساحل نحو يثرب اى من الغرب الى الشـرق . وقد كان وصول الرسول صلى الله عليه وسلـم الى المدينة زوال يوم الاثنين 12 ربيع الاول ( من العـام الاول للهجرة ) الموافق 4 شتنبر 622 م اى فى اليوم الذي يصادف الذكرى الثالثة والخمسين لميـلاد الرسـول الكريـم .

# الإجماع في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

يقول المستشرق ( جولد تسيهير ) في كتابه ( العقيدة والشريعة في الاسلام ) ( وان فكرة الاجماع التي تبنت قواعدها خلال هذا التطور الذي مر بالشريعة الاسلامية ، أصبحت عنصرا من عناصر التوفيق والتقريب بين السنة والبدع المستحدثة ، وذلك ان المسلمين اذا اتبعوا عادة من العادات او الفوا تقليدا من التقاليد وارتضاها جمهورهم طويلا ولم ينكره اصبحت هذه العادة او التقليد في النهاية جزءا من صميم السنة .

وقد ترتفع أصوات الفقهاء الورعين خلال بضعة اجيال مظهرين استياءهم وتذمرهم من هذه البدعة ، غير ان هذه البدعة كلما طال الزمن عليها وانعقد اجماع المسلمين على اتباعها تعتبر مباحة ، بل قد يشترط المسلمون مراعاتها ويرون البدعة كل البدعة في مخالفتها واطراحها ، واذا فهم يصمون كل من يطالب باعادة السنن القديمة واحيائها بانه « مبتدع » ) (1) .

وقفة قصيرة – دون تمعن – مع هذه الفقرة نستنتج ان الرجل – كباقي الحاقدين من المستشرقين – خبيث في طويته كعادته في كل ما كتبه عن القضايا الاسلامية ، لذلك يجب قراءة كتاباته بحذر شديد وتبصر واع بالنسبة لبعض الشباب الذي ليس له المام كاف بحقائق دينه .

والفقرة الآنفة تهدف الى جعل الاجماع في الشريعة الاسلامية أداة افساد لنشر البدع ، وطبعا هذا تجريح عمد اليه ( جولد تسيهير ) عمدا كي يبث في عقول السذج والجهلة من المسلمين أن اجماع العلماء يقرر أمورا مناقضة لعقيدة هذه الامة ، وبذلك يتسنى له أن يصم شريعة الاسلام بانها مجموعة من آراء الناس وعوائدهم واهوائهم وشهواتهم كما حدث في التوراة والانجيل اللذين تسللت اليهما يد التحريف بما اضيف اليهما من أفكار ابتدعها اليهود والنصارى لاجل اغراضهم الشخصية .

وبالمناسبة أجدني مضطرا الى الحديث عن الاجماع في الشريعة الاسلامية بايجاز دون التعرض الى جزئياته وحجيته وطبيعته وامكانه ، فذلك يعرفه من له المام بأصول الفقه والمصادر التي تولت شرحه بالتفصيل والاطناب وتحليل آراء الائمة فيه ، لان غرضي هو بيان تهافت آراء ( جولد تسيهير ) والاقتصار على رفع الغبش الذي غلف به دسيسته على غير طريقة العالم المنصف الذي يستشرف آفاق الحق .

والاجماع في اللغة العزم والتصميم على الامر والاتفاق عليه من ذلك قوله تعالى ( فأجمعوا أمركم وشركاءكم ) (2) . ويقولون اجمع القوم اذا اتفقوا وعند الاصوليين ( هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد

---

(1) ص 253 – 254 ط. 3 – نقله الى العربية الدكتور محمد يوسف وآخرون .

(2) سورة يونس الآية 71 .

صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي ) (3) .

وهذا التعريف الاصولي للاجماع يقتضي الوقوف امام كل كلمة فيه ، ولكن ذلك يجر الى الحديث عن التفصيلات والاختلافات (4) بين الائمة . وهذا ليس من بحثنا — كما مر سابقا — .

والمهم عندنا في هذا الحديث هو دحض افتراء ( جولد تسيهير ) الذي رمى علماءنا بالاحتيال في جعل الاجماع تبريرا للبدع التي استحدثت في دينهم فاصبحت من صميم السنة ؛ والهدف واضح جدا من هذه التهمة هو ان شريعة الاسلام دخلتها الاهواء ، وتلبستها آراء بشرية ، لذلك فالاسلام — في النهاية عند ( جولد تسهير ) — خليط من البدع والخرافات الشعبية عبر العصور اجمع على ترويجها واذاعتها علماؤنا .

وعرفنا في التعريف السابق للاجماع أن المجتهدين هم الذين يقومون بعملية الاجماع ليتحقق الحكم الشرعي ، ويعني ذلك أن الاتفاق مقيد بالمجتهدين ، ويستثنى في هذه الحالة غير المجتهدين ، وبالاحرى من ليس له المام بشريعة الاسلام ، فكيف يتصور ( جولد تسهير ) اجماع المسلمين على اباحة ما ليس من الدين من قريب او بعيد ، كما لو كان المسلمون كلهم علماء مجتهدين وليس فيهم من هو دون درجة الاجتهاد .

فاية حجة استند عليها ( جولد تسهير ) لاقرار هذا الحكم الجائر الفج ؟ ، عندما نستعرض كلامه لا نجد في الحقيقة حجة علمية غير الهوى والخبث لبلبلة الافكار ، لانه من المستحيل ان يتخذ علماؤنا الاجماع مطية لارضاء شهوات العامة ، ويجمعون على بدع يرفضها التصور الاسلامي القائم على الكتاب والسنة ، لكنني لا اعفي بعضا ممن نخر الشيطان قلبه فافترى على الدين حفاظا على مركزه او ابتغاء منصب الا ان امثال اولئك لا يلبثون ان ينفضحوا ويعرفهم المسلمون على حقيقتهم ، ولا يمكن ان يشملهم التعريف الاصولي للاجماع .

وان ( جولد تسهير ) اعتبر سكوت الامة الاسلامية في عصر من العصور على مظاهر غير اسلامية اجماعا ، مع العلم انه ما مر عصر من العصور الاسلامية الا ووجد فيه من وقف في وجه هذه المظاهر صارخا مستنكرا ابتداء من الصحابة والتابعين الى الائمة الاربعة الى العز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وعبد القادر عودة والشهيد سيد قطب رضي الله تعالى على الجميع ، فما كان هناك عبر العصور اجماع ابدا او سكوت على امر يخالف المنهج الرباني .

ومن الممكن ان ( جولد تسهير ) قد جاب بعض البلدان الاسلامية واسترعت نظره عادات مخالفة للاسلام ، فاعتبر انتشارها بين الطبقات الشعبية وشيوعها بين بعض الفقهاء اجماعا على اباحتها كالاحتفالات المتعددة لمواسم الاولياء والتمسح باضرحتهم والتظاهرات ( التعبدية ) التي تجري فيها ما يخالف خصائص التوحيد الالهي .

فما حدث من بدع وعادات سيئة لا يمكن بحال ان ننسبه الى اجماع المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم ( لا تجتمع امتي على ضلالة ) ولو كلف ( جولد تسهير ) نفسه مئونة الرجوع الى مواقف علمائنا من البدع لتأكد ان امة المسلمين — ويقودها اهل الحل والعقد فيها — ما سكتت ابدا على منكر ، ومبدؤها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ( كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) (5) .

---

(3) انظر التعريف في اصول التشريع الاسلامي للاستاذ علي حسب الله — ط. 3 — ص 95 عام 1383هـ ( 1964 م ) .

(4) للوقوف على التفصيلات راجع على سبيل المثال ارشاد الفحول للشوكاني — ط. البابي الحلبي ( عام 1356 هـ — 1937 م ) . والمستصفى للغزالي — ط. 1 — ( عام 1356 هـ — 1937 م ) .

(5) سورة آل عمران الآية 110 .

وكأن ( جولد تسهير ) بهذا الافتراء – بالاضافة الى ذلك كله – يود أن يلقـــي في روع من يجهـــل خصائص هذا الدين ومقاصده وفلسفاته ان علماءنا يشرعون للناس بايعاز من اهوائهم وتطلعاتهم او وجلا من غضبة العامة ، على حين ان التشريـــع من الله تعالى ، بمعنى ان الحاكمية لله تعالى لا لاحد – كائنا من كان – وهو اعلم بمصالح البشر من البشر نفسه ( ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ) (6) ، لـــذا ليس لواحد من الناس ان يزعم انه المشرع للخلق الا اذا كان ذلك في اطار التصور الالهي الحـــق لا يحيد عن جوهره بدعوى المصلحة او بدعوى سبب من الاسباب التي تتعارض وكلياته ومقاصده ، ومن هذا المنطلق يعمل المجتهد الذي تتوافر فيه شروط الاجتهاد على استنباط الاحكام الجديدة المتواكبة وما جريات الحياة .

ولا اريد ان انهي موضوعي دون أن اشير الى ان تصورات الناس ومعاملاتهم وما يرتكبون من بدع ضالة ليست هي المرآة الحقيقية التي تنعكس عليها حقيقة الاسلام المشرق ، ذلك ان الممارسة الفعلية للنظرية الاسلامية غير متوافرة في اخلاق الافراد ، كما ينبغي ان تتوفر ، ومن خلال هذا الانفصام البشيـــع بين النظرية والتطبيق أطلق ( جولد تسيهير ) هذا الحكم فجار على الاسلام دون ان يرجع الى منابعه ويمعـــن النظر فيها ، ويعقد المقارنة بينها وبين التصرفـــات الشائنة التي يرتكبها المنتسبون للاسلام .

ان التوفيق بين النظرية والممارسة أمر ضروري في هذا الدين والا بهتت في الوجـــدان تصوراتـــه الخالدة عن الانسان والكون والحياة ، وذلك هو مـــا فات هذا المستشرق فانطلق يرســـل الاحكـــام في كتاباته دون تبصـــر .

وقد شجع على انتشار هذا البدع ما أشاعـــه اعداء (7) الاسلام من احاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لها وقع سيء على الامة الاسلامية في شتى المجالات ، ولكن الله تعالى قيد من كشف عن هذه الاحاديث الموضوعة وبين زيفهـــا من علماء الحديث ونقاده فأصلوا الاصول وقعـــدوا القواعد ، فعرف ما يسمى بعلم اصول الحديث ، وقد بهرت دقة هذا العلم مستشرقين ، وتمنوا لو طبقوا هذا العلم على التاريخ الانساني كله ، نظرا لما يحتوي عليه من طرق دقيقة محكمة تقطع الطريق على كـــل عابث (8) وتسد المنافذ في وجه الدسائس والمكايد .

**تطوان : محمد المنتصر الريسوني**

---

(6) سورة الملك الآيـــة 14 .

(7) من بين هؤلاء الوضاعين الزنادقة عبد الكريم بن ابي العوجاء الذي وضع باعترافه اربعة آلاف حديث ولما سيق الى المولى العباس ليضرب عنقه صرخ في حدة : « لقد وضعت فيكم اربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال واحل الحرام » . انظر علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ص 290 – 291 مطبعة جامعة دمشق – ( 1379 هـ – 1959 م)

(8) ـــراجع سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الالباني – المجلد 1 – ط. 3 .

● من أساليب الحرب الفكرية والنفسية :

# عزل الإسلام وعلمائه وتغريب المجتمعات الإسلامية

للأستاذ أبو عدنان عبد القادر البوشيخي

## ما قبل التغريب :

لكى ينكشف الهدف الحقيقى من الدعوة الى ابعاد الانظمة والتشريعات الاسلامية عن الحياة العملية ، وتغريب ظاهر المجتمعات الاسلامية ( تمهيد التغريب الباطن : تمسيحا وتلحيدا وتهويدا ) لابد من الرجوع الى الوراء خطوتين لنقف عند نقطة البداية فى عملية الغارة على العالم الاسلامى لنرى كيف تطور الاسلوب والوسيلة مع بقاء وثبات الهدف الاصلى الذى هو « الابادة » والاستعباد والتسخير والاستغلال والاستنزاف الروحى والمادى :

1 ــ الخطوة الاولى كانت سيفا ومنجنيقا :

« كان الصليبيون القدماء يهجمون فى غارات فظيعة ، وليس على وجوههم نقاب ، ولا دون نياتهم ستار ، غرضهم البين القضاء على الاسلام بالسيف ، فكان ذلك اللون من الهجوم يتبعه رد فعل شامل فى الاقطار الاسلامية ، اذ يجمع متفرقها ويصحى نائمها ، ويثير دوافع البقاء امام وطأة الجازرين ، ان لم يتركوا من الايمان امام عدوان الكافرين . . . ولذلك اشتدت مقاومة المسلمين لهذه الهجمات . . . وما اخذوا على غرة مرة الا تنادى قاصيهم ودانيهم لرد الطغاة ، واسترداد ما غصبوا . . . وكان ذلك من اسباب فشل الصليبيين آخر الامر بعد قتال اتصلت وقائعه مائتى سنة (1) »

2 ــ الخطوة الثانية كانت انجيلا وعلما لاهوتيا :

« . . . وبعد خيبتهم ــ فى الحرب الصليبية ــ فكروا ودبروا فقتضى تدبيرهم ان يعدوا اسلحة اخرى غير الحديد والنار لمحاربة الاسلام ، ومكافحة مبادئه ، ونزعه من نفوس اهله وحملة رسالته ــ لنغط لكلمة « حملة رسالته » وزنها الثقيل . ذلك ان الحرب الفكرية العقائدية تعطى اهمية قصوى لاستغلال بعض « علماء » الاسلام فى تنفيذ مخططها ، نظرا لمكانتهم ونفوذهم وتاثيرهم على الجمهور ، وساعطى امثلة لاستغلال مثل هؤلاء العلماء عند الحديث عن اسلوب « الاختفاء » ــ تلك الاسلحة هى اسلحة المقاومة لهذا الدين بوسائل علمية ، وعن طريق الهدم المعنوى وهدم الحصون من داخلها وعلى ايدى اهلها (2) » واول وسيلة علمية جربت لهدم الاسلام هى التبشير ( ارجو الا يتعجل القارىء الكريم ويعترض بان التبشير وسيلة دينية لا علمية فساقدم من الحجج والبراهين ما يكفى للتاكيد على ان الهدف الحقيقى من التبشير هو نشر الافكار والمبادىء والمذاهب الغربية المادية ــ المنحدرة الى نفوسهم من رواسب العصور اليونانية والرومانية الوثنية ــ وما المسيحية الا قناع وطاقة اختفاء يتوسلون بها الى غرس هذه الافكار فى نفوسنا كما سنرى فى اسلوب « الاختفاء » ) قلت ان الخطوة الثانية كانت هى التبشير ، وهذا ما يقوله احد اعلام المبشرين ، وهو « ادوين بلس » فى كتابه « مشروع التبشير » قال : « ان « ريمون لول » الاسبانى هو أول من تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم « لول » اللغة العربية بكل مشقة ، وجال فى بلاد الاسلام وناقش علماء الاسلام فى بلاد كثيرة (3) .

---

1) الاستعمار احقاد واطماع . ص 393 .
2) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام . ص 116 .
3) الغارة على العالم الاسلامى . الطبعة الثانية ص 29 .

ورغم ان الكلام عن التبشير واهدافه الحقيقية سيأتى فى اسلوب « الاختفاء » فاننى ارى من المفيد هنا ان اقدم استشهادا واحدا يكشف هذا الهدف الاستعمارى : عندما فوجىء صغار المبشرين والمرتزقة الذين يجهلون اهداف التبشير الخفية — بفشل مهمتهم ، واكتشفوا ان الاسلام شجرة ضخمة عميقة الجذور فى قلوب ووجدانات المسلمين ، وانه من المستحيل اجتثاثها واقتلاعها : جاء كبيرهم وموجههم العارف بالخفايا والمقاصد لاعمالهم — جاء يخفف عنهم هول الصدمة ، ويرسم لهم الهدف بكامل الوضوح . قال الشيخ « زويمر » الملقب « بالرسول المختار الى العالم الاسلامى » فى اجتماع « لاطفاله » المبشرين : « ايها الاخوان الابطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام ، فاحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد اديتم الرسالة التى نيطت بكم احسن اداء . ووفقتم لها اسمى التوفيق ، وان كان يخيل الى انه مع اتمامكم العمل على اكمل الوجوه ، **لم يفطن بعضكم الى الغاية الاساسية منه** ، اننى اقركم على ان الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية **لم يكونوا مسلمين حقيقيين** لقد كانوا كما قلتم احد ثلاثة . . . اما صغير لم يكن له من اهله من يعرفه ما هو الاسلام ، او رجل مستخف بالاديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغى الوصول الى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ، **ليست هى ادخال المسلمين الى المسيحية** ، فان هذه هداية لهم وتكريما — كذا — **وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله** وبالتالى فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الامم فى حياتها ، وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية ، وهذا ما قمتم به فى خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما اهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة (4) » .

هكذا يصرح زعيم المبشرين « زويمر » ان مهمة مرؤوسيه هى ان يكونوا « طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية » أما فشلهم فى ادخال المسيحية الى قلوب المسلمين فلا يعابون عليه ولا يعتبر تقصيرا ما داموا قد نجحوا فى زرع الافكار الممهدة للاستعمار ، والتمهيد لخلق الحالة المسماة « بالقابلية للاستعمار » السافر او المقنع . وقريبا من هذا ما قاله رئيس الجامعة الامريكية فى بيروت : « ان المبشرين يمكن ان يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات الا انهم قد احدثوا بينهم آثار نهضة . . . (5) » والمقصود بقوله « آثار نهضة » قيام نهضة اسلامية مادية — على الطريقة الغربية — مجردة من القيم الروحية ، ويوضح هذا المعنى اكثر « شاتليه » فى مقدمة لكتاب الغارة على العالم الاسلامى . قال : « ولا شك فى أن ارساليات التبشر من بروستانية وكاثوليكية تعجز عن ان تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها ، ولا يتم لها ذلك الا **ببث الافكار التى تتسرب مع اللغات الاوروبية** ، فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية ، يحتك الاسلام بصحف اوروبا **وتتمهد السبل لتقدم اسلامى مادى** . . . (6) » وهذه هى بداية التغريب . (7)

اعتقد ان خط المسيرة قد توضح ، ، وان الهدف يلمع لمعان الشمس ، الهدف دائما هو هدم الاسلام واستعمار اراضى المسلمين ، والوسائل متنوعة

---

4) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام 78 .

5) المخططات 277 .

6) الغارة 17 .

7) يقول الاستاذ محمد جلال كشك فى كتابه الهام جدا « ودخلت الخيل الازهر » : كان الاسلام هو السد الوطنى الذى تتكسر عنده امواج الغزو الغربى . لان الاسلام هو الرفض الحضارى للغزو الغربى،وكان الاسلام يتمثل فى الرفض الغريزي من جانب الجماهر للغزاة الاجانب الذى يهددون وجودنا الحضارى ، ومستقبلنا ومصالحنا ... وكان يتمثل ايضا فى القيادة المثقفة للامة ، أى فى شيوخها وتجارها وأعيانها.. لذلك كان على الغزوة الاستعمارية الغربية أن تفتت مقاومة امتنا بتجريدها من الاسلام ، وقد جربت أوروبا ابادة الاسلام بقتل المسلمين فى الحروب الصليبية لكنها اكتشفت فشل هذا الاسلوب ، وحاولت مرة أخرى أن تخرج المسلمين من الاسلام بحملات التبشير ، والمؤرخون الاستعماريون لا يخفون مرارتهم وهم يتحدثون عن فشل جهود مبشريهم فى كسب مسلم واحد الى صفوفهم ، لكن التبشير لم ينجح . فكان التغريب : اي دفع المسلمين الى استبعاد الدين من حياتهم وتفكيرهم ، عزل القيادات المثقفة ، تصفية دورها فى المجتمع ..
ودخلت الخيل الازهر ، الطبعة الاولى ص 10 و 11 .

متطورة حسب الظروف والعصور . عندما كان الهدف تصفية جسدية كانت الوسيلة سيوفا ومدافع وعندما اصبح الهدف الآن تصفية حضارية وتغريب المجتمع الاسلامى وطبعه بالطابع الغربى ، صارت الوسيلة اقلاما ومطابع تقذف قنابل اسمها افكار ومذاهب .

**عـزل القيادة الاسلامية وغرس قيادة مفتربة :**

قبل الحديث عن الدعوة الى التغريب ، وعن الوسائل المستعملة لتحقيقها ، ونتائجها فى المجتمع الاسلامى ، لابد من الحديث اولا عن القيادة الاسلامية وعن موقفها من دعوة التغريب ، وفضح الوسائل التى استعملها دعاة التغريب لابعاد القيادة الاسلامية وتضييق نطاق عملها ومحاصرتها فى الزوايا والمساجد ، واتاحة الفرصة للقيادة التى كونها فى مدارسه لتولى قيادة المجتمع الاسلامى وتوجيهه نحو التغريب والعبودية والخضوع للاستعمار المقنع :

يقول الاستاذ انور الجندى : « هدف التغريب كما اورده رجاله هو : انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية بل الشرقية ، وابعاد العناصر التى تحمل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه ، وبذلك يستغنى الاستعمار عن مواجهة الشعور الدينى بالعداوة السافرة ، ويمكن للتغريب ان ينفذ الى كل المجالات دون اى مقاومة تذكر (8) » وفى نفس المعنى كتب الاستاذ يوسف القرضاوى : « لقد صمم الغرب الصليبى الزاحف ان يهدم ويدمر ، ولكن باسلوب غير اسلوب التتار والصليبيين القدماء ، لقد اتجه الى تدمير العقائد والافكار ، وهدم القيم والاخلاق ، وتحطيم الآداب والتقاليد ، بمعاول خفية لا تراها الاعين بسرعة ولا تلمسها الايدى بسهولة ، وباساليب ماكرة لا تثير الشعوب ولا تغضب الجماهير . . . ولم يكن من هم المستعمر الدخيل فى اول الامر ان يوجه عمله الى الشعب ليزحزحه عن دينه ، ويشككه فى منهجه الالهى ، فيهيجه على حكمة ويحرضه على مقاومته ، بل ترك الشعوب فى غفلاتها **ووجه اكبر همه الى تكوين قادة المستقبل** ، قادة يصطنعهم لنفسه ، ويضعهم على عينه ، ويربيهم فى احضانه ، ويغذيهم بثقافته وافكاره . ويغرس فيهم الخضوع — عن طواعية — لنظمه وتقاليده ، والتقديس لمناهجه وفلسفته ، ان صناعة هذا الجيل الذى سيقود السفينة فيما بعد ، ويقبض على زمام التوجيه والتثقيف والتربية والادارة والسياسة والتشريع ، كانت اهم ما عنى به الاستعمار الخبيث ، وكان النجاح فى صناعته اعظم نصر حققه فى المعركة بينه وبين الشرق الاسلامى ، منذ عهد هرقل ومعركة اليرموك وما بعدها حتى اليوم » (9)

فكيف تنفذ هذه القيادة المصطنعة عملية التغريب وما هو موقفها ازاء الاسلام وعلمائه ؟ التذيقة — الفكرة — الاساسية التى يصوبونها الى « سد الدين » الحاجز لموجات التغريب ، والغزو الاجتماعى هى القول بفصل الدين عن الدولة (10) وتطبيق المفهوم الغربى للدين الذى يحصره فى علاقة المرء بربه . وهنا يقول الاستاذ يوسف القرضاوى : « وعمل القادة والزعماء الذين « علمنهم » الغزو الثقافى من قبل — على علمنة الافكار والمشاعر والاوضاع ، بحيث حصر الدين فى المساجد وبعض زوايا الحياة التافهة ، وفرض على الشرق المسلم مفهوم الغرب المسيحى للدين : اى انه مجرد علاقة بين المرء وربه ، وشاعت فى الناس كلمات غامضة مضللة مثل « الدين لله والوطن للجميع » وبذلك ثبت المفهوم الاستعمارى الدخيل الخبيث : ان الدين لا شأن له بالسياسة وان الدولة لا علاقة لها بالدين (11) ، اما موقف هذه القيادة المصطنعة من الدين والقيم والاخلاق والثقافة الاسلامية والتراث الاسلامى عامة ، فهو موقف التنكر والاهمال والعزل ، والمقاومة والمحاربة والتصفية ما وجدت الى ذلك سبيلا ، ويقابل التنكر لكل ما هو اسلامى الدعوة والتبشير بكل ما هو غربى ، فيدعوه الى تقليد الغرب فى كل شىء ، والسير وفق منهجه ونظرته للحياة ، واقتباس انظمته وعاداته وتقاليده و « اخلاقه » يقول احدهم : « .. ولكن السبيل الى ذلك — التجديد — واحدة فذة ليس لها تعدد .. وهى : ان تسير سير الاوروبيين ونسلك طريقتهم ، لنكون لهم اندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة : **خيرها وشرها حلوها ومرها ، ما يحب منها وما يكره ، وما يحمد**

8) مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية ، السنة الثالثة العدد الثالث ص 4
9) الحلول المستوردة 20/1 .
10) للحديث عن الدعوة الى فصل الدين عن الدولة والفكرة الاساسية التى تبنى عليها حلقة خاصة ، هى حلقة « القرآن والمبشرون »
11) الحلول المستوردة 55/1 .

**منها وما يعاب** » !!(12) ثم يقول : « ولنشعر كما يشعر الاوروبى ولنحكم كما يحكم الاوروبى ثم لنعمل كما يعمل الاوروبى، ونصرف الحياة كما يصرفها» (13) ثم يقول : « فاما الان وقد عرفنا تاريخنا واحسسنا انفسنا ، واستشعرنا العزة والكرامة ، وايقنا **ان ليس بيننا وبين الاوربيين فرق فى الجوهر والطبع والمزاج** ، فانى لا اخاف على المصريين ان يفنوا فى الاوربيين » (14) ، ويقول آخر ـ سلامة موسى ـ « انا كافر بالشرق مؤمن بالغرب ، يجب علينا ان نخرج من آسيا وأن نلتحق باوروبا » (15) ويقول ان ادبنا يجب ان يكون ادبا اوروبيا 99 ٪ وان التعليم كذلك يجب « ان يكون أوروبيا **لا سلطان الدين عليه ولا دخل له فيه** ... واننا فى حاجة الى ثقافة ابعد ما تكون عن الاديان ولا باس ان تعتمد على الترجمة الى حد بعيد » (16) وينكر الدعوة الى تعاون المسلمين وتكاتفهم وتوثيق الروابط بينهم فيقول : « ان الرابطة الدينية وقاحة فاننا ابناء القرن العشرين اكبر من ان نعتمد على الدين جامعة تربطنا » (17) وبماذا نرتبط اذا تحللنا من روابط الدين ؟ يجيب سلامة موسى ـ المبشر بنظرية دارون فى الشرق العربى « نرتبط باوروبا ، وأن يكون رباطنا بها قويا ، نتزوج من ابنائها وبناتها وناخذ عنها كل ما يجد فيها من اختراعات واكتشافات ـ وهنا نقول معه نعم للاختراعات والاكتشافات العلمية ـ وننظر للحياة نظرتها.. ونجعل ادبنا يجرى وفق ادبها **بعيدا عن منهج العرب** ، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها ، ونؤلف عائلاتنا على غرار عائلاتها » (18) يقول الاستاذ يوسف القرضاوى معلقا على كلام موسى : « وهو يدعو فى غير مواربة الى التعاون والاتفاق مع المستعمرين المحتلين الانجليز ، وهدفه من ذلك تصفية الرجعية فى مصر ، ويعنى بالرجعية ـ ولعله اول من استخدم هذه الكلمة ـ القوى الاسلامية كالازهر الذى يمثل بقايا الثقافة الاسلامية ، والمعالم الشرعية التى تمثل بقايا القوانين الاسلامية ، والاوقاف والمساجد التى تمثل بقايا التقاليد والعبادة الاسلامية ، والجماعات العامة التى تمثل التطلع الى دولة اسلامية ووحدة اسلامية وحضارة اسلامية . يقول المؤلف الجرىء ـ يعنى سلامة موسى ـ « اننا اذا اخلصنا النية مع الانجليز قد نتفق معهم اذا ضمنا لهم مصالحهم ، وهم فى الوقت نفسه اذا اخلصوا النية **فاننا نقضى على مراكز الرجعية فى مصر وننتهى** منها ، فلنول وجهتنا شطر اوروبا » (19) ويقول « جميل معلوف » : « ان خلاص الشرق يتوقف على تفرنج الشرقيين بكل معنى الكلمة .. لا عهدة شرعية تربطنا باسلافنا .. يجب ان نكون ابناء اليوم لا بقايا الامس : كل جيل يجب ان يعمل لذاته ، وكل سلالة يجب ان تشرع لنفسها »(20) ثم يضيف : « واستناد الشرقيين على الدين فى احوالهم العالمية عمل عقيم يبعدهم عن محجة التقدم ، لا بل انى اجد بلاء الشرق كله من الاديان ، ومصيبة الشرقيين من الانبياء » (21) .

ونلاحظ ان هذه الآراء « والفتاوى » وامثالها كثير تهدف الى غرض واحد ، وهو هدم الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية ، لا بمواجهتهما مواجهة سافرة تثير غريزة الدفاع ـ ولكن بالدعوة الى سلخ الدين والثقافة الاسلامية وخلعهما ووضعهما كاردية اثرية فى المتاحف ، الى أن تتلاشى وتضمحل تلقائيا بفعل عامل الزمن والاهمال وعدم الاستعمال ( والعضو الذى لا يستعمل يضعف ثم يتلاشى وتضمحل كما تؤكد ذلك العلوم ).

وماذا كانت نتيجة عزل الدين والقيم والاخلاق الاسلامية ؟ وبالتالى ما هى ثمار غرس افكار التغريب؟ الجواب ليس هو ما نقراه فى الكتب المسطورة ولا ما نشاهده فى الكتب المصورة ، وانما ما نراه فى « الكتب المنشورة » فى الشوارع والازقة والمقاهى والحانات والمراقص وعلب الليل ، هو ما « نقراه » على رمال الشواطىء واحواض المسابح . والاعراس والافراح. وبالاجمال فان حياتنا اصبحت كتابا حروفه ناطقة

---

12) **الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ، الطبعة الخامسة ص 201 .**
13) **نفس المصدر 202 .**
14) **نفسه 205**
15) **الحلول المستوردة 42/1 .**
16) **نفسه 42/1 .**
17) **نفسه 42/1**
18) **نفسه 44/1**
19) **نفسه 43/1 .**
20) **نفسه 43/1**
21) **نفسه 44/1**

متحركة صارخة : ان الاخلاق الاسلامية قد تفسخت وتحولت ، وانها في طريق التلاشي والاضمحلال ، والنتيجة الحتمية لتلاشي الاخلاق الاسلامية هي انحلال المجتمعات الاسلامية وتفككها ، واضمحلالها وذوبانها في بيئة غريبة . اى موتها روحيا ومعنويا . فالامم الاخلاق ما بقيت ، فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا.

واذا اصيب القوم في اخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا (22)

وبعد ... اننا لسنا من دعاة التقوقع والانغلاق والانكفاء على الذات واجترار انتصارات الماضي ، فالعالم حولنا يتقدم بسرعة خارقة ، ولكي لا نتخلف لابد من مسايرة الركب وتحديث وتجديد (23) وسائلنا. ولكن الذى نلح عليه هو بناء الجديد الارقى على الاساس الاصيل الاقوى . فلا تناقض اطلاقا بين الاصالة والمعاصرة ، والاصالة تعني فتح الابواب والنوافذ لكن دون ازالة الرقوف والسقوف .

22) انظر خطاب زويمر فيما سبق خاصة قوله للمبشرين : « وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالاخلاق التى تعتمد عليها الامم في حياتها » .

23) للحديث عن الفرق بين التحديث والتغريب والمقارنة بين تغريب تركيا وتحديث اليابان ، انظر « ودخلت الخيل الازهر » ص 12 . وانظر ايضا في نفس المقارنة الحلول المستوردة ص 109 و 136 .



في فقه الدعوة

# العقيدة أولاً

للاستاذ أحمد البورقادي

ان اهم ما يشغل المسلمين الآن وعلى الاخص الشباب منهم ، مسالة العقيدة التي تذبذبت فى النفوس بفعل التمرد على الفطرة تارة ، وبالابتعاد عن جادة الاسلام واهمال تعاليمه تارة أخرى .

ومرد ذلك فى نظرنا الى شيء واحد هو انعدام التوجيه والتربية الاسلامية ، او فشل القائمين بهما فى توعية الشباب المسلم ، وهدايتـــه الى الخيــر والرشـــد .

والانسان فطري النزعة قبل ان تتوزعه المغريات، وقبل أن تتملكه الشهوات ، وتاخذ بلبــه المظاهــر والصداقات ، وقبل أن تتلقفه الشوارع والمنتديات كالارض البكر الخصبة التي ان وجدت الوسائل اتت اكلها طيبا ، وما الوسائل الازرع الايمان فى القلوب ، وتعهد ذلك الايمان بالسقي والــري ، والتهذيــب والتشذيب حتى يرسخ ثابتا لا يتزلزل ، مطمئنـــا لا يتذبذب ، وتلك ثمرة التوجيه والتوعية ، وهي مهمة صعبة يجب ان تعد لها العدة ، ونخلص لها الدعوة ، ونجند لها الطاقات ، ونيسر لها الاكفاء من العلماء ، ونهيىء لها الصالحين من الآبـــاء والصالحـــات من الامهات ، ونوفر لها المخلصين من الدعاة والاساتذة.

ان مسالة العقيدة والايمان مسالة المسلميــن الآن ، يجب أن نفكر فيها ونعمل لها خصوصا وأننـــا نرى الاسلام اليوم تتقاذفه الامواج من كل جانـــب ، وتعتوره سهام الاعداء ، وتتشابك ضـــده الايــدي وتتحالف ، وتتضافر حوله الجهود « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»(1)

والى جانب هذه اللمزات والغمزات ، نـــرى الامة الاسلامية وقد افحشت فى ظلـــم نفسهـــا ، واوغلت فى الجراة على المحارم وتعدي الحـــدود ، ونسيت او تناست دينها وتعاليمه ، فاعانت بذلـــك عدوها على نفسها دون أن تشعر وسلمت او كادت ان تسلم فى مفتاح القيادة والسيادة ، وتركت الجهاد من اجل ذلك : « وجاهدوا فى الله حق جهـــاده هـــو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على النـاس »(2)

ان الاسلام بتشريعاته واحكامه خالد أبـــدي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس بـــه الالسنـــة مشـــع كالشمس ، فياض كالنور ، ضروري للانسانية كالماء والهواء عذب كالزلال سهل فى تعاليمه ، لا حرج فيه ولا عنف ، ولا حيف فيه ولا ضعف ، وحـــي من الله لا من وضع البشر ، عليه وبه صلح امر الدنيا والاخرة، « لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكـــن أكثـــر الناس لا يعلمون » (3) .

---

(1) سورة الصـــف الآيـــة 8
(2) ســـور الحـــج الآيـــة 78 .
(3) ســـورة الـــروم الآيـــة 30 .

ان جدار الاسلام هو اقوى جدار في الوجود ، عليه تتكسر أمواج المطامع والنزعات ، ولا تفت فيه تلك الاهواء الدخيلة ، ولا تنال منه تلك السهام ولو كثرت لان مشكاته سماوية ، وعينه قدسية ، وكوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية .

الاسلام كالمصباح المضيء ، وكم تحيط بالمصباح من جيوش الفراش والناموس وكم يتلقى من هجماتها ، وتتحلق حوله في دوران مستمر ، ولكنها لا تنال من ضوئه اذا قدر لها ان تنال من سطحه ، ولا تستطيع ان تنفذ الى قلبه ولو شوهت وجهه .

اوردت هذا المثال لأدلل على ان العقيدة هي السلاح الذي لا تفل عزيمته ولا تهن قوته ، فلو جمع الغرب والشرق الجموع ، وسددوا السهام ، وعقدوا العزم على الشر والكيد ، وبيتوا الغدر للاسلام والمسلمين ، فان ذلك لا يجدي شيئا اذا كانت العقيدة متمكنة من النفوس ، راسخة في القلوب تغار عليها وتفنى حبا فيها ، وتدافع عنها باستماتة ليبقى نورها دائما لا يخبو ، ولهيبها شعلة لا تنطفىء ، وسرها مغلقا لا ينفتح .

هكذا اراد الله ويريد ان تكون عقيدة المسلم ، وهكذا طهرها من الشوائب ، فلو وردت آلاف التيارات ، وطغت على الناس المظاهر والشكليات وغزت عقولهم الايديولوجيات ، وملأ اسماعهم وحياتهم ما جد وفسد من العقائد الزائفة ، والمذاهب الهدامة، وما حاكه اعداء الله من المؤامرات للاسلام ، وما دبروه من خطط وشيطنة لاضعافه ونخر عظامه بل ولمحوه من الوجود « لا قدر الله » من وسائل الدس وبعوث التبشير وملايين المطبوعات والكتب ، وسعيهم الحثيث للقضاء على اخلاق المسلمين ومبادئهم بكل ما يملكون من قوة وحول ، ومحاربتهم الاسلام في شتى بقاع العالم وتقتيلهم للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم وربهم ، فان المسلم الحق رغم هذه الدسائس والمكائد قوي في عقيدته ، شديد الايمان بها ، متصل بالله عن طريقها لا يبغي بديلا بها ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (4)

ان قوة المسلم تكمن في عقيدته ، فبقدر ما تكون هذه العقيدة شديدة متماسكة يكون المسلم قويا بها ، حريصا عليها ، عاملا لاجلها ، وبقدر ما تتخاذل هذه العقيدة وتتهلهل بقدر ما يهون المسلم وتصغر نفسه ، ويغلب على امره ، ويكون عرضة للانهزام والتخاذل .

ومهما حاول المسلمون الآن ان يبحثوا عن انفسهم ، ويتداركوا امرهم ، ويهيئوا للمعركة : معركة الايمان والكفر ، معركة الحق والباطل ، ويستعدوا لهذه المعركة بشتى الاسلحة الثقيلة والخفيفة فانهم يحاولون عبثا اذا لم يتسلحوا اولا وقبل كل شيء بسلاح العقيدة والايمان ، انه السلاح الوحيد اذا حمي الوطيس ، وادلهمت الحوالك ، انه السلاح الغالب في معركة فاصلة كالتي يخوضها المسلمون الآن ضد اعدائهم المتربصين بهم وضد العالم المتنكر لهم ، وضد العدو الذي لا يرحمهم ، وضد الركب الذي لا ينتظرهم ، واخيرا ضد انفسهم الساردة في غلوائها المنحرفة عن طريقها ، الا ما احرى المسلمين وهم يعيشون احلك الازمات واشقى الظروف ان يرجعوا الى الوراء قليلا قليلا ، ويتلمسوا النور من بعيد ، فيروا هذا النور وقد ملأ الكون سماحة وعدلا ، وحضارة ومجدا ، وفتوحات شاملة قد عمت الدنيا ، ويتحققوا بانفسهم من سر ذلك وعلته : وما السر الا ايمان كامل ، وعقيدة لا تلين ، ومبادىء عليا ، واخلاق مثلى ، ومعاملة برفق وحسنى ، وعدل شامل ، واخوة في الله عظيمة ، والفة متماسكة وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضا ، وسلف صالح لا يعرف الخنا ويترفع عن الدنايا ، ولا يرضى بالضيم ، ولا يخاف في الله وفي الحق لومة لائم ، فدانت لهم الدنيا بذلك وكتبوا انصع الصفحات ، وبيضوا وجه الدين واستنار بهديهم الناس في كل زمان ومكان ، وعاشت الامم الاخرى على موائدهم قرونا واحقابا . انهم لم يبلغوا تلك العظمة ، ولم يمتطوا ذلك المجد ، ولم تذلل لهم الارض مناكبها واكتافها الا لانهم انصاعوا للحق واذعنوا له ، وتمكن الايمان منهم وخالطت بشاشته قلوبهم ، وحكموا عقولهم في شهواتهم ، ولم يستمرئوا لذاذات الدنيا ومتعها ، ولم تطش الاهواء بأحلامهم ، وجعلوا القرآن والسنة حكما بينهم ،

---

(4) سورة آل عمران الآية 85 .

وآثروا الآخرة على الدنيا ، والثواب على الطمع ، وعرفوا انفسهم فعرفوا الله ، وعرفوا الله فلم ينشغلوا بسواه .

وبالنظر لحال المسلمين وواقعهم نجد الفرق واضحا ، والبون شاسعا بين سلف كتب العزة لنفسه بعقيدته وعمله فادركها ، وبين خلف تخلى عن العزة واسبابها فهان فى نفسه ، وانمحت مقوماته ، فضيع العزة الموعودة فى قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (5) .

وكيف يدرك العزة ويحققها من كان على ضعف فى الايمان ، وتضعضع فى العقيدة ، وتغلغل فى الشهوة ، وانحراف عن الجادة ، وتمرد على الاوامر والنواهي ، وتحاكم الى القوانين الوضعية ، وانسياق وراء المادة وشغف بها ، وانشغال بالسفاسف والتوافه ، وتعلق بقشور الحضارات الدخيلة ، وتقليد اعمى لما يرد من الموضات الخليعة المزرية .

كيف يدرك العزة من ضيع الامانة ، وركب نفسه ، وحكم شهوته على عقله وساءت اخلاقه ومعاملاته ، فلم يراع الا ولا ذمة ، ولم يحفل بكتاب وسنة ، وانقطعت صلته بالله ، ونفخ الصلف والكبر اوداجه وامضى الوقت فى الترهات والاوهام .

ان الشرط الوحيد للعزة فى الآية الكريمة هو الايمان الحق ، هو الايمان الصادق الذي يقهر الشم العوالي ، ويجعل من المؤمنين قوة لا تجابه ، وطاقة لا تقهر ، وسلاحا لا يفل .

والمسلمون اليوم بغير هذا السلاح تائهون فى قفر يباب ، قد اضاعوا انفسهم ورشدهم ، وتحكم الشيطان فيهم ، وتغلبت الشهوة عليهم فصاروا نهبا لهما ، وطوع أمرهما ، ومهما تغلبت الشهوة على العقول ، وجرى الشيطان من الانسان مجرى الدم ، فلم يحكم القياد ولم يلجم النفس بلجام العقل والتبصر الا ضاع فى خضم شهوته ونزل لسوء حظه الى دركات البهيمية ، وبذلك يسهل استعباده والتحكم فيه والسيطرة على حريته وامواله وبلاده ، وهذا ما وقع للمسلمين فعلا ، وهذا من اهم الاسباب المباشرة فى انهزامهم امام قوى الشر من اليهود والصهاينة . فاحتل القدس الشريف ووطئت اقدام العدو رحابه الطاهرة ، وعاث فى فلسطين فسادا وافسادا .

والعقل مع الشهوة فى صراع مستمر ، فهناك من يتغلب عقله على شهوته وهم الملائكة : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون » (6) .

وهناك الحيوانات التي تتغلب شهوتها على عقلها : « والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم » (7) .

والانسان بين بين ، فالسعيد من الناس من تغلب عقله على شهوته فارتفع الى مصاف الملائكة الابرار ، والشقي من الناس من تغلبت شهوته على عقله فهوى الى دركات الحيوان الاعجم .

والمسلمون اليوم للاسف الشديد غلبت على عقولهم شهواتهم ، واستعبدتهم رغباتهم فاتت على حاضرهم ومستقبلهم .

والقرآن الكريم يورد لنا نماذج ممن استعبدتهم الشهوة وجرت فى دمائهم وجعلتهم سجناء بين اسوارها ، ينظرون بمنظارها ، ويصدرون عنها واليها ، فاورثتهم تلك الشهوة انواعا شتى من الامراض ، واشكالا مختلفة من الاخلاق السيئة السافلة .

فمنهم من ابتلي بالنفاق فحكى الله عنه : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين » (8) ، يصدق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر . (9)

ومنهم من ابتلي بضعف العقيدة والتبعية المطلقة لغير الله فى قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله » (10) .

---

(5) سورة المنافقون الآية 8 .
(6) سورة الانبياء الآية 27 .
(7) سورة محمد الآية 12 .
(8) سورة البقرة الآية 8 .
(9) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص
(10) سورة البقرة الآية 165 .

ومنهم من اورثته الشهوة حب دنياه وانسته آخرته فى قوله تعالى :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » (11) .

ومنهم من اعمت الشهوة عينيه وخلب لبه المال الكثير والجاه العريض فلم ير اللذة الا فى ذلك قال تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا » (12) .

وهناك طائفة من الناس تخلت عن الاخلاص لله فى عبادتها وعملها وأصبحت تعمل ليراها الناس ، قال تعالى :

« والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » (13) .

فهؤلاء قرناء الشيطان رفقاء السوء ، عناصر فساد وافساد فى الامة والمجتمع تخلوا عن الاخلاص الذي هو سبيل النمو وطريق النهوض يجب ان نحذرهم ونجانبهم .

وهناك طائفة اخرى تجرهم شهوتهم للافساد بين الناس والخوض فى الفتنة وايقادها لتطير شرارتها فى كل مكان فتهلك الحرث والنسل قال تعالى :

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام ، واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد »(14)

ومن الناس من تؤدي به شهوته الى الجهل المقيت فيتبع كل هوى مضل ويصفق لكل ذي باطل، ويجهل انه على جهل لغروره وبطره ، وقد حكى الله عن هذا الصنف فقال : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » (15) .

وقال عنه ايضا :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » (16) .

وهناك صنف آخر من الناس تذبذبت عقيدته وتقلب كالمتلوف لا يريد الا ان تبسم له الحياة ، ولا يطمئن اليها الا اذا كانت مستبشرة ضاحكة كأنها ما خلقت الا لاسعاده وهنائه وحده ، فاذا اصيب يوما ما ثارت ثائرته وقامت قيامته وضل ضلالا مبينا :

« ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين » (17) .

وهناك صنف آخر ايضا تزين له شهوته ان يتاجر فى اللهو والعبث وينفق اوقاته فى غير طائل ، ويستهزىء بآيات الله واحكامه ويتبع كل ناعق ، ويتعصب لكل راي دخيل حتى اذا حاججته بمنطق الشريعة وادلتها العقلية والنقلية ادبر ادبارا ، ونكص على عقبيه فرارا ، حكى الله عنه فقال :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا اولئك لهم عذاب مهين ، واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان

---

(11) سورة البقرة الآية 200 .
(12) سورة آل عمران الآية 14 .
(13) سورة النساء الآية 38
(14) سورة البقرة الآية 204 .
(15) سورة الحج الآية 8 .
(16) سورة الحج الآية 3 .
(17) سورة الحج الآية 11 .

لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم » (18) .

هذه اصناف واصناف عرضها القرآن ليفهمنا ان صنف العقيدة والايمان منزه عن هذه الشهوات الدنيئة ، مترفع عن سفاسف الامور وأباطيلها متجرد لله في عمله معرض عما يغضب الله ويرضي الشيطان.

صنف الايمان صنف من طراز ممتاز لا يبيع آخرته بدنياه ولا يسفل في اخلاقه ومعاملاته ، ولا يقف مواقف الاتهام .

صنف الايمان معتز بعقيدته محافظ عليها ، متشبث بها ، باع نفسه لربه فلا يقيل ولا يستقيل ، لان الربح عظيم والثواب جزيل .

صنف الايمان صنف طهر الله قلبه ، واجرى الخير على يديه ، ونفخ فيه من روحه ، وامده بعونه، قد استكانت للحق نفوس اصحابه واهتدت للخير قلوبهم فلم يضعفوا ولم يهنوا ، ولم يخافوا ولم يحزنوا لان الله وعدهم النصر وكتب لهم العزة .

صنف الايمان صفت سيرته وسريرته ، وكان سره كعلانيته قد تشبعت نفسه من مبادىء الدين ، واستنار بهدي القرآن والسنة ، فوقف عند الحدود، ووفى لله بالعهود ، ولم يتجرأ على المحارم والشبهات واخلص لله في الاعمال والنيات .

هذا الصنف هو الذي أثنى عليه ربه بقوله : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » (19) .

ولقيمة هذه الطائفة المؤمنة ووزنها اناط الله بها حمل الامانة وكلفها بتبليغ الرسالة ، وحملها الدعوة واجتباها لها فقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم » (20) .

**فاس : أحمد البورقادي**

(18) سورة لقمان الآيتان 6 ـ 7 .
(19) سورة البقرة الآية 207 .
(20) سورة الحج الآية 77 .



# مسيرة التربية الإسلامية

للدكتور أحمد الشرباصي

كان مسيرة التربية فى المجتمع العربى الاسلامى قد بدات طريقها المرسوم الواضح باشراف الاسلام ، فقد كانت طرق التربية فى الجاهلية مرتجلة غير منتظمة ، لا تخلو من خير ، ولكنها لا تخضع لمنهج ، ولا تلتزم بخطة ، فلما جاء الاسلام جعل من اهدافه ان يقيم للتربية اسسا وقواعد ومبادىء .

واذا كان الاسلام قد ظهر فى امة امية ، وجاء على يد رسول بعثه الله فى الاميين ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فان هذا الرسول قد وجه همته وهو يبلغ رسالته الى اعزاز شان العلم والكتابة والقراءة ، ومن مظاهر ذلك انه جمع حوله طائفة من الذين يعرفون الكتابة ، ليكتبوا له ما نزل من القرآن ، وما يبعث به الرسول من رسائل ، وقد زادت هذه الطائفة على الثلاثين كاتبا ، وانه ارقم عظيم بالنسبة الى قلة الكاتبين فى الامة العربية حينئذ .

وكان الرسول قد اعتزم منذ الطليعة ان يمحو الامية من المجتمع ، فامر عبد الله بن سعيد بن العاص ان يعلم الناس الكتابة بالمدينة ، وكان كاتبا محسنا ، ونرى احدى امهات المؤمنين زوجات الرسول وهى السيدة حفصة رضى الله عنها تتعلم الكتابة على يد « الشفاء بنت عبد الله العدوية » التي كانت امراة كاتبة فى الجاهلية ، واستراح النبى الى ذلك ، وكانت ام المؤمنين عائشة تقرا وان لم تكتب ، وكذلك كانت ام المؤمنين ام سلمة رضوان الله على الجميع .

ولا يقال هنا : لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان اميا ، لان امية الرسول كانت لسبب يتصل بالمعجزة الكبرى له وهى معجزة القرآن الكريم ، فكان مجىء هذه المعجزة على يد نبى امى لا يقرا ولا يكتب ادل على نبوته ، ولذلك يقول العلماء : ان الامية فى الرسول مفخرة ، ولكنها فى سواه عيب .

ولما كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فقد انتهز الرسول صلى الله عليه وسلم انتصار المسلمين فى الغزوة الاولى غزوة بدر ، ووقوع عدد من الاسرى فى ايديهم ، ووجود عدد منهم يعرف القراءة والكتابة ، واعلن ان الاسير الذى يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة يفدى نفسه بذلك ، ويتحرر من الاسر .

وبدات اول حملة مباركة فى التاريخ لمحو الامية بصفة جماعية ، فقد علم هؤلاء الاسرى عشرات من المسلمين ، وهؤلاء العشرات علموا من ورائهم عشرات وعشرات وعشرات ، وانتشرت الكتابة والقراءة وتفتحت ابواب للثقافة والعلم ، وكان من وراء ذلك نصر كبير للتربية التى تعتمد على العلم والثقافة .

وتكاثرت حلقات التربية والتعليم فى المساجد والزوايا والكتاتيب والربط ودور العلماء وقصور الخلفاء والامراء ، ورأينا الصلة تنشا بين مكان التربية والبيت ، لان العرب قد ادركوا منذ القدم اثر البيت فى الولد ، حتى قال بعض السلف : « الطفل

صورة عائلته ، فكل ما فيها من خير او شر ، وكل ما سمعه ورآه ينطبع فيه ، ولهذا كان جهد الامهات من اهم الامور فى تربية الابناء ، ومن ربى عاله ، ولم يرب ولده ، فقد ضيع الولد والثروة » .

ومن دلائل التعاون المثمر بين البيت والمربين هذه الوصايا التى كان يوجهها عقلاء العرب الى الذين يربون ابناءهم ويعلمونهم . ومن امثلة هذه الوصايا وصية عتبة ابن ابى سفيان المتوفى سنة اربع واربعين للهجرة ، ومنها قوله لمؤدب ولده : « ليكن اول ما تبدأ به من اصلاح بنى اصلاح نفسك ، فان اعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه .

ثم روهم من الشعر اعفة ، ومن الحديث اشرفة ، ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى ، وادبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتك اياهم ازدك واياك ان تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وزد فى تأديبهم ازدك فى برى ، ان شاء الله تعالى » .

ومن هذه الوصايا ما أوصى به هارون الرشيد على بن المبارك الاحمر مؤدب ولده الامين ، وفيها يقول له : « يا احمر ، ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن بحيث وضعك امير المؤمنين، اقرئه القرآن ، وعرفه الاخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير ان تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويالفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

واتسع نطاق التربية والتعليم ، وظهرت فى الامة فقهاء وعلماء وادباء وخطباء وشعراء، ومؤرخون ولغويون ومفسرون ومحدثون ومؤدبون، وشاركت المراة العربية فى هذه النهضة ، فما من حقل من حقول المعرفة والثقافة نبغ فيه رجال الا وافقتهم نساء ، وظهر فيمن ظهر طائفة « الكتاب » الذين يقومون بوظيفة « الكتابة » وهي وظيفة ذات شان وخطر ، لا يراد منها مجرد الانشاء او التسطير ، بل هى وظيفة جليلة خطيرة قد يوازى احيانا منصب الوزارة ، وكانت مهمة الكاتب غير بعيدة من مهمة المعلم والمربى ، وهذا عبد الحميد بن يحيى العامري زعيم الكتاب فى أواخر دولة الامويين يقول لمن يشتغلون بهذا العمل ان الله « جعلكم معشر الكتاب فى اشرف الجهات ، اهل الادب والمروءة والعلم والرواية ، بكم تنتظم الخلافة محاسنها ، وتستقيم امورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلادهم ، لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كاف الا منكم » .

ولقد وجه عبد الحميد الكاتب الى اهل الكتابة وصية تربوية حكيمة تعاون على رسم الصورة الباهرة لهيكل التربية العربية الاسلامية ، ومن هذه الوصية قوله :

« فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الادب ، وتفقهوا فى الدين ، وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فانها ثقاف السنتكم ، ثم اجيدوا الخط ، فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم ، واحاديثها وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر فى الحساب ، فانه قوام كتاب الخراج .

وارغبوا بانفسكم عن المطامع ، سنيها ودنيها ، وسفساف الامور ومحاقرها ، فانها مذلة للرقاب . مفسدة الكتاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات، واربئوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ، وما فيه اهل الجهالات، واياكم والكبر والصلف والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة من غير احنة ، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذى هو اليق باهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم » .

ومع ان التربية العربية الاسلامية بقي فيها — بصفة مستمرة — قدر من الاسس والعناصر ، رغم توالى الاحداث وتغير الاحوال ، نلاحظ ان هذه التربية كانت تتعرض لجانب او جوانب التكيف الخاص، بسبب هذا الظرف او ذاك من ظروف المجتمع ، فكان هناك فريق يسيطر عليهم التشدد والتزمت ، فاذا الصبغة الدينية الواضحة تسيطر على زمام تربيتهم ، ثم

ينحرفون فى تصور الدين فيجعلونه سلبية وعزلة وزهدا انطوائيا ، وكان هناك فريق يتوسعون فى اخذ أنفسهم بالتربية الروحية الصوفية التى تبلغ بهم فى كثير من الاحيان حد الشطح او التوهم او الخيال ، وكـــان هناك فريق من الناس تتهيا لهم اسباب الترف والتمتع بالحياة ، فيؤثر ذلك فى تربيتهم من هذا الجانب او ذاك ، وكان هناك من يخضع لفكرة مذهبيـــة او وجهـــة سياسية ، فاذا هذه الفكرة او تلك الوجهة تشكـــل تربيته كلها او بعضها بشكل معين .

وكذلك جدت فى الدولة أعمال ومناصب وحرف مختلفة اقتضت أن يضاف الى المبادىء الاساسية فى تربيتهم بعض العناصر ، فمن كان معدا للكتابة يؤخذ بلون خاص من التوجيه ، وكذلك من كان معدا للوزارة ، او الولاية ، او قيادة الجيش ، او القضاء ، او اى عمل من الاعمال ، او حرفة من الحرف (1) .

وجدت بعض النظم الاجتماعية او الاخلاقيـــة اقتضت تعديلا قليلا او كثيرا فى طريقة تربية أصحابها ، مثل الفروسية ، والفتوة ، والتصوف ، والحسبة ، وغيـــرهـــا .

وكان لاختلاف هذه الاحوال والاوضاع أثر كبير فى تغير الصورة المتكاملة للتربية العربية الاسلاميـــة التى ازدهرت ومهرت فى صدور الاسلام ، فنقص منها فريق ، وادخل عليها الدخيل فريق آخر ، بحيث فقدت الصورة الرائعة استقرارها واثمارها كما اراد لها الاسلام ، وان كانت اصولها وقواعدها وأسسها بقيت فى بطون الكتب والمصادر ، وظلت تساير عقـــول المصلحين من العلماء والحكماء .

وجاءت النكبات السياسية ، والمكائد الاجنبية ، والمؤامرات الشعوبية ، والخلافات الدينية ، والمطامع الدنيوية ، والملاحاة المذهبية ، فمزقت الامة العربية وجعلتها شيعا ، ومزقت الارض العربية فجعلتها قطعا ، فلم تبق تلك الوحدة الدينية والدنيوية التى كانت تهيء جو الاستقرار والثبات لتربية عربية اسلامية موحدة ، تطبع ابناء الامة المؤمنة بذلك الطابع التربوي الديني الاخلاقى الدنيوى المهيء لسعادة الدنيا والآخرة .

— ⁂ —

وبرغم كل هذه الاحداث والمحن لم تنقطع مسيرة التربية الاسلامية العربية ، وان تحيفتها عوامل التعويق والتمزيق ، وبعد ان استخدم المربون المسلمون المسجد والزاوية والمكتب والدور والقصور وحوانيت الكتب . عرف المجتمع العربى الاسلامى نظام « المدرســـة » بمفهومها الخاص ، ووقف القادرون من المسلمـــين الكثير من الاوقاف على المدارس ودور العلم ورجاله وطلابـــه .

وسيظل تاريخ التربية عند العرب يذكر بالتقدير والتنويه شخص الوزير : نظام الملك الحسن بن على بن اسحاق الطوسى ، وزير الملك شاه السلجوقى ، والمتوفى سنة 485 هـ . لان هذا الوزير هو الذي أنشأ المدارس بمعناها الخاص فى المجتمع العربي الاسلامي فى اواسط القرن الخامس الهجري ، ونسبت هـــذه المدارس اليه ، فسميت بالمدارس النظامية ، وبدا بناء اول مدرسة منها سنة 457 على شاطىء دجلة ببغداد ، وتم بناؤها سنة 459 .

واذا كان المسجد هو المدرسة الاولى فى المجتمع العربى الاسلامى ، وقام الى جواره «المكتب او الكتاب» وانضم اليهما الربط والزوايا والدور والقصور والمكتبات وانشا العباسيون « بيت الحكمة » فى بغداد ، وانشا الفاطميون « بيت الحكمة » فى مصر ، فان اغلب مؤرخى التربية الاسلامية يرون ان تاريخ المدرسة العربيـــة الاسلامية يبدا بالمدارس النظامية .

ولكن ينبغى أن نذكر ان هناك من يقرر ان المجتمع العربى الاسلامى قد عرف نظام المدرسة قبل المدارس النظامية التى انشاها نظام الملك الطوسى ، فقـــد ذكر ابن خلكان والسيوطى ان هناك مدارس انشئت قبل المدارس النظامية ، منها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة 406 هـ والمدرسة البيهقية ، نسبة الى البيهقى المتوفى ســـنة 450 هـ .

ولعل السبب فى القول بان المدارس النظامية هى اول المدارس هو أنها كانت مدارس كبيرة ، وكـــان التعليم فيها مجانا ، وكان التلاميذ يأخذون فيها ارزاقا ومعونات . وقد اشار الى ذلك السبكي فى كتابـــه « طبقات الشافعية الكبرى » ، حيث ذكر ان التعليم فى المدارس النظامية كان مجانيا ، وكان هناك بجوار هذا رواتب للطلاب الفقراء .

والاسلام فيما نعلم هو اول من قرر مجانيـــة التربية والتعليم ، وكان القرآن المجيد اول من وجه الى

1) يمكن ان نتعرف الى شواهد الذلك فى مثل كتاب (( نهاية الارب )) للنويري ، وكتاب (( صبح الاعشى )) للقلقشندي .

ذلك ، حيث قال : « قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين » ، وقال : « قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله » ، وقال : « ام تسالهم خرجا ( اى اجرا ) فخراج ربك خير ، وهو خير الرازقين » . وهذه آية تكررت خمس مرات فى سورة الشعراء على السنة خمسة من الرسل ، وهى : « وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين » . ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » .

ومن هنا تخرج كثير من المعلمين والمربين فى صدر الاسلام ، فلم يأخذوا على التربية او التعليم اجرا وكان الانجاه العام فى صدر الاسلام ان يكون الارشاد احتسابا لوجه الله تعالى ، ولكن حينما احتاجت الامة الى معلمين متفرغين ، كان لابد من صيانة حياتهم وكفالة مطالبهم ، حتى يحسنوا التفرغ لعملهم ، ولذلك راى الامام الشافعى — كما يروى الغزالى فى فواتح العلوم — ان اخذ الاجرة على تعليم القرآن جائز ، وكذلك على الآذان ، واقامة صلاة القيام ( التراويح ) وكذلك على الاذان ، واقامة صلاة القيام ( التراويح ) يفرغ قلبه من هم المعيشة وينفرغ للتعليم ، وقد اجازت ذلك مذاهب اخرى .

وقد عاون على تحقيق مجانية التربية والتعليم امام الطلاب والتلاميذ فى المجتمع العربى الاسلامى تلك الاوقاف الخيرية التى كان يقفها اغنياء المسلمين والعرب على العلماء والتعليم وطلاب العلم ، ولقد استطاع الجامع الازهر الشريف ان يقضى من عمر الزمن الف عام ، وهو قائم بتعليم علوم الاسلام والعربية للالاف المؤلفة من طلابه مجانا بلا مقابل ، وكان كثير من علمائه يتطوعون بالتدريس حسبة لله جل جلاله ، ومنهم من كان يكتفى باقل الزاد فى مقابل قيامه بالتدريس .

ويزداد افتخار الامة العربية بذلك حينما تذكر ان الازهر الشريف كان اقدم الجامعات واسبقها ، فقد تاسس قبل جامعة بولونا فى ايطالية ، وقبل جامعات باريس واكسفورد وكمبردج وبراغ .

— ⁂ —

## اللغة والتربية

اذا كانت اللغة القومية هى الركيزة الاولى التى يجب ان ترتكز عليها التربية ، فاننا نلاحظ ان الاسلام قد اعطى اللغة العربية قداسة وخلودا ، اعطاها قداسة بان جعلها لغة القرآن : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا » ، « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » ، واعطاها قداسة حين جعل كلمات القرآن وحيا الهيا يتعبد المؤمنون به ، ويرددونه فى صلواتهم، واعطاها خلودا حيث جمع لسانها على هذا البيان القرآنى المعجز الباقى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم اللغة العربية هى العنصر الاساسى فى بناء العروبة فقال « يا ايها الناس ، ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية باحدكم من أب ولا ام ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

وهذا الموضوع يذكرنا بما بين القومية والعقيدة من صلة وارتباط فى المجتمع العربى ، وعلى الرغم من المكائد الكثيرة الموصولة لايجاد الوان من الشقاق بين العروبة والاسلام ، ظل البصراء من ابناء هذه الامة العربية ذات الرسالة المجيدة والتراث العظيم يؤمنون بان الالتئام الواعى البصير بين قوميتنا وعقيدتنا ركن ركين فى بناء حضارتنا ومدنيتنا ، وفى سنة 1959 قلت فى كتابى « وسائل تقدم المسلمين » هذه العبارة :

« لقد كان من نتيجة كفاح العرب الاخير فى سبيل حريتهم واستقلالهم ان استيقظت فيهم القومية العربية، وانتشرت دعوتها بينهم بصورة قوية واضحة ، حتى نص الكثيرون فيهم عليها فى مناهجهم الاساسية وقواعدهم السياسية العامة ، ونحن فى فورة الحماسة لهذه القومية ، وفى ثورة الجهاد لتحقيقها وتكريمها ، يجب ان نذكر الصلة الوثيقة — التى يلزم ان تزداد على الدوام توثقا بين العروبة والاسلام ، وما عقدته يد الله الحكيمة القوية لا يجوز ان تحله يد الانسان او يد الشيطان .

وقد أراد العليم الخبير ان تكون العروبة وعاء الاسلام ، واراد فى الوقت نفسه ان يكون الاسلام روح

تلك العروبة ، والعامل المهم فى تحررها وتكريمهـا وتعظيمها وتخليدها على الايام ، فقد شاء الله أن يكون نبى هذا الدين رجلا عربيا من صميم العرب ، واصدقهم فى العرب نسبا ، وجعل الله تعالى مبعث هذا النبى ومبدا دعوته العالمية الباقية فى ارض عربية وواد عربى هو اشبه بمركز الدائرة بين بلاد العروبة ، وانزل الله دستور هذا الدين المتعبد به ، وهو القرآن المجيـد المحفوظ ، بلسان عربى مبين ، وفصله بيانا عربيا ، غير ذى عوج ، وجعل تفسير هذا الدستور الالهى الخالد تفسيرا عربيا فى لغته وبيانه ، وهذا التفسير هو الحديث الشريف .

وجعل الله المسارعين الى هذا الدين وحملتـه الاوائل الموصوفين فى كل جيل بأنهم السلف الصالح وبأنهم السابقون المحسنون ، جعلهم قوما عربا مـن صميم العرب فى دارهم وجنسهم ولغتهم وخصائصهم ، وجعل القبلة التى يتجه اليها المسلمون كل يوم عدة مرات بأبصارهم وبصائرهم ، واشباحهم وارواحهم ، وحواسهم ونفوسهم ، بنية فى ارض عربية عريقـة العروبة ، وهى الكعبة الحرام فى مكة المكرمة التى يقول فيها القرآن المجيد : ( جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ) ، ومكة المشرفة التى يشير اليها القرآن وينوه بها ، ويقرر ان الكعبة اول بيت وضع للناس ، فيقول سبحانه : ( ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة . . . ) الآية .

واذا كان الاسلام قد رفع من شأن العروبة بهذا القدر ، فان العرب الاوائل الذين حملوا رسالة هذا الدين قد أدركوا فضل هذا الصنيع من الاسـلام ، فاستجابوا له ، واخلصوا فى خدمته ، وخضعـوا لسلطانه طواعية واختيارا ، واعتـزوا به الاعتـزاز البليغ ، ونسوا فى سبيله احسابهـم وانسابهـم ، وعنجهياتهم وعصبياتهـم ، وباعوا لله من أجلـه ارواحهم ، وبذلوا اموالهم وحصروا فخرهم فـى الاعتزاز بهذا الدين ، والعمل بمبادئه الانسانيـة السمحـة » (2) .

## من اعلام التربية فى الاسلام

لقد ازدانت مراحل التاريخ العربى الاسلامـى بطائفة من اعلام المفكرين الموجهين الذين كتبـوا فى التربية ، وتحدثوا عن اسسها واهدافها ، وعـن عناصرها ومقوماتها ، ومن هؤلاء : الغزالى وابـن خلدون وابن سيناء ، والماوردى وابن مسكويه وابـن جماعة ، والقابسى والاصفهانى والنعيمى ، والسبكى والزرنوجى وابن حزم ، والباهلى وزكريا الانصارى وابن حجر الهيثمى ، وغيرهم .

وكان ظهور هؤلاء الاعلام ثمرة طيبة للتفاعـل العقلى الواسع والذى احدثه الاسلام بنزول القرآن وانتشار الدعوة ، واتصال البيئة العربية بغيرها من البيئات علميا وثقافيا ، وقد كان لدى هؤلاء الاعلام استعدادهم الشخصى لنبوغهم فيما نبغوا فيه ، وتأثرهم بالتغيير الكبير الذى احدثه الاسلام ، وعوامل البيئة التى نشأوا فيها ، ثم اجتهادهم واستنباطهم ، ثـم اطلاع الكثير منهم على جوانب من التراث المترجم عن غير العرب بعد اتساع الفتح الاسلامى .

وليس من الميسور فى مجال محدود كهذا المجال أن نستوعب الحديث عن كل اعلام التربية فى التاريخ العربى ، بل الميسور هو أن نعرف تعريفا موجـزا بمذاهب عدد منهم فى التربية واسسها ، ليكون هذا التعريف معوانا على استكمال الرؤية الفكرية للاسس التاريخية فى تراثنا العربى الاسلامى التربوى .

## الغزالـى والتربيـة

واول من نختاره من بين هؤلاء الاعلام حجـة الاسلام ابو حامد الغزالى الذى توفى سنة خمـس وخمسمائة للهجرة ، فقد تحدث عن امور التربية فى طائفة من كتبه اهمها « احياء علوم الدين » ثم « ايها الولد » و « المنقذ من الضلال » و « ميزان العمل » ، و « الرسالة اللدنية » و « فاتحة العلوم » .

واول ما نلحظه فى حديث الغزالى عن التربية انه يجعل الدين اساسا اهم من كل اساس فى كيان التربية ولذلك نراه يصدر كل فصل من فصول « الاحياء » بايراد الآيات القرآنية والاحاديث النبويـة وآثـار الصحابة والسلف المتعلقة ببيان المسائل التربوية التى تعرض لها ، وكذلك يؤمن بأن التصوف السليم الصادق يورث الانسان معرفة واستقامة لا مثيل لهما ، ولعل السبب فى هذا الاتجاه من الغزالى انه ــ كما ذكرت فى كتاب « الغزالى والتصوف الانسانى » ــ قـد

2) كتاب « وسائل تقدم المسلمين » ص 120 ــ 122 . طبعة سنة 1959 م .

تصوف على بصيرة « فجمع بين التصوف والشريعة ، واحتكم في تصوفه الى القرآن والسنة ، واعطى التصوف صبغة اسلامية فتحت الطريق للوفاق بين الفقهاء والصوفية ، وربط تعاليم التصوف بمبادىء الاسلام ، وكما فسر الاسلام في ضوء التصوف ، فسر مبادىء التصوف في ضوء الاسلام، وكون من الشريعة والحقيقة – او من الفقه والتصوف – مزيجا آمن بأنه الاسلام المثمر لما فيه من حياة » (3) .

والغزالي المربي يرفع مكانة العلم الى اعلى مكانة ، ولذلك صدر كتابه « الاحياء » بالحديث عن العلم والمعلم والمتعلم ، لان هذا الموضوع كما يقول هو « غاية المهم » .

ويمكن ان يقال ان الغزالي قد وضع في كتبه نظاما تربويا كاملا ، وقد ظهر هذا بوضوح في كتابه الجليل « الاحياء » ، ولو ان ما تناثر في كتب الغزالي عن التربية تهيأ له التجميع والترتيب والتبويب لاستوت امامنا خطة التربية متكاملة ، واذا كان النظام التربوي ينص على دعامتين هما المنهج والطريقة ، فالغزالي قد تحدث بتوسع عنهما .

والغزالي بعد ان يقرر ان التربية والتعليم من الفرائض الاجبارية يذكر ان هناك علوما مفروضة فرض عين ، يطالب بها كل مكلف ، وهي علوم الدين التي نعرف منها العقائد والعبادات ، وان هناك علوما مفروضة فرض كفاية ، اذا قام بها عدد من ابناء الامة بصورة كافية سقط الاثم عن الباقين . والا كان الجميع آثمين اذا اهملوها ، وفي ذلك يقول :

« اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ، كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان ، وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى ) وسقط الفرض عن الاخرين ، فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات ، كالفلاحة والحياكة والسياسة ، بل الحجامة والخياطة ، فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم ، وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك ، فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله ، واعد الاسباب لتعاطيه ، فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله » (4) . وفي هذا النص اشارة الى الاخذ بالتخطيط في التعليم ، وتوزيع الطلاب في دراستهم حسب حاجات المجتمع .

ويستعرض الغزالي العلوم والموضوعات التي يدرسها المتعلم ، ويوضح مراتبها ، ويبين الطريقة التي يدرس بها المعلم هذه المواد ، ويؤكد ان العنصر الديني في التربية هو الجوهر الاساسي المطلوب من ورائها ، لان غاية التربية هي التقوى والفضيلة والقرب من الله تعالى ، مع عدم اهمال الدنيا ، ولكن على اساس ان الدنيا مزرعة للاخرة . ولذلك كانت العلوم الدينية عند الغزالي هي اهم العلوم ، وتليها علوم اللغة ، وتليها العلوم الضرورية لحياة الناس كالطب والحساب والصناعات ، ثم تليها العلوم الادبية الثقافية كالشعر والتاريخ والفلسفة والمنطق . ويرى الغزالي ان هناك علوما مذمومة على كل حال ، كالسحر والشعوذة والتنجيم الذي يراد منه (كشف الطالع) ، وان هناك علوما محمودة حينا ، ومذمومة حينا آخر كبعض الفلسفة وبعض المذاهب الطبيعية .

ويقرر الغزالي ان الانسان لا يولد عالما ، وانما يستطيع ان يصير عالما بالتعلم ، واذا كان هناك ما يسمى « علم المكاشفة » الذي لا تطيق افهام الخلق احتماله ، فان « علم المعاملة » هو ما يطالب فيه العلم به والعمل بمقتضاه ، ويذكر لنا الغزالي ان المقصود من كتابه « احياء علوم الدين » هو علم المعاملة فقط ، وينوه حجة الاسلام باهمية العمل بالعلم فيقول : « العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون » . ويقول ايضا : « فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات » .

واذا كان الغزالي يجعل للعقل قيمة كبيرة في الادراك والفهم ، فانه يقرر ان العقل مهما كان كبيرا لا يستطيع صاحبه الاكتفاء به والاستغناء عن الشرع ، ويصور ذلك بصورة تشبيهية تمثيلية ، فيذكر في كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد » ان العقل المنزه عن الخبث والهوى يشبه العين السليمة من العاهات والآفات ، وان الشريعة تشبه الشمس التي تغمر الاشياء بنورها فتكسبها الوانا ، وتصبح رؤيتها ممكنة ، فلا العين

---

3) الغزالي والتصوف الاسلامي ، ص 181 طبعة دار الهلال سنة 1965 م .
4) احياء علوم الدين ، ج 1 ص 28 طبعة سنة 1356 هـ . لجنة نشر الثقافة الاسلامية .

تستطيع الرؤية دون النور ، ولا الالوان تظهر الا اذا راتها العين ، وعلى هذا فالانسان الذى يردد آيات القرآن دون ان يستخدم عقله فى فهمه ، يشبه من يغمض عينيه فلا يرى الضياء ، فلا فرق بينه وبين من فقد بصره حقيقة ، والذى يعرض عن الشريعة زاعما انه يستطيع الاعتماد على العقل وحده ، يشبه من فسد طبعه ، ويصر على رؤية الاشياء فى ظـــلام مطبق ، فالصواب هو ان نجمع بين هدى الشريعـة ونـور العقـــل .

ويرى الغزالى انه ينبغى ان يكون التعليم بحسب الحاجة اليه ، وبحسب ما يتجدد من الحال ، ويرى انه من العبث ان نعلم الانسان شيئا لا يحتاج اليه ، فما الداعى الى تعليم الابكم الذى لا يتكلم النــوع المحرم من الكلام ، وما الداعى الى ان نعلم مكفوف البصر ما يحرم النظر اليه ، وهكذا (5) .

ويرى انه ينبغى التلطف فى توصيل المعلومات الى ذهن من يتعلم ، ويضرب لذلك مثلا ما فعله بعض الحكماء حينما اراد استمالة بعض الرؤساء الـى علم الطب ، فسماه « تقويم الصحة » وصاغ معلوماته على هيئة تقويم النجوم ، موضوعا فى الجداول والرقوم، ليكون ذلك دافعا الى المطالعة ؛ لان « التلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد ، أهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد » . وهو يقصد بالعلم الذى يفيد حياة الابد علم الدين والفقه والاخلاق ، لان ثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح ، المتوصل به الى حياة تدوم ابد الاباد ، فأين منه الطب الذي يعالج به الاجساد ؟ (6)

وينص الغزالي على طائفة من الصفات والاداب التى يجب أن يتحلى به المعلم المربى ، ومنها :

1 ــ ان يستشعر الشفقة على التلاميذ دون ضعف ، وأن يجعلهم كابنائه .

2 ــ ان لا يقصر فى خدمة المتعلم ، ولا يترك من نصحه شيئـــا .

3 ــ ان يزجر المتعلم عن سوءالاخلاقبطريقالتعريض قـــدر الامكـــان (7) .

4 ــ ان لا يقبح المعلم فى نظر المتعلم علما آخر غيـر العلم الذى يدرسه لـــه ؟

5 ــ ان يقتصر مع المتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقـى اليه ما لا يبلغه عقله فيدفعه ذلك الى النفور من التعلـــــم .

6 ــ ان يبدأ مع المتعلم بالجلى الواضح .

7 ــ ان يعمل المعلم بعلمه ، ليكون قدوة صالحة امام تلميـــذه .

وينص كذلك على طائفة من الاداب التي يجبان يتحلـى بها التلميــذ ، ومنهـــا :

1 ــ تطهير نفسه وتجريدها من الرذائل .

2 ــ عدم تعلقه بالشئون الدنيوية الملهية .

3 ــ التواضع للمعلم وحسن الادب معه .

4 ــ عدم المجادلة قبل استيفاء العلم .

5 ــ ان لا يترك طلب علم من العلوم المفيدة ، بـــل يحصل العلوم المتنوعة بقدر امكانه .

6 ــ التدرج فى دراسة العلوم ، مع الترتيب والبــدء بالاهـــم فالاهـــم .

7 ــ ان لا ينتقل من علم الى علم حتى يتقن العلـــم السابـــق حســـب الترتيـــب .

8 ــ ان يعرف الثمرة والفائدة من العلوم التى يتعلمها .

9 ــ ان يقدم العلم القريب المتناول على البعيد .

10 ــ ان يقصد من تعلمه تربية نفسه وتجميلهــــــا بالفضيلة والتقرب من الله .

— ** —

5) احياء علوم الدين ، ج 1 ص 26 .
6) المرجع السابق ، ص 5 .
7) يطالب الغزالى بحسن توجيه الغرائز عند المتعلم ، وبتعويده شيئا من الخشونة فى الحياة ، مع اعطائه حظه من اللعب واللهو البرىء ، مع تعويده آداب السلوك والمعاملة .

هذا ولقد قلت فى كتابى « الغزالى والتصوف الاسلامى » فيما يتعلق باسلوبه فى التفكير هـــــذه العبـــــارة :

« والغزالى يتبع الطريق العلمى السليم فى بحوثه، فهو اولا يقدم لموضوعه بمدخل يمهد الطريق امامه ، ثم هو يستعرض جوانب الموضوع المختلفة ، ويذكـــر وجهات النظر المتعددة فيه ، كأن يذكر المضار والمنافع، او المحاسن والمساوىء ، ويذكر ادلة المختلفين فيه ، ثم يعقب ذلك بعرض رايه الشخصى ، سواء اوافق رأى من سبقه أم خالفه .

وهو يستند فى بحثه الى الحس ، والعقل ، والتجربة الذاتية ، والتذوق ، والادراك ، والالهام ، واذا كان الغزالى قد آمن بطريق القلب فى المدركات الدينية — وخاصة عقب تصوفه — فانه لم ينكـــر الحقائق العلمية ، وقد فرق بين العلم والدين حين قال ان العلم يستند الى العقل ، والدين ينبعث من القلب ، وفى الوقت نفســه يؤكد انهلا تناقضبين العلم والدين؟

ولقد كان الغزالي فى صدر حياته يظن ان العقل هو الملكة العليا ، وانه اذا تحرر وانطلق استطاع ان يدرك الحقائق ويعرف الاصول ، ولذلك كان يؤكد ان التقليد والجمود والتعصب والهوى حواجز تمنع مـــن المعرفة الصحيحة والتفكير الحر .

وعلى الرغم من أن الغزالى قال : « ان الذيـــن اعتقدوا الدين تقليدا وسماعا من ابويهم من غير بحث عن الطرق البرهانية هم المسلمون حقا» فانه كانيكتب بعقل وتفكير ، بدليل اننا نراه فى كتابه « احياء علـــوم الدين » يفرق بين ايمان العوام الذى يستند الـــى التقليد فقط ، ويجعل هذا اقل درجات المعرفة ، وايمان المتكلمين ، وهو يعتمد على نوع من الاستدلال ، وهو اعلى من ايمان المقلدين ، وايمان العارفين الـــذى ينهض على المشاهدة المؤدية الى اليقين .

ولكن الغزالى لم يحصر طريق المعرفة فى العقل ، بل هو يجعل طرق المعارف ثلاثةانواع . حسية، وعقلية، ودينية . يبدأ الانسان بادراك العالم الظاهري الحسي بالحواس الخمس ، ثم يتحرك عقله وينمو فيدرك به المعقولات ، كالواجبات والجائزات والمستحيلات ، كما يدرك به المعانى الكلية والحقائق العقلية المستترة خلف المحسات .

ومن وراء العقل عين اخرى تدرك المعـــــارف الدينية ، ومنها يدرك الانسان الانوار الغيبية ، وهذا يتمثل فى النبوة ، ويربط الغزالى هذا بالحديث النبوى الذي يقول : « ما من عبد الا ولقلبه عينـــــان ، فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا فتح هاتين العينين يرى بهما ما هو غائب عن بصره » .

ومعنى هذا ان الغزالى يقول بحاسة سادسة يمكن ان نسميها « الحاسة الدينية » ، ويرى ان محل هذه الحاسة هو القلب ، وهو حسب تعبيره « اللطيفة الربانية الروحانية التى لها بالقلب الجسمانى تعلق » .

وهذا القول يذكرنا بما يذهب اليه الفيلسوف « وليم جيمس » (8)فى كتابه :« تعدد التجارب الدينية» حيث يرى أن التجارب الدينية تختلف باختلاف الطبائع والامزجة ,والثقافات والبيئات،لان مرد التجربةالدينية الى « الشعور » فاذا استطاع الانسان ان يغوص فى اعماق نفسه انعقدت بينه وبين ربه صلة هى ما نسميها بالتجربة الدينية ، ويصور الانسان هذه التجربة بحسب ما يحسه فى نفسه ، ولذلك تختلف التجارب هنـــــا وتعـــــدد .

وهذا القول يشبه — كما عرفنا — ما ذهب اليه الغزالى من القول بالحاسة السادسة : « الحاسة الدينية » ، من ناحية الاعتماد على التجربة أو التذوق ، واختلاف التجارب ، وتفاوت المراتب ، وان كان بين الاثنين بعد هذا من الاختلاف ما بين الغزالى المتصوف وجيمس الفيلسوف .

---

8) وليم جيمس : فيلسوف وطبيب امريكى ، ولد سنة 1842 م وتوفى سنة 1910 ، وله كتب منها « مبادىء علم النفس » و « ارادة الاعتقاد » ، وكان لكتابه « احاديث الى المعلمين عن علم النفس » تاثير عميق فى اتجاهات التربية ، وقد عنى بتوجيه الانظار الى دراسة غرائز الاطفال واستخدامها فى التربية . ويرى أن المربى يحتاج — عدا المعرفة العلمية — الى موهبة ومهارة ولباقة خاصة ( الموسوعة العربية الميسرة ) .

# الـــرّوح وتجربة المـــوت

للأستاذ محمد حمادي العزيز

اذا كانت حياة الانسان على الكوكب الارضى تبدا باتصال الروح بالجسم وحلولها فيه ، بأمر الله الخالق ، من حين الميلاد المحدد الى حين الاجـــل الموقوت فان الموت هو انفصالها عنه ، ومغادرتها له ، وابقاؤه جثة هامدة لا حراك لها توارى فى تراب الارض ، وتركها الكوكب الارضى وكل ما هو طبيعى وكونى للالتحاق بالملا الاعلى (1) فى عالم ما بعـــد المـــوت .

فالحياة ، اذن ، هى اتصال الروح بالجســـد وحلولها فيه من حين الميلاد المحدد الى حين الاجل الموقـــوت .

هذه هى الحياة عند تصورها تصورا فسلفيـــا بالنظـــر العقلـــى .

وهكذا هي الحياة كما نحياها من المهد الى اللحد واقعيـــا .

الموت انفصال الروح عن الجسد ، ومغادرتها له ، وتوديعها الارض والالتحاق بالملأ الاعلى .

وهذا هو الموت عند تصوره تصورا فلسفيـــا بالنظـــر العقلـــى ايضـــا .

ولكن حقيقة الحياة والموت علميا ( بيولوجيـــا وطبيـــا ) تختلف تمام الاختلاف عن حقيقة تصورهـــا تصـــورا فلسفيـــا .

وحقيقتهما عند الله الخالق تختلف اختلافا كليا عن حقيقتهما كما يعرفهما العلم ، وكما يعرفهمـــا التطـــور الفلسفـــى .

والجسد ، كما يبدو ، فان ، يتحلل ، ويذوب بعضه فى التراب ، ويلتحم مع عناصره المادية ، وقد يبقى بعضه كالعظام الصلبة ، والجثث المحنطـــة ( الموميات ) فى مأمن من عوامل البلى اطول وقـــت ممكـــــن .

والروح ، كما هو معلوم ، باقية وخالدة بعـــد الموت فى الحياة الاخرة .

واذا كانت الروح تبقى وتخلد بعد الموت فان الجسد يبقى كبقايا منحلة وكذرات تتفاعل مع غيرها من ذرات العناصر فى التراب الارضى .

وهنـــاك خلـــود وخلـــود .

خلود فى النعيم وخلود فى الجحيم .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركـــم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقـــد فـــاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » (2) .

والموت الذى تذوقه النفس ( او الروح ) هو انفصالها عن جسدها ، ومغادرتها له وتركهـــا الكوكب الارضى للالتحاق بالملأ الاعلى ؛ وما يتبـــع

---

1) الملأ الاعلى : عالم الارواح المجردة ( المنجد ) — او الرفيق الاعلى — او البرزخ .
2) الآية 185 من سورة آل عمران .

هذا الانفصال من آلام ، واوجاع وتخوفات ، ومعاناة نفسية وجسدية شاقة وصعبة .

اما هى — اى النفس ( او الروح ) — فلا تموت لانها خالدة .

فتذوق الموت بالنسبة للنفس ( الروح ) — اذن — لا يعنى الموت ، لان الموت كفناء يتنافى مع الخلود .

والحياة تجربة وجودية انسانية عظيمة على الكوكب الارضى الطبيعى استعدادا لامتحان عسير وخطير يتوقف عليه مصير الروح الخالدة بعد الموت يوم البعث والحساب والجزاء اما الى الخلود فى النعيم واما فى الخلود فى الجحيم (3) .

وقد يدوم هذا الانفصال بين الروح ( النفس ) وجسدها الى ما شاء الله . . الى يوم البعث .

وعندما يشاء الله الخالق ويامر الروح مرة ثانية ان تتصل بجسدها وتحل فيه فاذا بتلك العظام النخرة ، وتلك الذرات المنحلة التى ذهبت حيث كتب لها الذهاب تبعث من قبورها وتعود كما كانت انسانا سويا روحا وجسدا .

وفى هذا يقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

« ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » (4) .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم » (5) .

وعلى ضوء هذه الايات البينات نستطيع ان نلاحظ ان الجسد كمادة خالد الى جانب خلود الروح ، وان كان الخلود بالنسبة له يختلف عن خلود الروح .

فالمادة كتوام للروح خلقها الله من اجل الروح .
فما دامت الروح خالدة فالمادة خالدة .
واذا ما فنيت الروح فان المادة تفنى .
ولكن الروح لا تفنى لان الله خلقها للخلود .

ويعنى هذا ان المادة لا تفنى هى الاخرى وان كانت تنحل وتتحول تحولات كثيرة .

فالمادة تتعلق بالروح التى تحركها ، ويؤكد لنا هذا خلود المادة بخلود الروح .

ويوضح لنا هذا ضرورة الاعتناء بدفن جثث الموتى المحافظة ما امكن على جسدها فى اماكن دفنها .

لهذا يجب ان تكون المقابر والمدافن بحق جنات وروضات نظيفة ، فيها اشجار ونباتات ذكية الرائحة ، وازهار عطرة ، ومياه لسقيها ، ومصلى ، وان تكون مرتبة ترتيبا جيدا ، ومسورة باسوار لئلا تدخلها الحيوانات وغيرها لكي تمثل المعرفة الروحية عند المهتمين بها اصدق تمثيل .

ان المقابر والمدافن لا ينبغى ان تعتبر مجرد اماكن التخلص من جثث الموتى بل يجب ان تكون اماكن روحية للترحم ، والتامل ، والعظة والعبرة ، والتضرع الى الله والتعلق بحبه يجد فيها الانسان الالهام والصفاء والسلوى والعزاء والاطمئنان ، وتنقله من حياته الواقعية الى التفكير فى الحياة الروحية المقبلة بعد الموت .

وقد جبلت الارواح على حب كل جميل وما هو جميل من مكان ، ونبات ، وطعام ، ومعان ، ووجه حسن .

وهى انما تجد راحتها واطمئنانها فى الجنات والروضات ، ولهذا تشتاق وتحن اليها .

ولقد قال رسول الله ص . فى حديثه الشريف :
« اذكروا موتاكم بخير » .

ومن وجوه ذكر الموتى بخير الاعتناء بقبورهم ، وتوابيتهم ، وبدفنهم ، وبمقابرهم ومدافنهم واضرحتهم وبالاحتفالات الدينية التقليدية التى تقام بهذه المناسبة المهمة لوداعهم وداعا روحيا وجسديا معا .

ومنذ القديم اهتم الانسان بدفن جثث الموتى فكان التحنيط عند القدماء وبخاصة عند الفراعنة ،

---

3) **راجع مقال « الروح والخلود »**
4) **الآية 51 من سورة يس .**
5) **الآيتان 78 — 79 من سورة يس .**

وكانت التوابيت ، وكانت الاضرحة عند من يدفنون موتاهـــم .

وتجربة الموت ترتبط بتجربة الحياة .

وعندما نمعن التفكير في الآيات السابقة تتجلى لنا الحكمة الالهية من تجربة الحياة واضحة الا وهي تأكيد وحدانية الله الخالق وقدرته المطلقة على الخلق ، والايجاد ، والاحياء والاماتة ، والافناء والبعـــث للذين يجحدون وينكرون ويكفرون .

وماذا يستطيع ان يقول انسان يخرج من القبر حيث كان عظاما رميما نخرة يوم البعث ويصبح انسانا سويا مرة اخرى كما كان في دنيـــاه ؟ .

لا شك انه يقول ما قاله الله سبحانه وتعالى في القـــرآن الكريـــم :

« قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا مـــا وعد الرحمان وصدق المرسلون » (6) .

وهل يستمر في عناده وجحوده كما كـــان في الدنيـــا ؟

الجـــواب كـــلا !

الدنيا دنيا ، والآخرة آخرة ، ويوم البعث لا ينفع الاستمرار في العناد والجحود والكفر ، ويومئذ يزداد المؤمنون ايمانا ، ويندم المعاندون والجاحـــدون والمنكرون والكافرون .

ولعل هذه هي الحكمة الالهية في تجربتي الحياة والمـــوت .

ولو لم توجد تجربة الحياة لما وجدت تجربـــة المـــــوت .

ولو لم توجد تجربة الموت لما وجدت تجربـــة البعـــث .

ولو لم يأمرنا الله باتباع دينه الحنيف لما وجـــد حساب وجزاء يوم البعـــث .

الوجود لا نهائي ولا محدود ميتافيزيقيـــــــا وفيزيقيا ، كما هو معلوم ، والله الخالق يعلم خلقـــه جميع تجارب الوجود قبل الحياة ، وفي الحياة ، وعند الموت ، وبعد الموت ، وعند البعث والحســـاب والجزاء ، وبعد البعث والحساب والجزاء .

والابديـــة لا نهائيـــة محـــدودة .

وتجربة الحياة تهيء الانسان لحياة الخلـــود اللانهائي اللا محدود ، بعد الموت ، في الابديـــــة اللانهائية واللا محدودة .

وتبعا لتداخل ما هو ميتافيزيقي مـــع ما هـــو فيزيقي في حياة الانسان على الكوكب الارضي يتداخل فيها ايضا ما هو خاص بالحياة مع ما هو خـــاص بالموت تداخلا يجعل الحياة والموت يتعانقان عناقـــا ملتحمـــا قويـــا .

ولا يستطيع الانسان ان يحيا اية لحظة في حياته دون ان يفكر في الموت .

هذا التفكير في الموت ينغص عليه سعادته ، ويعكر له صفو عيشه ، ويؤثر على حريتـــه تأثيـــرا كثيـــــرا .

ومن النصائح الحكيمة التي تنفع الانسان فـــي حياته الدنيا والآخرة هذا الاثر المشهور :

« اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تمـــوت غـــدا » .

ويعد هذا الاثر المشهور توجيها عميقا جـــدا يضمن توازن حياة الانسان المؤمن المسلم فيمـــا يتعلق بالدنيا والآخرة توازنا منطقيا معقولا دون اي تفريط في اية واحدة منهمـــا .

واذا ما سار الانسان المؤمن المسلم على هديه ، وطبقه تطبيقا حقيقيا في حياته فانه يفلح ويفوز فـــي الدارين ، وتطمئن روحه فيهما معـــا .

ولا يجد الانسان المؤمن المسلم صعوبات كثيرةعند انتقاله من حياة ما قبل الموت الى حياة ما بعده اذا جعل هذه الكلمة توجيها حياتيـــا يوميـــا يطبقـــه فـــي كـــل آن .

ان الحياة قبل الموت وبعده تصبح بالنسبة له شيئا عاديا ومألوفا ويكون مستعدا لها في الداريـــن

---

6) 53 من سورة يس .

( الدنيا والاخرة ) استعدادا ايمانيا ودينيا عميقا ، ولا تؤثر عليه تجربة انفصال الروح عن جسدها تأثيرا كبيرا ، ويستطيع التكيف بسهولة عند انتقاله من مكانه الدنيوى على الكوكب الارضى الى مكانه الاخروى فى الملأ الاعلى .

فالحياة دائمة ، مستمرة ، وخالدة قبل الموت وبعده ، وليس الموت الا تجربة انفصال الروح عن جسدها وانتقالها من حياة دنيوية فانية الى حياة اخروية دائما .

وللامام الغزالي العلامة الصوفي الفيلسوف فى هذا المعنى قصيدة (7) رائعة مشهورة فيها هذا البيت :

لا ترعكم هجعة الموت فما
هو الا نقلة من ها هنا

ويمكن أن تعد هذه القصيدة خلاصة تجربة الامام الغزالى الروحية ، الصوفية والفلسفية وهى تجربة وصل بها الى تحقيق غايته فى صفاء روحه ، ولذا فحياته فى الدنيا وفى الاخرة ، قبل الموت او بعده، هى نفسها ان شاء الله ، .

وما الامام الغزالي الا مثال وتجربة من بين كثير من الامثلة والتجارب .

ان وجود الانسان أبدى خالد . .

وان حياته أبدية خالدة يقسمها الموت قسمين : ما قبله فى الدنيا وما بعده فى الاخرة .

وعلى حياة ما قبل الموت يتوقف مصير حياة ما بعده . .

وهذه هى حكمة الله الخالق فى تجربة الحياة .

وفى هذا يقول تعالى فى القرآن الكريم :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق ، وما اريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (8) .

هذه هي الحقيقة التي يصل اليها كل انسان مؤمن مسلم فى كل مكان وزمان .

وهى خلاصة التجربة الروحية الدينية والصوفية والفلسفية العامة للانسانية جمعاء فى كل الامكنة والازمنة من أول انسان الى آخر انسان .

— ** —

الموت فاصل ميتافيزيقى فى مسيرة حياة الانسان الابدية الخالدة .

فاذا كان الانسان يخاف الموت فيجب عليه ان يخاف الحياة .

واذا كان يحب الحياة فعليه ان يحب الموت أيضا،

ان حب الحياة لا يختلف فى شىء عن حب الموت .

كما أن حب الموت لا يختلف فى شىء ايضا عن حب الحياة .

ان حب الموت هو نفسه حب الحياة التى تستمر بعده .

ولكل حب غاية .

وتتطلب كل غاية العمل والجهاد والتضحية للوصول اليها والتمتع بها ، وهكذا حسب وجهة النظر الغائية يمكن أن نعرف الحب بانه عمل وجهاد وتضحية لاجل الوصول الى تحقيق اية غاية وبخاصة احدى الغايات العليا .

ومنذ بداية الوجود الانسانى ارتبط الحب بالغاية ارتباطا التحاميا متينا .

---

(7) مطلع القصيدة :

قل لاخوان رأونى ميتا ... فبكونى ورثوا لى حزنا
اتظنون باننى ميتكم ... ليس ذاك الميت والله انا
انا فى الصور وهذا جسدى ... كان بيتى وقميصى زمنا

الى ان يقول :

لا تظنوا الموت موتا انه ... لحياة وهو غايات المنى
هى دى الدار نؤوم مفرق ... فاذا مات طار الوسنا
لا ترعكم هجعة الموت فما ... هو الا نقلة من هاهنا

الى آخر القصيدة .

(8) الآيات 56 ، 57 ، 58 من سورة الذاريات .

وبارتباط الحب بالغاية انتهت حكاية الحـــب المجـــرد .

وعليه ، فعندما نقول كلمة الحب او نسمعهــا فانما نقول او نسمع معها كلمة الغاية وتكون فــى افكارنا عبارة واضحة هى غاية الحب التى تثيــر تساؤلات وفضولا فى أغلب الاحيان .

والانسان عندما يحب الحياة والموت فانمــا يحــب ذاتــه !

واذن ، فغاية حب الانسان للحياة والموت هى حبــه لذاتـــه !

ويعنى هذا أن الانسان انما يستهدف فى حبــه غاية ما من الغايات وبخاصة الغايات العليا تأكيــد ذاته ، وضمان تنعمها ، واجتناب تعذيبها ما امكنه الاجتنــــاب . .

فغاية الحب ، اذن كما أصبحت واضحة أمــام فهومنا هى : التمتع بالنعيم واجتناب عذاب الجحيم !

والانسان هو الروح ، او هو النفس ، او هــو الـــذات .

وعندما نقول : ان الانسان يحب ذاته فانمــا نقول : ان الروح تحب ذاتها ، أو ان النفس تحــب ذاتها ، او ان الذات تحب ذاتها أو نفسها .

والنفس — كما فى قانون اللذة والالم ( الليبدو ) فى علم النفس — تميل الى اللذة وتهرب من الالم .

وقد جبلت على هذا منذ بداية الوجود الانسانى .

وهى تخضع فى حياتها لهذا القانون النفســى بصفة لا شعورية ، وبصفة شعورية ، وبصفة وجدانية سامية ، وتطبقه لضمان التمتع بلذات النعيم فــى الدنيا قبل الموت وفى الاخرة بعده ، واتقاء العذاب فيهما واجتنابــه مــا امكـــن !

ويجعل هذا القانون النفسى — قانون اللـــذة والالم — الانسان ( كل انسان ) أنانيا ونرجسيا بصفة لا شعورية ، وبصفة شعورية ، وبصفة وجدانيـــة سامية وعلى درجات متفاوتة ، ولكنهما أنانية ونرجسية طبيعتـــان لا خـــوف منهمـــا .

وعن طريق حب الذات وقانون اللذة والالـــم ينفتح حب الانسان لكل حب آخر ، ويتصاعد هــذا الحب فى صفائه وطهارته ، ويسمو ويتسامى حتــى يصبح حبا خالصا لله الخالق !

والله الخالق يعرف هذا ، والانسان يعرفــه كذلـــك !

وحياة ما بعد الموت حياة روحية فى اسمــى معانيها ومناهيها ، وهى خاتمة المطاف بعد جميــع مغامرات الانسان المتنوعة فى حياته الدنيا قبله ، لانها حياة النعيم المقيم او العذاب الدائم . . ولذلك يهتم بها ، ويفكر فيها بدون انقطاع ، ويجتهد ما وسعه الاجتهاد فى العمل والجهاد والتضحية للفوز بنعيمهــا ( اللذة ) واجتناب عذابها ما امكنه الاجتناب ( الهروب من الالم ) !

وبالتامل فى هذا يتضح لنا ان الروح او النفس انما تطبق قانونها النفسى ، قانون اللذة والالم ، فى حياتها قبل الموت للتمتع بلذات النعيم واجتناب الالام والعذاب فى الدنيا وللفوز بلذات النعيم واجتناب الجحيم فى الاخـــرة بعــــده .

وعليه ، فحياة الانسان الروحية او النفسيـــة حسب قانون اللذة والالم فى الحياة الدنيا قبل الموت تستمر هى ذاتها فى الحياة الاخرة بعد الموت .

— وكيـــف ؟

والجــــواب هـــو :

— أن الانسان يسعى — حسب قانون اللـــذة والالم — للوصول الى تحقيق غايته فى الفوز بلذات النعيم فيعمل ويجاهد ويضحى ، ويسلك سبيل الله ليبلــغ مبتغـــاه .

وحسب السعى يكون الجزاء فى الاخرة بعــد المـــوت .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفــى ، وان الى ربك المنتهى » (9) .

---

(9) الآيات 39 ، 40 ، 41 ، 42 من ســورة النجـــم .

واذا كان هنا ما يمكن ان تبينه لنا هذه الآيات البينات فهو ان الحيـــاة فى الدنيا حيـــاة سعـــي للفـــوز بالنعيـــم فى الآخـــرة .

وهو سعي يتدرج فى سلوك سبيل الله وصراطه المستقيم كما امرنا الله به فى قرآنه الكريـــم الدستـــور الخالـــد لدينـــه الحنيـــف .

والقرآن الكريم نظم القانون النفسي للذة والالم أحسن تنظيم ، وهذب حب الذات ، وربى الانانيـــة او النرجسية خير تربية .

والائمة الصوفيون الكبار فى جهادهم النفســـي يحاربون حـــب الذات ، او الانانية والنرجسيـــة ، متوخين الوصول الى مرتبة الفناء فى حب الله ، لكى يصبح حبا خالصا لله الخالق .

واذا كان لابد ان نستنتج اى استنتاج من هذا فهو أن الانسان روح ( نفس ) تحيا فى الدنيا قبل الموت، وفى الآخرة بعد الموت . . اما الجسد فما هو الا وعاء كونـــي ( فيزيقي ) لتجليها ليس الا !

— ** —

ان اروع ما يقراه الانسان المؤمن المسلم عـــن الموت يوجد فى القرآن الكريـــم .

والقرآن الكريم كتاب الله الخالق الذى يحيـــي ويميت ويبعث من فى القبـــور .

فعندما يقرأ الانسان المؤمن المسلم القرآن الكريم يجد آيات كثيرة تتحدث عن الموت وعن الخلود بعده فى الآخـــرة .

وتؤكد لنا هذه الايات البينات ابدية الحياة التى يفصلها الموت فصلين او يقسمها قسمين : قســـم قبله من الميلاد الى حين أجل الوفاة ، وقسم بعده من حين اجل الوفاة الى ما لا نهاية زمنية والى ما شاء اللـــه !

فالروح عندما يخلقها الله الخالق بأمر كينونته ـ كـــن ـ انما يخلقها لتتمتع بالوجود الابدى .

واما تجربتنا الحياة والموت التى نمر بهما فى هذه الدنيا على الكوكب الارضي فما هما الا استعداد للحياة الراقية السامية بعد الموت ، وهو استعداد قصد به ابتلاء الانسان وامتحانه !

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (10)

وتؤكد لنا هذه الآية الكريمة ان الموت ما هـــو الا فاصل ميتافيزيقي غيبي بين حياة ابدية تقضـــي الانسان جزءا صغيرا جدا قبله ، اما القسم الكبيـــر واللا منتهى فيقضيه بعده فى الخلود الى ما شاء الله .

ويقول سبحانه وتعالى بخصوص الابتـــــلاء والامتحـــــان :

« الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم إيكم احسن عمـــــلا » (11) .

ان تجربة الحياة ، كما توضحها لنا هذه الآية الكريمة ، ضرورية للحياة الابدية الخالدة بعد الموت لان الفوز بالنعيم المقيم الخالد فى الجنات يرتبـــط بحسن العمل فى الحياة الدنوية ، على الكوكب الارضي، قبلـــــه .

والعمل الحسن هو الشرط الاساسي للنجـــاح فى هذا الابتلاء الذى يمتحن به الانسان للفوز بالنعيم !

والله الخالق ينظر الى القلوب والعقول والنوايا والاعمال ليرى اينا أحسن عملا !

ويقول الله عز وجل فى القرآن الكريم :

« الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرســـل الاخرى الى أجل مسمى » (12) .

توضح لنا هذه الآية ان الموت كالنوم . . .

والذى يحدث فى النوم انما هو انفصال خفيف للروح عن الجسد بينما الذى يحدث عند الموت هـــو انفصالهـــا التـــام عنهـــا .

---

(10) الايـــة 66 من ســـورة الحـــج .

(11) الايـــة 2 من ســـورة الملـــك .

(12) الايـــة 42 من ســـورة الزمـــر .

ويحدث الانفصال الخفيف للروح عن الجسد في حالة النوم في هدوء ودون الم .

اما انفصالها التام عن الجسد فيحدث في شتى الحالات تارة بهدوء ودون الم ، وتارات اخرى بعنف والم !

ونكاد نفهم من هذه الآية الكريمة سرا مهما من اسرار الروح وهو انها ليست عضوا من اعضاء الجسم ، وانما هي ذات نورانية ميتافيزيقية من امر الله الخالق ، وتحت تصرفه الالهي المباشر ، مستقلة عن الجسد الذي لا يستطيع ان يمارس اى شأن من شؤون الوجود والحياة الا بها .

وهي عند التشبيه كالتيار الكهربائي الذي يتصل بواسطة مفتاح خاص بمصباح كهربائي فيضيء اذا وضع المفتاح في اتجاه الاضاءة ، وينطفيء اذا وضع في اتجاه الاطفاء .

وعناصر هذا التشبيه هي :

ــ التيار الكهربائي يمثل الروح ، وهي من امر الله الخالق .

ــ والمصباح الكهربائي يمثل الجسد .

ــ والمفتاح يمثل امر الله الخالق الذى يأمر بالحياة والموت .

ــ والضوء هو اتصال التيار بالمصباح وهو يمثل الحياة .

ــ والانطفاء هو انفصال التيار عن المصباح وهو يمثل الموت .

ان الروح من امر الله ، كما هو معلوم ، وسر من اسراره الربانية الخاصة ، وما هذا التشبيه الا مثالا لمحاولة الوصول الى فهم تقريبي نسبي معقول لحقيقة الروح ليس الا .

هذه الآية الكريمة التي وضحت لنا ماهية الموت كانفصال الروح عن الجسد كادت تفصح لنا عن احد اسرار ماهية الروح مع الاحتفاظ بسرها العظيم لله الخالق وحده .

ولكن ماهية الروح يصعب التعرف عليها لانها من روح الله الخالق ، وارادته ، وامره !

والموت ، بعد هذا ، بأجل !

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (13) .

« حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » (14) .

والموت واحد في حقيقته وماهيته مهما تعددت انواعه او اسبابه .

ويقول شاعر عربي في هذا المعنى :

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الاسباب والموت واحد !

وهو بيت فيه حكمة وشجاعة .

وافضل الموت موت جهاد في الله ، وفي سبيله وصراطه المستقيم .

ويقول الله تعالى في هذا في القرآن الكريم :

« وجاهدوا في الله حق جهاده » (15) .

والجهاد انواع :

الجهاد الاصغر .

الجهاد الاكبر (16) .

والجهاد النفسي من اجل صفاء الروح .
وتوضح الآية الكريمة كل انواع الجهاد .
والحياة كلها جهاد !

ولاجل الجهاد لتأكيد الوجود والحياة ، وحفظهما وعمران الكوكب الارضي ، ومعرفة الكواكب الاخرى وعمرانها ، والاتصال مع المجرات الاخرى ، والاستعداد للحياة الابدية الخالدة وتصفية الروح ، وتطهيرها ، وتزكيتها خلق الله الانسان !

---

(13) الآية 34 من سورة الاعراف .
(14) الآية 61 من سورة الانعام .
(15) الآية 78 من سورة الحج .
(16) اشارة الى الحديث النبوي : (( رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر )) .

وما دام الموت امرا واقعا لا مفر منه فان المنطق يفرض على الانسان المؤمن المسلم ان يستعد دائما لحياة الخلود الابدي بعده ليحظى ويفوز بالنعيم المقيم في الجنان .

ومن فاز بالنعيم المقيم في الجنان فانه لن يذوق الموت ابدا .

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى » (17)

وخير ما ينبغى ان يتعظ به الانسان حديث رسول الله ص :

« كن في الدنيا كانك غريب ، او عابر سبيل ، وعد نفسك في اهل القبور » .

واخيرا امام عظمة القرآن الكريم ، كلام الله الخالق الازلي السرمدي ، تقف كل فلسفة ويسكت كل كلام .

« وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » (18) .

هذا هو ما يمكن ان يكتبه انسان لم يجرب الموت بعد عن الروح وتجربة الموت !

— * —

ولكن الموت له اهمية عظيمة وجذرية اخرى — او يمكن ان تكون له — بالنسبة لمفهومنا الشامل لجغرافية الوجود اللا نهائي اللا محدود الذي يصعب علينا تصوره . .

فالموت كفاصل ميتافيزيقي ( غيبي ) يقسم حياة الانسان قسمين : حياة الدنيا على الكوكب الارضي قبله ، وحياة الآخرة بعده تختلف كل منهما عن الاخرى اختلافا تاما .

وهو تبعا لهذا التقسيم لحياة الانسان يقسم — او يمكن ان يقسم — الوجود اللا نهائي اللا محدود قسمين ايضا :

— القسم الاول وجود ما قبل الموت .

— والقسم الثاني وجود ما بعد الموت .

ويشمل القسم الاول هذا الكون الطبيعي ( الفيزيقي ) اللا نهائي اللا محدود والمقدر بملايين الملايين من المجرات ، والمجموعات الشمسية ، والكواكب ، والنجوم وما فيها من مخلوقات وموجودات .

ويمكن ان يشمل القسم الثاني ما يشمله القسم الاول او يختلف مشموله عنه ليلائم حياة ما بعد الموت .

وهما يتواجدان مثلما تتواجد حياة ما قبل الموت مع حياة ما بعده .

ويوجد بين القسمين فاصل ميتافيزيقي بمثابة برزخ يمنع تلاقيهما ، ولكنه لا يعيق تواصلهما وتواجدهما معا في الوجود اللا نهائي اللا محدود الواحد والشامل بصورة متوازية تجسيديا ومتوازية متداخلة روحيا .

واذا صح هذا التصور فاننا نجد انفسنا امام تفسير وجودي وكوني عقلي معقول للسماوات السبع والارضين السبع كما ذكرها الله الخالق في القرآن الكريم :

« الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن » (19) .

« الذي خلق سبع سماوات طباقا » (20) .

وفي ضوء هذا التفسير العقلي التخميني والظني للسماوات السبع ، والارضين السبع نستطيع ان نفهم أن كل سماء انما هى عبارة عن كون ، وان كل ارض انما هى عبارة عن كون ايضا .

ويعنى هذا ان حياة ما قبل الموت تكون في الارض وكونها اى في كل ارض من الارضين السبع واكوانها .

كما ان حياة ما بعد الموت تكون في السماء وكونها ، اى في كل سماء من السماوات السبع واكوانها .

وبين السماوات السبع والارضين السبع فاصل ميتافيزيقي ، برزخ ، او عدة فواصل ميتافيزيقية

---

(17) الآية 56 من سورة الدخان .
(18) الآية 54 من سورة الحج .
(19) الآية 12 من سورة الطلاق .
(20) الآية 3 من سورة الملك .

ــ عدة برازخ ــ لمنع المخلوقات التى لم تجرب الموت فى الحياة الدنيا على كل ارض من الارضين السبع من النفوذ الى اية سماء من السماوات السبع ؛ ولمنع المخلوقات التى جربت الموت وانتقلت الى الحياة الاخرة من النفوذ من اية سماء من السماوات السبع الى اية ارض من الارضين السبع .

ولعل فى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :
« يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (21) .

والتعبير الالهى « اقطار السماوات والارض » بليغ ، وعميق ، وبعيد الامتداد وعظيم !

وتوضح لنا هذه الآية الكريمة ان اى مخلوق له روح راقية كالانسان لا يستطيع ان ينفذ وينتقل من اية ارض من الارضين السبع الى اية سماء من السماوات السبع نفوذا ، او انتقالا روحيا وجسميا معا الا باذن الله الخالق كما حدث لرسل الله سادتنا ادريس وعيسى ومحمد فى قصة الاسراء والمعراج عليهم جميعا الصلوات والسلام .

والعكس بالعكس ايضا ، فاهل السماء لا يستطيعون ان ينفذوا ، او ينتقلوا ، من اية سماء من السماوات السبع نفوذا ، او انتقالا ، روحيا بالتجسيد الميتافيزيقى الخاص بحياة ما بعد الموت الى اية ارض من الارضين السبع الا باذن الله .

والملائكة الكرام خير مثال على هذا ، وفى اولهم سيدنا جبريل عليه السلام .

وان شرط الانتقال ، كما هو معلوم من الارضين السبع الى السماوات السبع هو الموت !

ولعل الموت ، ان صح هذا التصور العقلى ، يكون عاملا مهما فى تغيير مفاهيمنا لجغرافية الوجود اللا نهائى اللا محدود !

وطبقا لما ذكره الله الخالق فى القرآن الكريم يكون وضع السماوات السبع عاليا ، وافقيا وطبقيا بالنسبة لوضع الارضين السبع .

وتكون السماء التى فيها سدرة المنتهى اعلى السماوات السبع كلها !

وبعد ، ما هذا التصور العقلى الا محاولة اجتهادية كمثل لفهم حقيقة السماوات السبع والارضين السبع على ضوء تجربة الموت كفاصل ميتافيزيقى يقسم الوجود اللا نهائى اللا محدود قسمين هما : وجود ما قبل الموت ، ووجود ما بعد الموت يصلح كل منهما لاحتوا كل حياة خاصة به من الحياتين .

وفى ضوء هذا التصور العقلى نستطيع ان نفهم ان تجربة الموت لم يردها الله الخالق تعذيبا للانسان وانما ارادها تعليما ، وتهذيبا ، وامتحانا ، وسببا للعلم ووسيلة للمعرفة الراقية .

والانسان ، كما اراد له الله الخالق ، يتوصل الى العلم والمعرفة توصلا ذاتيا بواسطة ما يمر به من تجارب شخصية متنوعة ، ومتعددة ، ومستمرة ، ومتواصلة على مر العصور يستكمل بها مفاهيمه ومكتسباته النامية والصاعدة والمتجددة دائما .

ولو كان اتصال الانسان بالسماوات يمكن اجراؤه بدون موت لسهل علينا فهم كثير من القضايا الميتافزيقية ( الغيبية ) التى تعتبر اليوم مشاكل يصعب علينا ايجاد حلولها اليوم .

وفى مقدمة القضايا الميتافيزيقية التى يصعب علينا اليوم ايجاد حلولها : الروح ، والوجود ، والكون ، والسماوات السبع ، والارضين السبع وغيرها .

وفى خضم الصعوبات وظلمات المجهول يغامر العقل الانسانى مغامراته الجسور لارواء فضول المعرفة الغريزى فيه غير هياب اى جدار كيفما كان .

ان واجب العقل هو الاكتشاف المستمر الدائم للمعرفة .

ويساعد هذا الاكتشاف على تفسير كثير من الآيات القرآنية ، وعلى توضيح العديد من المفاهيم العلمية او تصحيحها .

والعلم الحق لله الخالق العليم الخبير بمن وما خلق !

---

(21) الآية 33 من سورة الرحمن .

# حاضر الاسلام ومستقبله

للأستاذ عبد القادر العافية

ان المريض قد يحسن وصف مرضه وألمه ، لكنه ليس من اليسير عليه وصف الدواء لشفاء سقمه ، لان وصف الدواء يحتاج الى نطاسى خبير وهذا هو الذى يعز وجوده الان ، وحتى اذا وجد فهو مقيد بظروف وملابسات تجعله يصف الدواء فى حذر واحتياط وذلك لعدة اسباب : منها ان المرض قد طال وتشعب، ومنها ان المحيطين بالمريض يعوقونه دون تناول الدواء . ومنها الشك الذى يساور المريض فى جدوى الدواء الذى يوصف له ، لان المريض ينظر الى الدواء فى ارتياب ويخادع فى تناوله . . .

واذا كانت الادواء الجسمانية تحتاج الى اطباء ذوى اختصاصات مختلفة ، ومهارات متنوعة ، وفى نفس الوقت تحتاج كل مجموعة من البشر الى طبيب بل الى اطباء . . .

اذا كان هذا بالنسبة للامراض الجسمية فلا شك ان الامراض العقائدية والمعنوية والروحية تحتاج الى اختصاصات اكثر والى معلومات اوفر . . .

ومما لا شك ان الازمات التى مرت بالمسلمين كان من طبيعتها أن تخلف جراحا بعيدة العمق ، وان تترك رواسبها لتجتر عبر العصور ، وهى ازمات لم تكن فى ازمنة محدودة ، ولا فى امكنة معينة ، بل كانت الضربات متتالية وفى غير انقطاع هنا وهناك . . .

ومهما اختلفت الوان هذه الضربات والازمات فهى فى الواقع من مصدر واحد وهو الحقد على الاسلام ، فهى لا تختلف الا فى اللون والشكل ولا تختلف ابدا فى الجوهر والهدف . . .

والاسلام اليوم لا يزال اتباعه متاثرين بتلك الجراح والازمات والضربات . . . والذى يستغرب هو انه كيف استطاع هذا الجسم المثخن ان يحتفظ بنوع من الحياة وبقدر من المناعة ؟ ؟ ! !

لكن بالرغم من ذلك فان السؤال المطروح :

« ما هو موقف شباب المسلمين من الاسلام ؟ »

**شبـاب المسلميـن :**

ان جل شباب المسلمين اليوم فى حيرة جارفة ، وعدد منهم يتساءل : ايعود للدين بعد الذي مضى عليه من زمان ؟ وبعدما تعرض له من شبهات ومطاعن ؟ اليس الدين امرا فرديا ومزاجا شخصيا وشعورا عاطفيا لا اقل ولا اكثر ؟ !

الم يقل فرويد : ان الانسانية مرت بمراحل ثلاث : الخرافة ، والدين ، والعلم . اليست هذه مرحلة العلم ؟

ولماذا الناس يسيرون مع العلم المحض ، ونحاول نحن السير مع الدين ؟ ! وها نحن نراهم قد تقدموا ووصلوا الى ما وصلوا اليه ، بل تحكموا فينا وفى معاشرنا . . . ؟ !

ابعد كل هذا وبعد كل هذا ؟ نصغى لمن يرفع عقيرته بالعودة الى الدين . . . ؟ !

اليس الدين هو الذى أباح الرق والاقطاع والراسمالية ؟ اليس هو الذى يجعل من بين عقوباته القطع والرجم والجلد ؟ ويجعل من المراة حبيسة المنزل ؟ اليس هو الذى يجعل درجات الناس بعضهم فوق بعض ، ويترك طائفة منهم يعيشون على الاحسان ، ولا يملك فيه العمال ضمانات العيش الكريم . . . ؟ !

اليس هو النظام الذى ينادى بهذا واكثر منه ؟ اليس فى الانتساب اليه ما يجعلنا نشعر بوخزات هذا كله ؟ فاحرى ان نتحمس له ، أو ندافع عنه . . . ؟ !

ثم هم يقولون : كيف يمكن لنظام الاسلام ان يقف امام الانظمة الحديثة التى اثبتت جدارتها ، واثبتت تفوقها ؟ ؟ !

وهكذا يمر باذهان هذا النوع من الخلف شريط طويل من الشكوك والاستفهامات . . . ؟

واذا ما بحثنا عن هذا الذي يرددونه من اين اتى ؟ ومن اين مصدره ؟ وكيف تركزت فى بعض عقول مثقفينا هذه الاستفهامات والاستنكارات . . . ؟

اذا ما بحثنا عن ذلك نجد أنه لابد من الرجوع الى فترات سابقة ، حيث اخذت قوة الشر تعمل بمختلف وسائلها ، واغتنمت ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم ... فكانت الحروب الصليبية . . . وبعدها تنبه عالم الغرب ؛ لكن عالم المسلمين كان على العكس من ذلك ، وبالرغم من بعض اليقظات الخفيفة فان عالم المسلمين استلذ النوم . . . واتاح ذلك للاحقاد الصليبية أن تصوره لمعتنقيها فى ابشع صورة . . .

وبقدر ما كانت حالة المسلمين تساعد على هذا التصور البشع كانت الاحقاد الصليبية تزداد تمكنا من قلوب المسيحيين عبر الاجيال . . . فنفى الغرب عن المسلمين كل تقدم حضارى واشعاع فكرى ، بالرغم من انه صنع من هذا الذى ينكره سلما ليرقى عليه ، بل انتقل بسبب هذا الذى يجحده ؛ من ظلمات الجهل الى نور العلم . . .

وبعد النهضة الاوربية كانت حالة المسلمين قد تداعت وخرجت أوربا لاستعمار بلاد الاسلام . . .

ولم يكن الغزو غزو بلاد فحسب وانما كان بعد ذلك واكثر من ذلك غزو عقول وافكار . . .

واخذ ابناء الغرب يتعرفون على لغات الشرق ، وعلى تراثه وعوائده وتقاليده . . . واتاح لهم ذلك امكانية التزوير والدس والتشويه وبث السموم . . . واصبح المخطط الاستعمارى هو : تقديم الاسلام والمسلمين فى صورة مشوهة قزمية . . . وتقديم الغرب فى حلة قشيبة وعملاقة ، ومبدعة ومخترعة ومفكرة ... فالافكار التحررية جاءت من الغرب ، والعلم من الغرب . . وكل نافع من الغرب . . ولترسيخ هذه الصورة فى الاذهان اشرف الاستعمار على التعليم والاعلام ؛ وجندت المدارس الاستشراقية نفسها ، واتباعها للتاليف والكتابة والدرس والتغلغل فى أعماق المسلمين ، واخذت عملية حقن شباب الاسلام بسموم ومخدرات الاستعمار تنفذ بكثير من الدقة والجدية . . وبالتخطيط الماكر . . . فبثت الشكوك والشبهات فى كل ما هو اصيل . . . أو له علاقة بالمقومات الاساسية لامة المسلمين . . .

ونشطت الحركات المعادية للاسلام فى زرع الشكوك والبلبلة فى نفوس المسلمين عن طريق التعليم والاعلام والتبشير . . .

ولم يكن لهذا النشاط المعادى ما يقابله ، بل كان المجال فسيحا امام الافكار المعادية للاسلام وكان الفراغ الفكرى الهائل ينتظر ان يملأه الاستعمار . . . بحقد ودهاء ومكر . . .

وشهد عالم المسلمين جماعة من مثقفى ابنائه يجندون انفسهم واقلامهم للنيل من الاسلام ، ولتهوين امر العقيدة على المسلم ، فكتبوا فى الجرائد والمجلات . . والفوا الكتب . . وبعض هؤلاء كان يشغل مراكز حيوية فى ميدان التعليم والثقافة والادب . . .

فى هذا الوضع فتح جيل من الشباب عينه فوجد نفسه امام شبهات تختلف ، وامام تزوير يلفق ، وفراغ لا يسمح له بغير البلبلة والحيرة . . . وهو فى نفس الوقت امام غرب قوى يخترع ويسيطر . . . وامام امة اسلامية ممزقة وضعيفة ومستعمرة وهو منها واليها . . . وكان جديرا به أن يستبطن نفسه وان يقوم بعملية نقد ذاتى . . . ولكنه للاسف لم يعط فسحة لذلك بل اخذ على غرة ، فتقبل الشكوك والالحاد ، فشك فى كل شيء : فى دينه ، وفى

انتمائه ، وفى لغته ، وفى جميع مقوماته ؛ ولولا تلك الجذوة المتوارثة التي تلقتها طائفة مؤمنة عن مثلها ، ولولا ذلكم النور الذى يشع فى قلوب المؤمنين ؛ ذلكم النور الذى اوجد فئة مؤمنة حملت مشعل الهداية واخذت تعمل من اجل دحض الشبهات وتنادى بالرجوع الى ما فى كتاب الله سبحانه من هدى وارشاد والى ما فيه من حلول لمشاكل هذه الامة الضعيفة الممزقة . . . والى سنة رسوله ( ص )

لولا بقية من المؤمنين الداعين الى هدى الله سبحانه لكان موقع الاسلام اليوم يبعث على الالم والحسرة اكثر مما هو عليه الان. . .وما دام جل مثقفي عالم المسلمين وخصوصا الذين بيدهم مقاليد الامور يعيشون هذه الحيرة . وهذا الارتباك ولا يزالون مستعدين لقبول شبهات الغرب ومثبطاته . . .ما دام واقع المسلمين هكذا فان امد التيه قد يطول . . . وهذا الواقع المر مما يجعل رسالة الفئة المسلمة الواعية صعبة ومعقدة ، وتحتاج الى صبر واناة طويلين . . .

ومن الحزم الا تتكل هذه الفئة الواعية الداعية على ما فى طبيعة الاسلام من مقاومة ؛ لان هذه المقاومة قد تضعف مع الزمن ، لانه كلما تمكن الانحراف من النفوس كلما بعدت الشقة بين المسلمين والاسلام ويبقى بينهم الاسلام مجرد اغنية عذبة يرددونها . . . واماني حلوة ينتظرون تحقيقها . . . ولذلك لابد من تخطيط محكم ودراسة واعية بصيرة متفتحة . . .

واذا كان الاسلام بطبيعته له مغناطيسيته وجاذبيته فهو يحتاج الى من يكشف عن ذلك ؛ ويحتاج الى من يوضح اسراره ويزيل عنه الصدا الذى علق به ، او على الاصح بمعتنقيه ، وقد نبه الله سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . »

ومعنى هذا : اذا كان الاسلام فى عمقه يحمل عناصر البقاء والاستمرار . . . فهو يحتاج الى الفئة المؤمنة التى تبلور اسراره وتعاليمه يحتاج الى الفئة الهادية المرشدة الرائدة . . .

**العقائدية الاسلامية :**

ان عقائد الاسلام هى عقائد تلائم انسانية الانسان ، ولذلك فهى جاءت لاسعاده على وجه هذه الارض ، وتحمل فى اعماقها علاج مشاكله وسر خلاصه . . .

ومن العقائد الاسلامية يكون الانطلاق سواء فى ميدان الدعوة او فى ميدان واقع الحياة ، وسنرى ان العقيدة الاسلامية جمعت الخير كله واعطت بذوره واصوله . . .

وتكفل العقيدة الاسلامية للانسان اسس الاستقرار النفسى والحضارى وهى تعتبر فى الانسان كرامته وجدارته .

ومن اسس العقيدة :

التوحيد ، والمساواة ، والعدل ، والحرية ، والمعرفة . فالاسلام دين توحيد يشترط الايمان بالله وحده ، وهذا الايمان هو القاعدة التى يحصل بها التوازن بين الجانب الروحى فى الانسان والجانب المادى فيه .

ومن الايمان بالله وحده يكون المنطلق لتحقق كل من : المساواة والعدل ، والحرية ، والمعرفة .

فالانسان فى الاسلام يتحمل الامانة ، والامانة هى مسؤولية وتكليف وفى اطار المسؤولية والتكليف تكون الحرية لانه لا مسؤولية بدون حرية واختيار .

فالاسلام يحرر الانسان من جميع الاوهام والخزعبلات ، كما يحرره من طغيان الانسان كيفما كان هذا الانسان ، ويحرره من جبروت الطغاة ومن الظلم بألوانه واشكاله ، ويحرره من عبودية المال والجاه ومن عبودية المادة . . . ويجعل شعار المسلم « الله اكبر » ويربط بينه وبين الله الذى هو سبحانه القوة المهيمنة التى هى بعيدة أن يكون لها غرض من افعال البشر ، وهى قوة جبارة رحيمة شرعت للبشر ليسعدوا فيما بينهم من غير ان يكون هناك غرض فردي او جماعي او سلالي . . . كما هو الشأن فى اعمال البشر وفى تشريعاتهم . . .

ويجب فى الاسلام الاعتقاد بالمساواة باعتبارها روح النظام الاجتماعي . . . فالكل امام الله سواء ، وامام القانون سواء ، لا طبقية ولا عنصرية ، ولا طائفية ولا نخبوية . . . لا لون ولا جنس . . . والكل كأسنان المشط ، ولا فضل الا بالعمل والتقوى اى بالمزيد من فعل الخير فى سبيل المجتمع ، فحتى هذا القدر من الفضل الزائد مصدره آت من التفاني فى خدمة المصلحة الانسانية . . .

والمساواة فى الاسلام من اهم المبادىء التـــى طبقت ، والتى حرص الاسلام على تطبيقها تطبيقـــا دقيقا . . . وقولة عمر بن الخطاب المشهورة « متـى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا » تبين الى اى مدى كان يحرص الاسلام على تطبيق المساواة ... تلك القولة التى قالها عمر قبـــل جـــاك روسو صاحب « العقد الاجتماعى » باكثر من عشرة قرون ، ذلك العقد الذى يدعون انه حرر الانسان الغربى وجعله يشعر بنوع من المساواة . . . اما قبل منتصف القرن الثامن عشر فلم يكن فى اوروبا من يتصور المساواة حتى مجرد التصور ! ! فاحرى ان يعيشها فى واقع الحيــــــاة .

ومن عقائد المسلم وجوب العدل ، فى الاســـلام شىء مقدس ولذلك كان الظلم محرما تحريما قاطعا لا هوادة فيه . . . وفى الحديث القدسى المشهور الذى رواه ابو ذر رضى الله عنه « ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالمـــوا . . . الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام : « الظلــــم ظلمات يوم القيامة » .

فالعدل فى الاسلام من الاسس التى لا يمكـن الاخلال بها ، ومبدا العدل فى الاسلام لا يعرف نوعا من البشر دون آخرين ، فهو مبدأ عام ومطلق لا يميز بين دين ودين . ولا بين جنس وجنس . . . وهذه العدالة المطلقـــة لا تتوفـــر فى غيـــر الاسلام .

اما مبدا التعلم والتعليم والمعرفة وهو من المبادىء التى حث عليها الاسلام ولذلك كان اول اتصال لـــه بين الارض والسماء يبدا بقوله تعالى : « اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانســان ما لم يعلم ... » وقال تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ... » وفى أول الخلقية قال تعالى : « وعلـم آدم الاسماء كلها... » وفى آية اخرى «وقل رب زدنى علما » وقال تعالى : « انما يخشـــى الله من عبــــاده العلماء » وقال الرسول الكريم : « اطلبوا العلم ولـــو بالصين » . ومن اجل هذا اصبح العلم فريضة علـــى كـــل مسلم ومسلمـــة .

ثم لننظر كيف انتشر تعلم الكتابة بين الصحابة ثم بين أبنائهم . . . والاسلام الذى حمل الانسان الامانة جعله مسؤولا عن هذا كله ، وهذه المسؤولية تقتضى منه الصدق فى الرجوع الى الله ، لان المسؤولية التـــى تعهد بحملها تفرض عليه ان يستمد من الله التوجيه والارشاد فى كل احواله . . .

وكلما حاول الانسان ان يحيد عن توجيه خالقه كلما ازدادت محنته وتعددت مشـاكله ...

ثم جرب الانسان وجرب . . . ولكنه لم يخرج من تجاربه الا بالشقاء . . . مهما تعددت مظاهـــر البهرجة والاشكال البراقة لان توجيه البشر للبشر لا يستوعب عمق الانسان ، ولا يوازن فى تقديراته بين المـــادة والـــروح .

الاسلام يعالج الانسانية فى اعماقها البعيدة وذلك لما تتضمنه عقائده من سمو ، واطلاق ، وشمولية ، واسس حضارية ، وملاءمة انسانية ، وعبقرية فى الاستيعاب ، ومرونة فى التكليف . . .

الاسلام الذى هو بهذه المثابة من السمو يتضمن كل مقومات الحضارة الخالدة ، وهو فى نفس الوقت يستفيد من كل العطاءات ، ولذلك كانت له قـــوة البث الحضارى ، وقوة الصمود ، وهو يشمل كـــل خير لصالح الانسان . . . فالاسلام هو نسيج وحده ، ولا تزداد افكاره ومبادئه على مر الازمان والعصور الا نصاعة وتألقا ، وصمودا وصعودا . . .

واذا كان الاسلام على هذه الدرجة الرفيعة من الصلاحية للانسانية فما موقعه فى الحياة المعاصرة يـــا ترى ؟ وما موقعه بين التيارات المذهبية ؟ والـــى اى مدى استطاع ان يتغلغل بين المنتسبين له . . . ؟ والى اى مدى كان انتشاره وتأثير مبادئه . . .؟

لعله ليس من السهل الاجابة عن هذه الاسئلة اجابة دقيقة فى فترة وجيزة وفى صفحات معدودة ، وذلك لان الاجابة عن هذه الاسئلة تحتاج الى معرفة دقيقة بالعصر الذى نعيشه ، وتحتاج الى معرفة ماهية التكوين الفكرى للمجتمع الانسانى فى العصر الحاضر وتحتاج كذلك الى وضع اصابع اليد على مصادر ومنابع الايديولوجيات التى تتحكم فى الطبقة القوية التى تدعى زعامة وقيادة هذا المجتمع الانسانى . . . ولعل وضع كل هذا على بساط البحث والشرح ثم التعرف علـــى الظروف والملابسات ، وعلى عناصر القضية بكلياتها وجزئياتها يحتاج الى وقت طويل .

لكن مع كل ذلك فلا مفر من الاجابة الموجزة ..

ان الاسلام كعقائدية وكمبادىء شيء ، امـــا كتطبيق ، فشيء آخر ، وقد لاحظ هذا كثير مـــن الدارسين للاسلام ومنهم صاحب كتاب « المجتمـــع الاسلامى والتيارات المعاصرة » الذى يقول : « ان المشكلة ليست فى تلقين الفرد عقيدة يؤمن بها ( فعقيدتنا باقية ) بل المشكلة هى فى اعادة الفعالية الى هـــذه العقيدة ! والمبادىء هى الاطارات العقلية للعمل . . . » الى ان يقول : « يجب ان يحسب لكل ذلك حسابـــه ونحن ندرس تفاعلات الافكار المعاصرة ، والقيـــم الاجتماعية الحديثة مع المجتمع الاسلامى لترسم فـــى ضوء ذلك الخطوط الكبرى لمنهاج رشيد يستهدف بعث الاسلام فى عالمه المترامى الاطراف قويا فعالا مـــن جديـــد . . . »

وهنا نرى أن بعض الدارسين لمشاكل المسلمين، ولما هو عليه الاسلام اليوم ، تشغلهم هذه النقطـــة بالذات وهي : كيفية الوصول الى تطبيـــق مبادىء الاسلام وعقائده ! ويحق لهذا الموضوع ان يأخذ حيزا كبيرا من التفكير وأن يشغل البال لان اسلام الانتماء والكتب والخزانات المرصوفة ، والرفوف المملـــوءة والالسنة والشفاه . . . سوف لا يغير شيئا من واقع الامة الاسلاميـــة .

ويفيدنا هذا المقطع من الكتاب السالف الذكـــر ان الاسلام من اجل أن يصبح مسايرا لواقع المسلمين لابد لذلك من رسم خطوط كبرى لمنهاج رشيد يستهدف بعث الاسلام فى النفوس .

وما دامت هذه الخطوط الكبرى للمنهاج الرشيد لم تخطط بعد أو لم تخطط بعد بالوضوح الـــلازم ، وبفعالية مستجيبة . . . ما دام ذلك لم يحصل فـــان واقع المسلمين لا ينطبق مع واقع الاسلام .

وكل الذى نراه اليوم ، هو ما نستطيع ان نسميه بموجة تدعو الى دراسة الاسلام دراسة عميقة و « تدعو » الى دراسته دراسة علمية رزينة بعيدة عن الاحتاد والجمود والعنـــاد . . .

هذا واقع فعلا فى حياة مسلمى اليوم ، الا أن الدعوة الى هذا شيء ، وتطبيق الاسلام شـــــيء آخر . . . فهناك مجلات ، وجرائد ، ودوريات عديدة خصصت صفحاتها للدعوة الى الاسلام والى دراسته كدين ينظم الحياة البشرية : اجتماعيا واقتصاديـــا وسياسيا وحضاريا . . .

وهناك كتب كثيرة فى هذا الموضوع ، ومنها ما هو عميـــق فى تحليلاتـــه ودراسته واستنتاجاتـــه ، وبالاضافة الى ذلك حركة بعث للتراث الاسلامى ، وهناك حركة تدعو الى توحيد المسلمين وتكتلهم . . . وهناك الدعوة الى عقد مؤتمرات اسلامية والى ايقاظ الشعور بالوحدة الاسلامية بين جميع مسلمى العالـــم . . من اجل كل ذلك تعقد الندوات والمؤتمرات علـــى مختلـــف المستويـــات . . .

وهذه الموجة الداعية الى دراسة الاسلام وبعثه والى جعله واقعا فى حياة المسلمين ، بل وفى حيـــاة البشر جميعا . . . هذه الموجة لم تثمر بعد ثمراتها المرجوة ، الا أنها ماضية فى طريقها بالرغم مما يحف طريقها من صعوبات ، واعراض وحدود . . . هـــى ماضية تشق طريقها الصعب . . . وينبغى الا يغيب عن اذهاننا ما يضعه الثالوث الهدام فى طريق هـــذه الصيحة الداعية الى الاسلام من عراقل ومثبطـــات وهذا مما يزيد فى صعوبة هذه الدعوة ، وما الاعراض والصدود داخل بلاد المسلمين : الا استجابة لمفعول مخدر تلك المثبطـــات .

وهذه الدعوة تلاقى صعوبات أخرى ، وذلـــك بسبب وجود انظمة مضادة لها داخل البلاد الاسلامية ذلك الانظمة المستوحاة من مذاهب اجنبية وافكـــار مستوردة . . . وبالرغم من فشل هذه الانظمة فـــان بريقها لا يزال يخدع بعض المغرورين فى عالمنا . . . ! وما دام هذا البريق الظاهرى موجودا فمن الصعب أن يلتفت الاغرار الى ما فيه الخير العميق ، والنفع العميم لهم وللانسانية جمعـــاء .

وما دام هؤلاء متشبثين بالافكار التى تتصدى للاسلام ومصرين على تطبيقها فى عالم المسلمـــين ، فان امد التيه قد يطـــول .

واذا كان الوضع هكذا فما موقع الاسلام بين التيارات الفكرية التى تتصدى له اليوم . . . ؟

ان الافكار التى تتصدى للاسلام اليوم هى افكار بشرية وضعها البشر ليسعدوا بها حسب زعمهم!! الا ان أهم ما يوقع الفكر البشرى فى الخطأ هو النظرة الهامشية للحياة أو النظرةالجانبية السطحيةوالمحدودة ومنذ وجد الانسان على ظهر هذا الكوكب وهو يتلمس الطريق ليضمن السعادة لنفسه . . .

وهذه النظرة السطحية تجعله ضيق الافق ، فتارة يبدو له انه اتفه شيء في هذا الوجود ، فيسرع بالخضوع للاحجار والمياه وحتى للحشرات . . . ! وحينا يبدو له انه هو المهيمن وحده على الكون ، وانه لا قوة تقهره وتحد من جبروته فيدعي الالوهية والربوبية ، ويختال ويفتخر . . . ! وتارة اخرى يبدو له انه عابر سبيل ، وانه عليه ان يغتنم من لذات الحياة بقدر ما يستطيع وان لا يبالي بآلامها واحزانها ، لان الحياة في نظره ماضية ولن تعود ... ! واذا مضت فقد خسر كل شيء . . . ! ! الى غير ذلك من المذاهب والاراء . . .

وهكذا يكون الانسان نظرة خاطئة عن وجوده في هذه الحياة . . . ثم يركز على نظره الخاطيء ، ويقعد القواعد ويقنن القوانين ، ويخطط التخطيطات . . . ويحسب انه يحسن صنعا . . . ويغيب عنه ان اول خطوة خطاها كانت نحو الضلال . . .

والغريب في هذه الحياة انه بعد التمادي في الخطا قد يشعر الانسان بفطرته بخطئه ، ولكن عناده يابى عليه الا التمادي في الخطا ، بل يابى عليه الا التعصب له ، والدعوة اليه . . . والى هذا يشير قول الله عز وجل حكاية عن الضالين « انا وجدنا آباءنا على امة وان على آثارهم مقتدون » وقوله تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » واذا ما نبه راشد منهم سفهوه . . . وهكذا تنزلق البشرية نحو مهاوي الضلال في غير شعور ، او في شعور مع لا مبالاة وهذا من اعظم ما يحيق بالانسان من خطر . . . وبهذا تثبت الافكار في مزارع الضلال ، وتغذى بالتعصب والعناد ، ويتشبث المنتفعون بالوضع الفاسد بضلالهم القديم ، ويجندون مختلف الطاقات للدفاع عن الضلال والتشبث به ، واحلاله محل الهداية ..!!

اما نظرة الاسلام الى الحياة والكون فهي تخالف تلك النظرات الهامشية والجانبية ، وتنظر الى الانسان والحياة نظرة شمولية لحمتها وسداها التوسط ، وتكريم الانسان ، ومسؤولية الانسان . لا ذلة ولا جبروت ، ولا طغيان ولا رهبانية ، لا فجور ولا فسوق . . . بل ضمير يقظ يعرف ما له وما عليه ، عدالة ورحمة ، معهما كرامة وجدارة . . .

والانسان في الاسلام يعتقد ان هذه النظرة الشمولية التي تنظم حياته على هذه الارض هي هبة من الله اليه ، وما كان ليهتدي اليها لولا ان هداه الله ، ولذلك فالخضوع لصاحب هذا الفضل وحده ، لا للحجر ولا للشجر ، ولا للذهب ولا للبشر . . . وصاحب هذا الفضل هو الهادي المهيمن يحاسب ويجازي ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . . . « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى » .

وعليه فالخضوع في الاسلام يكون لله وحده لا شريك له ، وهذا الخضوع يعطي قوة معنوية يستمدها المخلوق من خالقه .

وهذه النظرة الشمولية الى الكون والحياة والانسان هي سر خلود الاسلام ، فهي لا تطغى الانسان ، ولا تهدر كرامته ، وهي في نفس الوقت لا تترك الانسان سدى ، بل تنظم حياته على قاعدة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وعلى قاعدة التوسط والعدالة والرحمة . . .

والمسلم الذي هداه الله الى الصراط النير الفريد ، يخشى دائما أن يزيغ ، ولذلك فهو يكرر دائما عبارة « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فتكرار طلب هذه الهداية ليس عبثا لانه قد هدى الى صراط مستقيم لا افراط فيه ولا تفريط ، ولا ذلة ولا جبروت ...

هذه النظرة التي ينظر بها الاسلام الى الانسان وحياته في هذا الكون ، هي التي عمي عنها الضالون والسادرون في طرق الضلال ...

وطرق الضلال شتى ، وهي تتقاطع وتختلف وتتلون بالوان مختلفة واحيانا يطغى بعضها مدعيا الزعامة والقيادة ، واليوم تتزعم طرق الضلال مذاهب ثلاثة :

1 — ضلال الحاد

2 — وضلال نفاق

3 — وضلال طغيان .

هذه المذاهب الثلاثة هي التي تتصدى للاسلام اليوم ، وتسخر كل مكرها وطاقاتها لتفتن المسلمين عن عقيدتهم وعن انفسهم واوطانهم ، ولتفت في عضدهم وتمزق شملهم . . . « وما نقموا منهم الا ان آمنوا بربهم » .

ومذاهب الضلال بالرغم مما قد يبدو بينها من تناقض وعداء فان هدف محق الاسلام وتنحيته عن معترك الحياة ، ذلك هو هدفها جميعا . . . ولا تختلف ابدا فى هذا الهدف بالذات ، لان منهاج الاسلام فى الحياة يخالف الذى تواضع عليه من يسمون انفسهم بعباقرة البشرية ... !! ولان الاسلام عقيدة ونظام ؛

فالاسلام اذ يبيح الملكية مثلا لا يبيحها من حرام ومن سحت . . .

والاسلام اذ يحرم الربا لا يخنق حرية الفرد ، ولا يجعل منه آلة مسخرة لتنفيذ رغبة الجلادين . . . بل الاسلام يجعل الاخوة العامة مبدأ ، والرحمة نظاما ... وبالتالى فان الاسلام نظام يستمد من طبيعته الخاصة . . .

وكل هذه الخصائص فى الاسلام لا ترضى اليمين ولا اليسار لان كلا الفريقين يؤلهان المادة ، ويجعلان منها اساسا مقدسا وعنصرا هاما اكيدا ، فلا ضمير ولا جزاء ولا حساب بعد ذلك . . . ! !

ثم ان نظام الاسلام يحد من غلواء الطاغين ، ويكبح جموح المتسلطين ، ويقيم الضمير — الذى يراقب الخالق — حارسا يقظا لا ينام ، وهو لا يسمح بالعدوان ، ولا يسمح بالترف واللهو والفجور ، ويجعل من الدار الاخرة دار الجزاء النهائى لما قدمت يد الانسان . . .

وبما ان الاسلام يضع هذا المنهاج الدقيق ، وهذه الرقابة المتينة فان محبى الفوضى فى الاخلاق ، وسفاكى الدماء ، وممتصى عرق الجبين ، ومحبى الاباحية والسفاح . . . كل اولئك لن يطيقوه نظاما ، ولا يرضونه تشريعا ، ولذلك يحاربونه جميعا ، لانه خطير عليهم ، وعلى شهواتهم ، وعلى غريزة حب العدوان فيهم وعلى كل شر يستلذونه ، ويستمتعون به ، ومن هنا كانت محاربتهم للاسلام حربا لا هوادة فيها . . . وهى حرب باطل لحق . !!

والباطل زهوق « ان الباطل كان زهوقا » .

وبالرغم من وثوقنا بأن الله سبحانه كفيل بنصر دينه ، ونشر هديه فبالرغم من ذلك فانه سبحانه وتعالى يقول : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وفى آية اخرى يقول سبحانه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فالنصر مشروط بشرطه دائما . . وهل يتوفر الشرط . . ؟ ويقول سبحانه وتعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » فهل غيرنا ما بانفسنا ، ؟ ونبذنا ما علق بايماننا من شوائب ؟ حتى يغير الله اوضاعنا . . . ؟

وهل نتوفر على المقدار اللازم من الايمان الذى يحصل معه النصر . . . ؟ وهل نحن من الذين ينصرون الله ؟ وينتصرون لدينه حتى نرزق النصر . . . ؟

وبتحديد الاجابة عن هذه الاسئلة يتحدد التفاؤل بالمستقبل .

لكن مع كل ذلك ، فبالرغم من سوء الاوضاع التى يمر بها العالم الاسلامى ، وبالرغم من كيد الكائدين وحقد الحاقدين ، وبالرغم من ضعف جانب المسلمين وقوة اعدائهم ، بالرغم من كل ذلك فان الانسانية ستصل لا محالة الى مرحلة الغثيان مما هى عليه ، واى مرحلة رفض التفاهات التى تعيشها . . . وستلتمس الطريق من جديد ولن يكون هذا الطريق غير الاسلام ، ولن يكون غير دين الله الذى ارتضاه لعباده ، ولن تكون الطريق غير الاسلام الذى بدات بذرته مع اول الخليقة ، ويكون ازدهاره ويناعته مع آخر مراحلها . . . والاسلام ما صمد الا ليصعد ، وما قاوم الا ليقوم ، وما ناهض الا لينهض . . .

ولعل حيل واساليب المغرضين بدات تنكشف ولا تزيدها الايام الا افتضاحا وفى كل يوم يسقط فى ايدى المعجبين بالضلال ، وفى كل يوم يبدو منهم خلل وزلل « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » .

فالمستقبل للاسلام والدور دوره . . . وكم عودتنا روح الاسلام من مفاجآت . . . وكم اعتز الاسلام باسلحة الذين كانوا يحاربونه : كالعرب ، والترك ، والتتر وغيرهم ، وتلك هى معجزته الكبرى . . .

ان عباقرة الشرق والغرب ، يدورون اليوم فى حلقة مفرغة تبتدىء من حيث تنتهى وتنتهى من حيث تبتدىء . . . وتفطن بعض شباب هذا الجيل الى هذا

اللف والدوران حول المادة والمادة وحدها ، ولـــم يستطب نكهة الحياة ـ بدون اتصال روحي بخالق الكون ـ فانساب البعض على وجهه ناقما على حضارة آبائه واجداده ... متهما اياها بالفراغ من المحتوى الخالد . . . ومن الروح التى لا حياة بدونها ، وسئم الاشكال ، والصور ، والهياكل ، وافتقد شيئا لم يعثر عليه بعد . . . وهذا الشيء الذى افتقده هـــو الاسلام بدون شـــك .

ان لرسالة الاسلام اليوم فى المجتمع الانساني دورا ... دور الانقـــاذ والهدايـــة الى الطريـــق المستقيـــــم . . .

وعلى الذين يترقبون هذا الدور ان يعدوا لـــه وان يجعلوا من انفسهم نماذج حية يقف عندها الحيارى مطمئنين ، وان يأخذوا بيد الملتمسين لطرق الهـــدى الربـــانـــــى . . .

**تطوان : عبد القادر العافيـــة**



# ردّ الذهبي على ابن القطان الفاسي

تقديم وعرض : الاستاذ فاروق حماده .

نحن فى هذا البحث مع ثلاثة من اعلام السنة وقممها الشامخة ، يتباعدون فى الزمان والمكان ، ويتفقون فى التفكير والاتجاه ، فقد كان كل واحد منهم منارة للعلم ، ومنهلا للمعرفة فى عصره ومصره ، ولكن الفكر والاتجاه اللذين سار بهما هؤلاء الثلاثة لم يكونا لعصر محدود ولمصر معين ، لذلك تجاوزت افكارهم اسوار القرون ، واخترقت حجب الحدود ، وتنقلت عبر ذلك كله مؤكدة بقاءها واستمرارها استمرار رسالة الاسلام الخالدة .

اما اولهم فهو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الازدى الاشبيلى ابو محمد المعروف بابن الخراط الحافظ العلامة الحجة الفقيه المشارك من علماء الاندلس الاعلام ، ومصنفيها العظام ، وزهادها الكرام ، روى أبو محمد عن اعيان عصره ، وكتب اليه أبو بكر بن عساكر الحافظ وغيره بالاجازة ، وجد واجتهد ، ثم استقر به المقام فى بجاية فنشر بها علمه ، واشتهر اسمه وبعد صيته وانتفع به الطلاب فى كل مكان من هذه الاصقاع وصنف التصانيف الكثيرة التى جابت العالم الاسلامى الى أن توفى فى بجاية سنة احدى وثمانين وخمسمائة .

قال عنه ابن الابار : كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ، عارفا بالرجال وموصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ، ولزوم السنة والتقلل من الدنيا مشاركا فى الادب والشعر .

ومن مصنفاته التى تعنينا هنا كتابه الاحكام ، وقد صنف فى ذلك كتابين الاحكام الصغرى والاحكام الكبرى ومنهم من يقول : الوسطى ، ولا يبعد ذلك .

جمع الاحاديث النبوية التى تتعلق بالاحكام الشرعية فانتشرت فى عصره هذه الاحكام وانتفع الناس بها (1) ، ولا تزال فى عالم المخطوطات ، ولو بحث عنها لتوفر نسخ كاملة وهى جديرة جدا بالطبع والاخراج .

وجاء بعده الطود الشامخ والجبل الراسخ فى علوم الحديث والسنة وحامل لوائها فى الجناح الغربى من العالم الاسلامى فى عصره ، ابو الحسن على بن عبد الملك بن يحى بن ابراهيم الحميرى الكتامى الفاسى الشهير بابن القطان ، قرطبى الاصل من اهل فاس ، اقام زمنا بمراكش وولى قضاء الجماعة ، وامتحن سنة 621 فخرج من مراكش ثم عاد اليها ثم ولى قضاء سجلماسة فاستمر بها الى أن توفى سنة 628 .

قال عنه ابن الابار : كان من ابصر الناس بصناعة الحديث ، واحفظهم لاسماء رجاله ، واشدهم عناية بالرواية .

وقال ابن مسدى : كان معروفا بالحفظ والاتقان ، ومن ائمة هذا الشان مصرى الاصل مراكشى الدار ( تذكرة الحفاظ ) ، وكان شيخ شيوخ أهل العلم فى الدولة المؤمنية فتمكن من الكتب وبلغ غاية الامنية .

وقد اقر القاصى والدانى بعلو كعبه وثاقب بصره وسعة معرفته فى هذا الميدان ، حتى ان الامام الذهبى — وهو من هو — اقر له بكل ذلك واثنى عليه الثناء الوافر كما تراه هنا فى مقدمته ، أو فى تذكرة الحفاظ .

وقد الف ابن القطان العدد الكبير من المصنفات فى الحديث وعلومه فله :

1 — العلل فى الكلام عن احاديث السنن لابى داوود .
2 — تعليق عن المحلى لابن حزم فيما يتعلق بالناحية الحديثية .
3 — كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند — لم يكمل .
4 — كراريس فى الامامة ، والقراءة خلف الامام ، والوصية للوارث ، وغيرها .
5 — الجمان ( تاريخ وتراجم ) طبع فى المغرب .

6 — ومن اهم هذه الكتب وابعدها اثرا في الدارسين بعده « كتاب بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام الكبرى لعبد الحق الاشبيلي » المتقدم ذكره فانه ابان فيه كما يقول الذهبي عن قوة فهم وسعة حفظ . (2)

تتبع ابن القطان عبد الحق الاشبيلي في احكامه ، فبين اوهامه واغلاطه ، فتكلم على كثير من الاحاديث والرجال جرحا وتعديلا، تصحيحا تضعيفا، مختطا في ذلك منهجا اصيلا لم يكن المحدثون المغاربة قد نضج عندهم الى هذا الحد ، فكان ابن القطان اول من نازع المحدثين المشارقة بمنهجهم ، واول من ركز هذا المنهج الحديثي في الاصقاع المغربية ، وانتشر كتابه هذا بين العلماء فاستحسنوه وتلقوه بالقبول ، واعتمدوا الكثير من اجتهاداته وآرائه في الكلام على الاحاديث والرجال، فاصبحت تلفى النقول عنه في كتب الاعيان منهم ، فاذا ما وجدت : قال ابن القطان انصرف الى كتاب « بيان الوهم والايهام » ولك ان تأخذ واحدا من اعلام المحدثين في المشرق لتنظر كيف اقتفى أثره وعول على كتابه هذا واغترف منه الكثير ذلك هو الحافظ الزيلعي في كتابه القيم « نصب الراية في تخريج احاديث الهداية » والذي اختصره الحافظ ابن حجر في كتابه « الدراية » والحافظ الزيلعي توفي 762 ، اى كان معاصرا للذهبي رحمهما الله تعالى وكتاب ابن القطان يقع في مجلدين ضخام ( ما زال مخطوطا ، ويوجد مجلد واحد منه ) ونظرا لانتشاره الواسع فقد تتبعه غير واحد من الاعلام لينبهوا على اوهام وقعت له في بيان الاوهام ، منهم تلميذه ابن المواق ، واكمل كتابه ابن رشيد السبتي ، وهذان مغربيان . ومن اعلام المشرق الذين اهتموا به وتتبعوه الحافظ الحجة الامام الذهبي :

ابو عبد الله محمد بن احمد بن قايماز التركماني المولود سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، والمتوفى سنة سبعمائة وثمان واربعين ، وهو حامل راية هذا الشان في عصره ، المصنف المكثر ، اطلع الحافظ الذهبي على كتاب ابن القطان وقراه وتملاه — انظر تذكرة الحفاظ ، ترجمة ابن القطان — فوجد فيه الكثير من الآراء الصائبة ، ووجد فيه بعض الاغلاط ، فاختصر الكتاب — كما يتبين لنا من هذا النص الذي بين ايدينا — ونبه خلال اختصاره على الاغلاط والاوهام ، فكان هذا المختصر مع المناقشات في مجلد كبير كما قال ابن ناصر الدين ( ولابن القطان فيه وهم كثير نبه عليه ابو عبد الله الذهبي في مصنف كبير ) (3).

### بين الذهبي وابن القطان

ابن القطان بلا شك عالم تحرير فهم فطن ، كما ان الذهبي مطلع خريت في السنة وشعابها ، الا ان الذهبي اعرف بالرجال وابصر فهو مقدم في ذلك على ابن القطان ، وابن القطان افهم للمتون واشد غوصا على العلل ولذلك سترى ان الذهبي يؤيد ابن القطان ، ولو قدر لبيان الوهم والايهام ان يطبع كاملا لكان عملا عظيما وخدمة جلى تسدى للدراسات الحديثية بوجه خاص وللدراسات الاسلامية بوجه عام . كما لا يفوتنا ان نذكر ان ابن القطان تلقى علومه من الكتب وهذا ما عرضه لاغلاط .

اما قيمة تنبيهات الذهبي ، فعظيمة كما ستراها — ولا تفض من مكانة ابن القطان وقيمته — فقد افادتنا نكات في مصطلح الحديث فريدة ، وكشفت عن اسماء رواة كانت غامضة وبينت أحاديث اضطرب في شانها العلماء ، وعرضت لمسائل يحتاجها العلماء والباحثون وجملة هذه الانتقادات تقرب من التسعين وجاء احد الدارسين للحديث وهو محمد بن عبد الله بن المصفى بن المنجا الحنبلي ، فاستخرج من مختصر الامام الذهبي ردوده على ابن القطان ، بدون تطويل وتفريع ، وحفظ لنا مختصر المختصر ، وهو لباب المقصود وابن المنجا الحنبلي منح العنوان « الرد على ابن القطان » للذهبي ، والله أعلم .

### وصف النسخة :

النسخة من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع ، وهي في عشر ورقات وصفحة من الحجم المتوسط وهي بخط ابن المنجا المختصر ، فقد جاء في آخرها : فرغ من كتابته العبد الفقير الى الله تعالى ، محمد بن عبد الله بن المصفى بن منجا الحنبلي ، وارجح أن يكون نسخها اما في ايام الذهبي او بعده بقليل يدلنا على هذا خطها ، وبعض الارقام ذكرهم في الاصل ، وهي نسخة مضبوطة مقروءة ،

واني لما عزمت على اخراجها ضبطت النص ، ورقمت التنبيهات ، وعلقت عليها تعليقات طفيفة لابد منها لايضاح مقصود النص واعطائه الصورة الكاملة ، دون أن تثقله وتكبله، بل اردت ان يبقى مشرقا بروعته كما أراده الذهبي رحمه الله تعالى .

فالى المعتنين بالدراسات الحديثية والاسلامية عموما ، نقدم هذا البحث خطوة اولى على طريق ابراز تراث علم المغرب الشامخ ابن القطان الفاسي رحمه الله تعالى ، فاذا ما قدر لكتابه القيم ان يطبع كان هذا البحث مساعدا في ذلك ومساهما في ابرازه نقيا صافيا ، والله الهادي والموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،

قال الشيخ الامام الحافظ أبو عبد الله الذهبى رحمه الله تعالى فى كتاب مختصر كتاب الوهم والايهام لابن القطان :

قال الحافظ العلامة أبو الحسن على بن محمد ابن عبد الملك بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى الكنانـــى الحميرى الفاسى المغربى — عرف بابن القطــان — المتوفى سنة 628 هـ :

الحمد لله كما يحق له ويجب ، والصلاة علـــى نبيه محمد المنتخب » فذكر خطبة ابن القطان ، وكتب الذهبى ايضا على ظاهر الكتاب ناقلا عن ابن القطان بعد اسف فى المحاققة والتعنت للحافظ أبى محمـــد ، وبالغ فى ذلك ، وأصاب فى كثير من ذلك ولم يصب فى أماكن ، وغلط فيها ، والزم أبا محمد بتطويل الكلام على الاصل بما لا يناسب الاحكام المختصرة التى بلا أسانيد وعمد الى رواة لهم جلالة وجلادة فى العلم ، وحديثهم فى معظم دواوين الاسلام فغمزهم بكون أن أحدا مـــن القدماء ما نص على توثيقهم بحسب ما اطلع هو عليه ، وقاعدته كابن حزم ، واهل الاصول ، يقبل مـــا روى الثقة سواء خولف أو رفع الموقوف أو وصل المرسل

والرجل فحافظ فى الجملة له اطلاع عظيـــم » وتوسع فى الرجال ، ويقظة وفطنة قل من يجاريـــه فى زمانه ، اخذ الفن من المطالعة

1 — حديث للدارقطنى ، من رواية القاسم بـــن محمد العمرى « لا يقضى القاضى الا وهو شبعـــان ريـــان »

قال : فالقاسم متروك .

قلت : الصواب القاسم بن عبد الله

2 — حديث عصمة بن مالك ، وعبد الله بـــن الحارث بن أبى ربيعة « أن مملوكا سرق فعفا عنـــه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم سرق فعفا عنه ، فلما رفع اليه فى الخامسة فقطع »

الحديث لا يصح لارساله وضعف اسناده ( فهذا تعبيره ) فقال : رواه النسائى ، وما هو فى النسائى هكذا بل فيه لحماد بن سلمة عن يونس ، وذكر على الحاشية

قلت : صوابه يوسف بن سعد بدل يونس عن الحارث بن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بلص فقال : اقتلوه » قالوا : انما سرق ، قال : اقطعوا يده ، ثم سرق ، فقطعت رجله ، ثم سرق على عهد أبى بكر حتى قطعت قوائمه ، ثم سرق فقتله .

فنسبة المؤلف الخبر الى النسائى ، والى عصمة ابن مالك وعبد الله بن الحارث ، وهم

3 — حديث عائشة فى قيامه عليه الســـلام فى الناس فى رمضان ليلة بالناس ، زاد فى طريق ولو كتب عليكم ما قمتم بـــه

فهذا من حديث زيد بن ثابت ، وما هو فى مسلم» وانما هو بلفـــظ :

قلت : بل هو فى مسلـــم

4 — حديث : روى ابراهيم بن زيد بن قديد عن الاوزاعى عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريـــرة مرفوعا « اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتـــى يركع ركعتين واذا دخل بيته كذلك » قال : وهـــذه الزيادة لا أصل لها ، قاله : ( البخارى ) وانما يصح فى ذلك حديث أبى قتادة

فهذا من كتاب ابن عدى ، حدثنا حذيفة وغيره قالوا : ثنا أبو أمية ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا ابراهيم بن زيد بن قديد

---

1) القاسم بن عبد الله من رجال ابن ماجه ، وحديثه هذا أخرجه كذلك البيهقي ، من حديث أبي سعيد الخدري ، وضعفه لاجله فقال أبو حاتم متروك ، واتهمه غيره بالوضع . انظر الجرح والتعديل 111/2/3 .

2) انظر النسائى 261/2 ، والحديث أخرجه كذلك الطبرانى فى معجمه ، والحاكم فى مستدركه وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . والحارث بن حاطب تابعى ثقة ولد بالحبشة وولى مكة لابن الزبير سنة 66 هـ .

3) ما قاله الذهبى رحمه الله تعالى من وجوده فى مسلم هو كذلك ولفظه « ولكنى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها » 178/2 وهو من حديث عائشة ، والحديث كذلك فى البخارى 11/2 ( كتاب الجمعة ) 45/3 ، واحمد فى مسنده 169/6 .

4) الصواب ما قاله الذهبى فقد أخرج له من أشار اليهم ، ووثقه يعقوب بن أبى شيبة وهو من كبار الطبقة العاشرة ، وله اغاليط، وانظر الجرح والتعديل 92/1/2 .

قال ابن عدى : وابراهيم لا يحضرني له غير هذا وهو منكــر

قال ابن القطان : سعد مجهول الحال

قلت : بل روى عنه جماعة ، وقال ابن معين : ليس به بأس ، وخرج له ( ت ، س ، ق )

5 ــ حديث : « طعام البخيل داء » لم نعرفه وهو عند أبي أحمد باسناد آخر رواه أبو يعلى الصدفى : ثنا أبو العباس العذرى ، ثنا محمد بن نوح الاصبهانـى بمكة ثنا الطراق ثنا المقدام بن داود ثنا عبد الله بـن يونس عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « طعام البخيل داء ، وطعام السخى شفاء »

قال أبو على : غريب عجيب ورجاله ثقات

قال المؤلف : مقدام قال فيه الدارقطنى : ضعيف

6 ــ لا يسمع بى أحد من هذه الامة لا يهودى ولا نصرانى ، من كتاب عبد الرزاق

عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة هو فى مسلم دون ( ولا )

قال المؤلف : فابن ابى شيبة قد ذكر من حديث أبى موسى صحيحا ذلك المعنى بعينه فقال حدثنا عفان حدثنا شعبة ثنا أبو شمر ، سمعت سعيد بن جبير عن أبى موسى مرفوعا :

من سمع بى من أمتى أو يهودى أو نصرانى ثم لم يؤمن بى دخل النار

قال ابن القطان : هذا حديث صحيح الاسنـاد فاعلمه ، كذا قال ، ولم يتفطن الى أن سعيدا لم يلق أبا موسى ، وانه منقطع ، وأبو شمر الضبعى ما سمى روى له مسلم

وقال على بن عاصم عن سهيل وفيه أن التـى حدثته أسماء ولم يشك

6 ــ 2 وقــال : أبـو داوود ثنـا وهــب بــن بقيــة أنــا خالـــد عـــن سهيـــل عن الزهرى عن عروة عن أسماء بنت عميس ( قالت ) قلت : يا رسول الله ان فاطمة استحيضت فقـــال : لتغتسل للظهر والعصر غسلا واحدا الحديث

وفاطمة أسدية ، قال ابن حزم : أدركها عروة، ولم يبعد أن سمع من خالته عائشة ومن ابن عمه

قال المؤلف : هذا عندى غير صحيح وفاطمة (..) لانها بنت أبى حبيش بن المطلب بن أسد ولا يعرف لها سوى هذا الحديث ، ولم يتبين منه أن عروة أخذه عنها

قلت : ما أبدى ابن القطان فى رده على ابن حزم طائلا

7 ــ حديث المسيب بن حزن ، لما حضرت أبا طالب الوفاة

فالمسيب من مسلمة الفتح ، ولم يشاهد القصة

قلت : مراسيل الصحابة حجة وذكر علـــى الحاشية

قلت : عامة ما فى هذا الباب أحاديث علقهـــا الائمة فقال : منقطع

8 ــ حديث فى قضاء صوم التطوع ضعفه ، ومـا ذكر أن مجاهدا ما سمع من عائشة

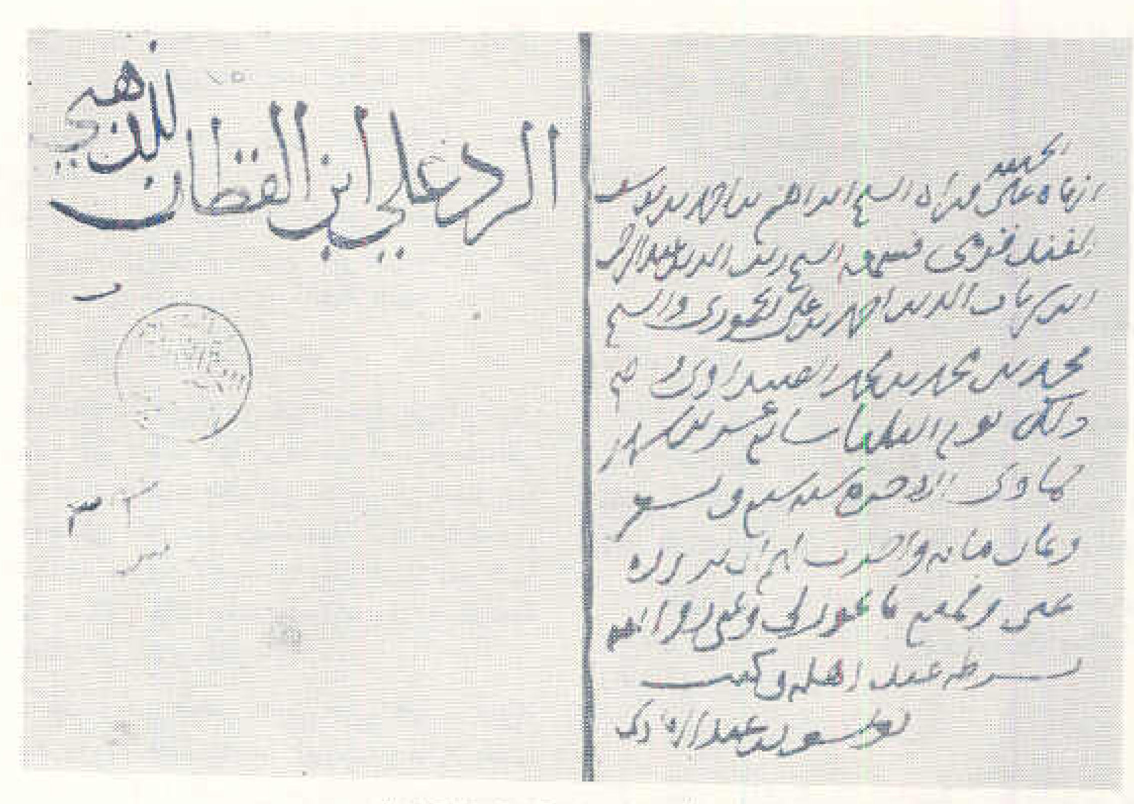
قلت : فى ذا خلاف

---

5) أورده الدارقطنى فى غرائب مالك ، وابن عدى فى كاملــه ، والخطيب فى كتاب البخلاء ، وأبو القاسم الخرقى فى فوائده ، قال ابن عدى : باطل فيه مجاهيل وضعفاء ، ونقل الائمة قول ابن القطان فى تقويته الا مقدام بن معافى ، وقد رده الحافظ ابن حجر والذهبى فى الميزان ولسانه ، وقالا : كذب لا يثبت .
ومقدام بن داوود ، قال ابن ابى حاتم : سمعت منه بمصر وتكلموا فيه ، انظر فى الجرح والتعديل 4 / 1 / 302 .

6) انظر الحديث فى صحيح مسلم من طريق أبى هريرة ، كتاب الايمان 93/1 .

8) كان يحيى بن سعيد القطان ، وشعبة بن الحجاج ، ويحيى بن معين وأبو حاتم يرون أن مجاهدا لم يسمع من عائشة انظــر المراسيل لابن أبى حاتم ص 125 ، وثبت عند البخارى ومسلم سماعه منها وأخرجا له أحاديث عن عائشة فى بعضها مما يدل على سماعه منها ، وقال ابن حبان فى صحيحه : من زعم أن مجاهدا لم يسمع من عائشة كان واهما ، ماتت عائشة فى سنة سبع وخمسين وولد مجاهد فى سنة احدى وعشرين فى خلافة عمر ، وانظر البخاري باب عمرة القضاء فى المغازي ، ومسلم فى الحج والنسائى ( باب ذكر القدر الذى يكتفى به الرجل من الماء للغسل ) فى الطهارة ففيه التصريح بالسماع من قول مجاهد .


الرد على ابن القطان للذهبي

الصفحة الاولى ( غلاف المخطوطـة )

الورقة الاولى من المخطوطة

9 ـ حديث بنت أبى حبيش كانت تتحاض فقال لها : اذا كان دم الحيض فانه أسود يعرف

انفرد بلفظه محمد بن عمرو عن الزهرى عن عروة عن فاطمة بنت أبى حبيش فهذا منقطع لانه حدث به مرة فقال : عن عروة عن عائشة عن فاطمة ، وقال الليث : عن يزيد بن أبى حبيب عن بكر بن عبد الله عن المنذر أبى المغيرة عن عروة أن فاطمة حدثته

فالمنذر مجهول ، قاله أبو حاتم

وكذلك حديث سهيل بن أبى صالح عن الزهرى عن عروة حدثتنى فاطمة أنها أمرت أسماء ، أو حدثتنى أسماء أنها أمرت فاطمة بنت أبى حبيش أن تسأل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا شك فيه سهيل وقد ساء حفظه ، وفيه انه أحالها على الايام فامرها أن تقعد الايام التى كانت تقعد * والمعروف فى قصة فاطمة الاحالة على الدم والقرء

10 ـ حديث ابن عباس «ليس على النساء حلق» سكت عنه ، وهو ضعيف منقطع ابن جريج قال : بلغنى عن صفية بنت شيبة ، أخبرتنى أم عثمان بنت أبى سفيان أن ابن عباس قال مرفوعا

وأم عثمان لا يعرف لها حال

قلت : هى زوجة ( بنت ) شيبة لها صحبة ورواية فى مسند أحمد

11 ـ حديث ابن عباس وقت العقيق فهو من طريق يزيد بن أبى زياد ، وقد نبه عليه عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن جده

فأقول : انما يعرف محمد بالرواية عن أبيه عن ابن عباس ، وخرج له بذلك مسلم فى قيام الليل فأخاف انقطاعه مع قول مسلم : لا نعلم أنه لقى جده

قلت : مولده سنة أربع وستين ، وأدرك صباه جده وهو ابن أربع سنين

12 ـ حديث من مسند ابن شيبة عن سعد فى الحج « فمنا من رمى بست » ، ومنا من رمى بسبع »

قال : فى اسناده حجاج بن ارطاة

قلت : وهو عن مجاهد عن سعد ، ولا نعلمه سمع منه ، وممكن

13 ـ حديث عن أبى رافع « فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنزل الابطح * ولكن جئت فضربت قبته ، فجاء فنزل ، فسكت عنه لكونه فى ( م ) وهو عن سليمان بن يسار ، قال : قال أبو رافع

قال ابن عبد البر : ولد سليمان سنة أربع وثلاثين ـ وقيل : سنة سبع وعشرين ومات أبو رافع اثر قتل عثمان

قلت : يبعد سماعه منه .

قال : وذكر ابن أبى خيثمة : ثنا حامد بن يحيى ثنا سفيان قال ، كان عمرو يحدثنا عن صالح بن كيسان أنه سمع سليمان بن يسار يقول : أخبرنى أبو رافع ، وكان على ثقل رسول الله فضرب قبته بالابطح .

14 ـ حديث عن عبد الله الصنابحى فى فضيلة الوضوء ، فقال عبد الله : لم يلق النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقال : أبو عبد الله وهو الصواب * واسمه عبد الرحمن فصدق ، فقد ذكر مالك للصنابحى أحاديث سماه فيها عبد الله فيزعمون أنه وهم ، أو سماه عبد الله لان كلنا عبيد الله ، قال ( البخارى ) وهم مالك هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة حديثه مرسل

والصنابحى الاحمسى صحابى له حديثان ، نقله الترمذى فى العلل .

---

10) انظر فى تاكيد قول الذهبى هذا الاصابة فى تمييز الصحابة 476/4 ، وقد ساق حديثها الذى ذكره احمد فى مسنده من طريق صفية . وكذلك ذكرها ابن عبد البر فى الاستيعاب ،انظر هامش الاصابة 478/4 ، مع التذكير بان كليهما لم يذكر أن اسمها روحة . فأفادنا الذهبى هنا فائدة هامة .

12) زاد الذهبي على ابن القطان انه لا يعلم لمجاهد سماعا من سعد ، ( وهو ممكن ) فابن ابى حاتم الرازى يقول ، سمعت ابى يقول : لم يدرك مجاهد سعدا ، انما يروى عن مصعب بن سعد وابو زرعة يرى هذا الرأى . انظر المراسيل لابن ابى حاتم 126 .

14) هناك خلاف طويل فى الصنابحين ، فالترمذى مثلا يقول فى جامعه / الاحاديث الاولى منه / والصنابحى الذى روى عن أبى بكر الصديق ليس له سماع من النبى صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة ويكنى :با عبد الله رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ، وقد روى أحاديث ، والصنابح بن الاعسر الاحمسى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يقال له : الصنابحى وانما حديثه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : انى مكاثر بكم الامم فلا تقتلن بعدى وعلى هذا التفريق بينهما جرى اكثر المحدثين .
وقول الذهبى الذى عقب به عن ابن القطان خالف فيه الجم الغفير من المحدثين ، وهو مرجوح والله أعلم .. وانظر مسند احمد 4 / 348 ، 4 / 351 .

قال المؤلف : لكن التكهن بانه المراد ، لا نقول عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحى ونسبة الوهم الى مالك فيه خطأ ودعوى ، ومالك ما انفرد بذلك ، تابعه أبو غسان محمد بن مطرف عن زيد بن اسلم عن عطاء عن عبد الله الصنابحى عن عبادة فى الوتـــر وتابعهما زهير بن محمد عن زيد ، وقال سعيد : حدثنا حفص بن ميسرة عن زيد عن عطاء عن عبد اللـــه الصنابحى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان الشمس تطلع مع قرن الشيطان . رواه ابن السكـــن وترجم باسم عبد الله فى الصحابة ، ثم قال : وابو عبد الله الصنابحى ايضا مشهور يروى عـــن عبادة وأبى بكر ليست له صحبة .

قال : ويقال أيضا أن عبد الله غير معـــروف فى الصحابة .

وقال عباس عن ابن معين : عبد الله الصنابحى يشبه أن تكون له صحبة ، قال المؤلف :

المتحصل انهما اثنان عبد الرحمن ليست لـــه صحبة يروى عن أبى بكر وعبادة .

والآخر عبد الله الصنابحي ايضا عن أبى بكـــر وعبادة والظاهر منه ان له صحبة ولا أبت ذلك ولا أيضا أجعل أنا عبد الله عبد الرحمن ، قال الذهبى : مـــن ابعد الاشياء أن يكون رجلان صنابحيان كل منهما يروى عن أبى بكر وعبادة أحدهما أبو عبد الله ماله صحبة ، والآخر عبد الله له صحبة ، مع جعلهما واحدا عنـــد البخارى ، والترمذى وأبى حاتم وابنه وابن عبد البر، وغيرهم ، بل القوى انه واحد مشهور بالنسبة مختلف فى اسمه كاد أن يكون صحابيا لقدومه المدينة بعد وفاة المصطفى بليال صلى الله عليه وسلم ، وما رأيناه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى حديث واحد ، تفرد بلفظ سمعت سويد بن سعيد عن حفص ، وسويد فيه مقال ، وما هو بالحجة ، اضر باخرة وشاخ وربما يلقن .

15 ــ وذكر فى الباب الذى قبله حديث معاذ فى زكاة البقر لمسروق عنه ، ولم يلقه

وذكر ذلك عن ابن عبد البر ، فما قال ابن عبد البر ، الا أنه متصل ، والذى رماه بالانقطاع ابن حزم ثم استدرك بعد وقال :

فمسروق بلا شك ادرك معاذا وشاهد احكامـــه نقيا ، وأفتى زمن عمر ، ويقول بعد: ان مسروقا سمع من معاذ ، وانما اقول ليس فى حديث المتعاصرين الا رايان ، الحمل على الوصل كراى مسلم والجمهور ، أو القول لم يثبت سماع هذا من هذا كراى ابن المدينى والبخارى ، ولا يقولون انه منقطع ، قلت : بل رايهما دال على ا ( لا ) نقطـــاع .

16 ــ حديث ستر وجه المرأة فيه خالد بن دريك ما سمع من عائشة .

قلت : وخالد مجهول وعند سعيد ابن بشير .

17 ــ حديث عبد الله بن محمد بن عمر عن عبد الله ، رش على قبر ابراهيم

فعبد الله لا يعرف .

قلت : ذا ابن على بن ابى طالب فعلم منه .

18 ــ حديث جابـــر « كان لا يأذن لمـــن لا يبدأ بالسلام » ضعف ابراهيم بن يزيد الخوزى ، ولم يتبين أنه عن ابى الزبير عن جابر .

قلت : هذا وكثير مما هنا تعنت سمج ، حديث جابر فى ذلك مشكوك فى اتصاله ثم ساق المؤلـــف أحاديث مضعفة لناس معهم من يجهل حاله فاعرضت عن ذلك لكثرته .

19 ــ حديث الدارقطنى عن ابن عمر : من صلى وحده ثم أدرك الجماعة فليصل الا الفجر والعصر .

تفرد به سهيل بن أبى صالح رفعه عن القطـــان عن عبيد الله عن نافع .

وخالفه الفلاس فوقفه ، وكذا رواه أبو أسامة وابن نمير عن عبيد الله ، وكذا مالك والليث عن نافع.

فتعلق المؤلف بانه لا يعرف شيوخ الدارقطنى ، وهذا لا شى .

20 ــ حديث الدارقطنى عن عفيف بن سالم عـــن الثورى « لا يحصن الشرك شيئا » .

---

16) ويشير الذهبى الى أن من أسباب ضعف الحديث كذلك أن فيه سعيد بن بشير وقد ضعفه قوم وقوى امره آخرون ، فابن مهدى تركه ، وضعفه أحمد ، وابن معين وابن المدينى والنسائى ، وقوى أمره أبو حاتم ، وشعبة ، ودحيم .

20) هذا هو راى المصنف وابن حزم كما سيظهر لنا من بعد أن الثقة اذا تفرد عندهما بزيادة أو برفع موقوف يقبل مطلقا

قال : وهم عفيف فى رفعه ، والصحيح من قول ابن عمر ، فهذا غير علة

الثقه عفيف ، فرفع الثقة لا يضر .

قلت : بل يضر لمخالفته ثقتين فاكثر ، لانه يلوح بذلك لنا ان الثقة قد غلط

قال : انما علته انه من رواية احمد بن ابى نافع عن نافع عن عفيف .

قال ابو يعلى : لم يكن موضعا للحديث ، ثم ذكر ابن عدى لاحمد هذا الحديث ، وقال : منكر .

21 — حديث جابر « من لم يقرأ بأم القـرآن » رده لمخالفة الناس يحيى بن سلام فى رفعه وليس ذاك له بعلة لو كان يحيى معتمدا .

قلت : مع عدم اعتماده تفرده بالرفع آكـــد فى الوهــن .

22 — حديث فى قضاء صوم التطوع ، عاله بتعليل الدارقطنى .

وانما علة رواية ( النسائى ) عن احمد بن عيسى المصرى

قلت : اخطات فى قولك : انه ( الخشاب ) ؟ قال: عن ابن وهب واحمد يتكلم فيه وينكر عليه ، يـروى بواطيل ، قلت : قد احتج به ( البخارى ومسلــم ) وفيه تضعيف لا ينهض .

واما الخشاب ، فضعيف ، ولم يرو عنه النسائى شيئا ، ولا هو روى عن ابن وهب ، بل انما لحق عمرو ابن ابى سلمة ، واقرانه بالشك .

23 — حديث الدارقطنى عن ابن عمر " لا تحج الا باذن زوجها .

فيه محمد بن ابى يعقوب الكرمانى عن حسان ابن ابراهيم .

فالكرمانى هو ابن اسحق ، وثقه ابن معين ، وروى له ( البخارى ) ، وانما علته رواية عنه العباس ابن محمد بن مجاشع ، ولا يعرف حاله .

قلت : وحسان رواه عن ابراهيم الصايغ وفيه مقال ، ولم يذكر أنه سمعه من نافع قال : وقال نافع

24 — حديث حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد مرفوعا فى غسل الانثيين من المذى ، قال : لا يصح ، وحزام ضعيف .

قال المؤلف : مجهول ، قال كاتبه ( الذهبــى ) رواه معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عنه .

25 — حديث « لا وضوء لمن لم يسم »

قال احمد : لا أعلم له اسنادا جيدا

وقال ( البخارى ) ، احسن شىء فيه حديث رباح

فقول : ( البخارى ) احسن لا يقتضى تحسينه ، فما هو الا ضعيف .

26 — بشر بن المفضل عن عبد الرحمن حرملة عن ابى ثفال عن رباح بن عبد الرحمن عن ابى سفيان بن حويطب عن جدته عن أبيها مرفوعا .

قال ( الترمذى ) : ابوها سعيد بن زيد ، وأبـو ثفال ثمامة بن حصين ،

قال المؤلف : رباح وجدته وابو ثفال مجاهيل

قال كاتبه ، اعنى الذهبى : بل ابو ثفال قـال البخارى فى حديثه نظر ، نقله العقيلى عن آدم عنه .

27 — حديث : « نهى أن يستقـاد فى المسجــد »

---

21) ومناقشتها هنا هى فى رفع الثقة للموقوف كما فى الحديــــث السابــق

24) حديث عبد الله بن سعد أخرجه الترمذى وحسنه وأبو داوود ، وقال الحافظ بن حجر : فى اسناده ضعف .

25) استدرك الذهبى عن ابن القطان لا ترفع من قيمة الحديث شيئا ، الا أنها فائدة قيمة وان كانت لا تدل بحد ذاتها على أن البخارى عرف ابا ثفال فتأملها !! وقد روى عنه غير واحد . والحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما ، انظر جامع الترمذى ، كتاب الطهارة باب التسمية عند الوضوء .

لمحمد بن عبد الله الشعيثي عن زفر بن وثيمه، عن حكيم بن حزام .

وزفر مجهول ، ورواه وكيع عن الشعبي فقال : عن العباس بن عبد الكريم عن حكيم ذكره الدارقطني

قلت : وذا في اطراف المزي عن الشعبي عن القاسم بن عبد الرحمن المزني عن حكيم فتحقق هذا .

28 ــ حديث ابن جريج عن محمد بن عمر بن علي ابن عباس بن عبد الله بن عباس عن الفضل بن عباس

قال المؤلف : هو محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي مجهول الحال .

قلت : لا بل ذا ابن عم علي بن الحسين .

ــ يتبع ــ

## مراجع المقدمة :

1 ــ انظر في ترجمة عبد الحق الاشبيلي المراجع التالية :
1 ــ عنوان الدراية ، الغبريني ص 75 .
2 ــ فوات الوفيات ، 248/1 .
3 ــ التكملة : ص 647 .
4 ــ تهذيب الاسماء واللغات : 292/1
5 ــ تذكرة الحفاظ ، 1350/4
وغيرها من المراجع

2 ــ انظر في ترجمة ابن القطان المراجع التالية :

1 ــ تذكرة الحفاظ : 1407/4 .
2 ــ شجرة النور الزكية : ص 179 .
3 ــ التكملة : ج 686/3 .
4 ــ صلة الصلة : ص 131 .
5 ــ شذرات الذهب 128/5 .
6 ــ جذوة المقتبس : 298
وغيرها من المراجع .

3 ــ انظر في ترجمة الذهبي

1 ــ ذيول تذكرة الحفاظ : ص 34
2 ــ الاعلام ، ومعجم المؤلفين ــ واحالاتهما .

كتب أحد العارفين الى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فان الهـــول أعظم ، والامور المفظعات أمامك ، ولا بد لك من مشاهدة ذلـــك ، امـــا بالنجاة ، واما بالعطب ، واعلم ان من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنهـــا خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف أمن ، ومن أمن أعتبر ، ومن أعتبر أبصر ، ومن ابصر فهم ، ومن فهم علم ، فاذازللت فارجع ، واذا ندمت فاقلع ، واذا جهلـــت فاسأل ، واذا غضبـــت فامســـك .

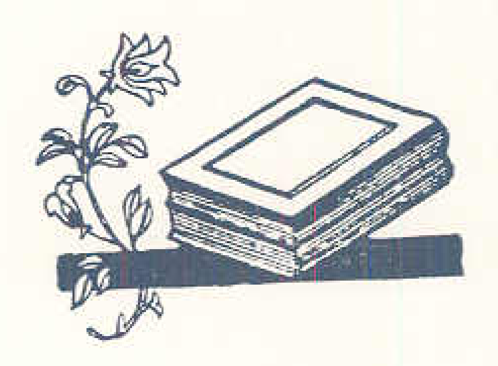
# دراسات مغربية

- التجربة المغربية الرائدة في ديوان "من وحي الأطلس"

---

- آثار وفنون الاسلام بالمغرب العربي

---



« لا يساورني ادنـــى شك فى ان الحضارة التي ترتبــط أجزاؤهــا برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكا قويا ، وتحمــل فى جوانحهــا عقيدة مثل الاسلام ، لا ينتظرها مستقبل زاهــر فحسب ، بــل ستكون أيضاً خطراً على أعدائــه »

مؤلف كتاب « الاسلام قـوة الغـد العالمية »

# القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

للأستاذ سعيد أعراب



**ولايتــــه القضــــاء :**

اظهر ابو بكر بن العربي لدى توليتـــه الشورى بين ايدي القضاة ، كفاءة نادرة ، دلت على تضلعـــه الواسع فى علوم الشريعة ، وغيرة ملتهبة على حقوق الضعفاء ، والوقوف الى جانب المظلومين ، وكان فى مجالسه العلمية ينتقد الاوضاع الفاسدة التي يعيشها المجتمع الاندلسي ، وينحي باللائمـــة على الـــولاة والمسئولين ، وكان لتلك النداءات المتكررة ، صداها البعيد فى مراكش عاصمة المرابطين ، فأصدر علـــي ابن يوسف بن تاشفين مرسوما بتولية أبي بكـــر بن العربي قضاء اشبيلية ، يحمل تاريخ منسلخ جمادى الثانية سنة ( 528 هـ ) (1) .

وتتفق كلمة المؤرخين على انه كان مثال العدل والاستقامة ، صلبا فى الحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قال عياض : ( ... فنفع الله به أهل اشبيلية، لصرامته وشدته ، وكانت له فى الظالميـــن سورة مرهوبة ، مع الرفق بالمساكين ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .. ) (2) .

وكان المجتمع الاشبيلـــي ــ آنذاك ــ يعيش حالة الفوضى والاضطراب ، والتمزق ، والانحـــلال الخلقي ؛ وقد يدلنا على ذلك ، الحوار الذي دار بين ابي الوليد بن رشد وابي بكر بن زهـــر ، بمجلـــس يعقوب المنصور الموحدي فى شأن قرطبة واشبيلية، فقال ابن رشد : ( ما ادري ما تقول ؟ غير انـــه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبـــه ، حملـــت الى قرطبة حتى تباع فيه واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته ، حملت الى اشبيلية ) (3) .

ويصور لنا ابن العربي هذا الجو المائج المائع الذي ركب الناس فيه رؤوسهم فيقول :

( .. فكيف لو راى زماننا هذا بهتك الحرمات ، والاستهتار بالمعاصي ، والتظاهر بالمناكر ، وبيـــع الحدود ، واستيفـــاء العبيـــد لهـــا فى منصـــب القضـــاة .. ) (4) .

لكن ابن العربي أخذ الامور بيد من حديـــد ، فقابل الطغاة والمستهترين بصرامة لا تعرف هوادة ؛

(1) انظر البيـــان المعـــرب 4 / 92 ــ 94 .
(2) الغنية ــ مخطوط خاص ، وانظر الديبـــاج ص 281 .
(3) المقـــري ، النفـــح 1 / 155 .
(4) الاحكـــام 2 / 84 .

ومن تصلبه ان اتخذ له شرطا يتتبعون خطوات الشاربين ، ويرقبون كل حركة او بادرة من طرف السكارى والمخمرين ؛ اتى له يوما برجل بيده كاس فيها خمر ، فساله عنها ، فلقنه بعض الوزعة ان يقول ان عنده جارية نصرانية اشتراها لها ، فاطرق مليا ثم رفع راسه وقال : لعن رسول الله فى الخمر عشرة ، وذكر منها المشتري والمشتراة له ؛ ثم لعنه وامر من بحضرته ان يلعنه ، فاستمرت عليه اللعنة في نواحي اشبيلية ؛ حتى كان ذلك سبب نفيه منها (5) .

وتقب اشداق (6) زامر كانت تلتف حوله حشود العاطلين ، ويغوي بمزماره الغادين والرائحين؛ وحلق شعر شاب كان مدعاة للهو والفساد . ( ... وكنت ايام الحكم بين الناس ، اضرب واحلق، وانما كنت افعل ذلك بمن يرى شعره عونا على المعصية ، وطريقا الى التجمل به في الفساد ، وهذا هو الواجب فى كل طريق الى المعصية ) (7) .

وهو الى ذلك كان رفيقا بالضعفاء ، رحيما بالارامل والمساكين ؛ اشتدت مسغبة في بعض السنوات ، فهام الناس على وجوههم من الجوع والفاقة ؛ فدعا الولاة والاغنياء الى المواساة — وهو امر محتم عليهم ، فلم يجد اذنا صاغية ؛ فقدر ان ما ينوبه من هؤلاء البائسين اثنان او اكثر ، فضمهم اليه ، وانفق عليهم في جملة عياله ؛ ( .. وقد كنت فى أعوام المجاعة ادعو الاغنياء والولاة الى ذلك — ( المواساة ) — فيابون علي ، لان الله ابى عليهم ان يفلحوا ؛ فكنت ارجع الى تقدير الاغنياء والمساكين، فاخذ من جملتهم قدر ما يمكن ان يلزمني على التقسيط ، فاضمهم الى نفسي ، واجعلهم من معارفي ) (8) .

ووقعت مجاعة اخرى — وهو بايلان اغمات فى جنوب المغرب ، فكان ذلك صنيعه — رغم ما كان يعانيه من ازمات ، وما جرته عليه نكبة القضاء من ويلات . ( كنت بايلان فى مجاعة سنة خمس أو ست وثلاثين وخمسمائة ، وقد ضاقت الارض برحبها على المساكين ، ومادت بعطفي شرقها وغربها على المحتاجين ، فحشر الينا زمر منهم وعمهم البلاء ؛ وكنت بدار غربة ، فى حال كربة ؛ فرايت ان الذي يلزمني واحد منهم ، فاخذت اثنين ؛ وكنت اقوتهم كل يوم رغيفين ، الا ان تاتيني زائدة من فائدة ، فيكون عليهم منها عائدة ) (9) .

وازاء الغارات التي كانت تقوم بها القوات الصليبية فى جنح الظلام على المدن الاندلسية ، بقصد النهب والتخريب ، يساعدهم فى ذلك المعاهدون المتواجدون بهذه المدن — قدم رئيس فقهاء الاندلس ابو الوليد بن رشد ( الجد ) الى علي بن يوسف بن تاشفين مشروعا كان مما تضمنته :

1 — اجلاء المعاهدين عن ديار الاسلام لنقضهم العهد ، ومساعدتهم لاعداء المسلمين .

2 — تسوير المدن تحصينا لها ، وحفظا لامنها (10) .

فتقبل الخليفة المشروع ، وامر بتنفيذه فى الحين فاجلى المعاهدون اينما كانوا ، فاكلتهم الاسفار، وحاق بهم سوء مكرهم !

ووقع المشروع فى بناء أسوار المدن ، لكن الامناء لم يحسنوا التصرف فى ذلك ، فضاعت اموال فى هذا السبيل بدون جدوى ، وتهدم اكثر ما بني (11) .

ولما ولي أبو بكر بن العربي قضاء اشبيلية ، كان من مشاريعه الاصلاحية بناء سور المدينة ، فانفق عليه من ماله الخاص ، وعندما نفد ما كان بيده، اغتنم فرصة عيد الاضحى ، فدعا الناس الى التبرع بجلود اضاحيهم لاتمامه — وهو احق ما تنفق فيه ؛

---

(5) ابن عذاري ، البيان المغرب 4 / 93 — 94 ، وانظر العارضة 5 / 303 ، والاحكام 1 / 22 .
(6) نفس المصدر .
(7) الاحكام 4331 .
(8) محمد بن جعفر الكتاني ، رسالة فى المواساة ص 5 ، وانظر السلوة 3 / 198 .
(9) نفس المصدر .
(10) البيان المغرب 4 /92 — 93 .
(11) نفس المصدر .

لكن الحسدة ومرضى القلوب دفعوا بالعامة الى الشغب ، وحرضوهم على التمرد والعصيان ، واوعزوا اليهم ان يهاجموه في عقره ، فتسوروا عليه الدار ، ونهبوا كتبه وماله ؛ وكادوا يفتكون به ، لو ان تستر بحريمه ؛ وهي من النكبات التي أصابته ، فاحتسبها عند الله ! ( ... ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ واشتد الخطب على اهل الغصب ، وعظم على اهل الفسق الكرب ؛ فتالبوا والبوا ، وثاروا الي ؛ فاستسلمت لامر الله ، وامرت كل من حولي أن لا يدفعوا عن داري ، وخرجت الى السطوح بنفسي ، فثاروا علي ؛ ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار ؛ وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة امور :

1 — وصية النبي ( ص ) — اي بالكف عن القتل في الفتنة .

2 — الاقتداء بعثمان — حيث استسلم لامر الله ، وامر من حوله ان لا يدفعوا عنه .

3 — سوء الاحدوثة التي فر منها رسول الله ( ص ) المؤيد بالوحي ، فاني خشيت ان يقال : ان الناس جاءوا مستفتين به ، فاراق دماءهم ) (12) .

**انصراف ابن العربي عن القضاء والتحاقه بقرطبة :**

وهكذا لم تمض سنة وبضعة أشهر (13) على ولايته القضاء ، حتى ثارت الغوغاء في وجهه ونكب ، فانصرف عن القضاء أو صرف عنه ، والتحق بقرطبة ، وبها كثر من تلاميذه ومسارفه ، فانقطع للعلم والبحث . وقد استراح من اعباء القضاء التي كادت تنسيه كل شيء ! ( ... اذا ولي القاضي عامين ، نسي اكثر ما كان يحفظ ، فينبغي ان يعزل ويتدارك نفسه ) (14) . على ان ايامه كانت ايام عدل وانصاف ، ونشر للامن ، وبسط للطمانينة . ( .. وقد شاهدتم منا اقامة العدل ، والقضاء — ولله الحمد — بالحق ، والكف للناس بالقسط ؛ وانتشرت الامنة ، وعصمت المنعة ، واتصلت في البيضة الهدنة .. ) (55) .

ومن تلاميذه الذين وقفوا بجانبه ، واخلصوا له في جهاده الاصلاحي ، الحافظ المؤرخ ابو القاسم بن شكوال ، وقد ولاه خليفة عنه في بعض جهات اشبيلية (16) .

وكان لابن العربي خاتم منقوش فيه : ( محمد ابن العربي ) (17) .

وولي قضاء اشبيلية — بعد ابي بكر بن العربي — عبيد الله بن خلف من اهل اليسر — عمل بطليوس ، ويعرف بابن الموصلي ، استقدم لذلك من بلده بالثغر ، فقيل في ولايته شعر (18) .

وما ان استقر بابن العربي القضاء بقرطبة ، حتى توارد عليه وفود من الطلاب ، واضحى بيته كعبة الواردين ، وملجا الوافدين ، وكانت مجالسه العلمية لا تكاد تنقطع ليل نهار ، الى جانب ما كان يقوم به من بحث ، وما يعانيه من تاليف .

ويصور لنا بعض تلاميذه هذه الحياة الصوفية ، التي كان يعيشها ابن العربي في خلوة العلم والبحث فيقول : ( .. وكنا نبيت معه في منزله بقرطبة ، فكانت الكتب عن يمينه وعن شماله ، وكان لا يتجرد من ثوبه ، وكانت له ثياب طويلة ، يلبسها بالليل ، وينام فيها اذا غلبه النوم . ومهما استيقظ ، مد يده الى كتاب ، وكان مصباحه لا ينطفىء الليل كله ) (19)

**عودة ابن العربي الى اشبيلية ، وتفرغه للبحث والتاليف :**

ولم تطل اقامة ابن العربي بقرطبة ، ولعل انتقاله اليها كان مؤقتا — ريثما تهدأ العاصفة ، وتعود

---

(12) العواصم من القواصم 2 / 137 .
(13) البيان المعرب 4 / 93 .
(14) الضبي ، بغية الملتمس ص 83 .
(15) الاحكام 2 / 134 .
(16) التكملة ص 36 — 307 .
(17) العارضة 1 / 29 .
(18) التكملة ص 935 .
(19) البغية ص 83 .

المياه الى مجاريها ؛ فلم يلبث أن عاد الى أشبيلية بلده ، وبنى بها مسجدا ، اكتظت جوانبه بـرواد المعرفة ، واتصلت حلقاته في التفسير ، والحديث، والفقه ، والاصول ، وعلم الكلام ، واللغة ، والادب ، والاخبار والسير ، وما اليها ؛ وهـذه الفترة من أخصب فترات حياته ، وفيها اتم اكثر مؤلفاته .

وهنا ينبغي ان نشير الى أن الكتب التي اقراها سواء باشبيلية ، او قرطبة ، او سبتة ، او فاس ، او تلمسان ، او سواها ؛ كانت من الوفرة بحيث يصعب على المرء عدها ، وجلها مما استورده من بلاد المشرق؛ ويكفي ان نعرف ان احد طلابه ، لازمه حتى استوفى عليه أكثر من مائة كتاب (20) .

واورد ابن خير في فهرسته ــ وهو من تلاميذه ــ نحو مائة وخمسة وعشرين مؤلفا باسانيدها المتصلة، وهي كلها مما سمعه عليه (21) .

ولعل اهم هذه المؤلفات ــ وهو مما لم يذكره ابن خير في فهرسته ــ كتاب الاسـرار في الفروع والاصول ، وربما كان أول مؤلف في الخلافيات دخل المغرب ؛ وينوه ابن العربي بشأنه ، ويذكر انه لما اقراه بفاس وتلمسان ، اعجبوا به وكثر حرصهم عليه (22) ؛ ولكن ابا بكر كان ضنينا به ، لا يكاد يخرج من يده ؛ مما دفع ببعض الطلاب الى ان يشد الرحال الى بغداد ، ولم يكن غرضه الا نسخ هـذا الكتاب ؛ فانتسخه من المدرسة الحنفية ــ وهو عدة اجـزاء ؛ يقع في نحو الف ورقة ؛ واتفق أن ضاع قسم من نسخة ابن العربي ، فاستعان بنسخة تلميذه ــ رغم ما كان بها من تحريف : ( وكان ذلـك من جميل صنـع الله معي ) (23) .

وهذا العمر الطويل الذي قضاه ابن العربي في التدريس والتعليم ، جعل تلاميذه واصحابه في كل جهة ومكان ، ولا يكاد يخلو منهم بلـد ؛ واذا كنا لا نستطيع ان نوفي القول عنهم ، فلننقل كلمة عن المشاهير منهم .

## اشهـــر تلاميــــذه :

ومن الذين تتلمذوا له وكانـوا في مصاف اشياخـه :

1 ــ ابو القاسم محمد بن عبد العزيز الانصاري ، اصله من دروقة ــ عمل سرقسطة ، سكن ابوه قرطبة، وكان من اهل الحفظ للحديث ، توفي قبل (520) (24)

2 ــ ابو بكر محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون من اهل اوريولة ، أجاز له ابن العربي ، وهو من مشايخ الاندلس الحفاظ (ت 520 هـ) (25)

3 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة اللخمي من اهل اشبيلية ، سمـع ابا بكر وصحبه ، وكان يجله ويثني عليه ــ لعلمه وتقدمه في صناعته ؛ له رسالة انتقد فيها كتاب ( الانتصار ) لابن السيد البطليوس ، الذي رد فيه على ابن العربي (26) ، وهـي ــ كما يقول ابن الابار ــ من أجود الرسائل . ( ت 521 هـ ) (27) .

4 ــ ابو عبد الله محمد بن ابراهيـم بن سعيد المعروف بابن زرياب ، لقي ابا بكـر وتناول منه مختصر ابن ابي زيد ، وكان من اهل العلم والفضل ، فقيها مشاورا . (ت 522 هـ) (28).

---

(20) التكملـة ص 493 .
(21) انظـر الفهرسـة ص 445 .
(22) انظر سراج المهتدين لابن العربي ( مخطـوط خـاص ) .
(23) نفـس المصـدر .
(24) ابن الابار ، التكملة ص 160 ، المعجم في أصحاب الصدفي ص 112 .
(25) بغية الملتمس 63 ، الصلة 547 ، المعجم 110 ، الوافي بالوفيات 3 / 45 .
(26) كتب ابن العربي حواشي على شرح ابن السيد لسقط ابي العلاء المعري ، ينتقده فيها ويتتبع عثراته . فوضع ابن السيد كتاب « الانتصار » للرد عليـه .
(27) التكملة ص 160 ، الوافي بالوفيات 3 / 332
(28) التكملـة ص 427 .

5 ـ ابو نصر الفتح بن خاقان ، اجاز له ابن العربي وهـو من ادبـاء الاندلـس الافـذاذ . ( ت 528 هـ ) (29) .

6 ـ ابو عبد الله محمد بن الحسين بن ابي البقاء الاموي ، من اهل اندة ـ عمل بلنسية ، ولي الاحكام باشبيلية ، وفي جهات اخـرى من الاندلس ؛ كان فقيها فاضلا ، ضابطا لما يرويه ( ت 545 هـ ) (30) .

7 ـ ابو عبد الله محمد بن مغاور بن حكم بن مغاور السلمي ، من اهل اشبيلية ، كان فقيها عالمـا بالمذهب ، محصلا لرواياته ، بصيرا بعقـد الشروط ، راسا في الفتـوى ، صـدرا في الشورى . ( ت 536 هـ ) (31) .

8 ـ ابو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بـن يوسف التميمي السرقسطي ، كان رحالة في طلب العلم . ( ت 538 هـ ) (32) .

9 ـ ابو الخطاب محمد بن عمر بن واجب القيسي من اهل بلنسية ، لقي ابا بكر عند قدومه على بلنسية سنة ( 522 هـ ) ، فناوله واجـازه ، وكان نبيها نزيهـا ، ولي قضـاء اوريولـة واليـش . ( ت 539 هـ ) (33) .

10 ـ ابو مروان عبد الملك بن سلمـة الامـوي ، المعروف بابن الصقيل ، من اهل وشقة ، كان فقيها اديبا فصيحا ، من اهل الفهم واليقظة، مع الضبط والاتقان ( ت 540 هـ ) (34) .

11 ـ ابو القاسم محمد بن ابي بكر بن سميـدع ، من اهل برشانة ـ عمل المرية ، كان من اهل النباهة والوجاهة . ( ت 540 هـ ) (35) .

12 ـ ابو بكر بن جعفر بن الحسين الاموي من اهل اندة ـ عمل بلنسية ، كان رجلا صالحا ورعا . ( ت 540 هـ ) (36) .

13 ـ ابو الحسين محمد بن واجب القيسي ، والد ابي الخطاب ( احمد بن محمد ) ، من اهـل بلنسية ، استجاز لنفسه ولابنه ابي الخطاب ابا بكر بن العربي ، وكان حافظا للفقه يستظهر مختصر المدونة للبراذعي ، توفي في حـدود سنة ( 540 هـ ) (37) .

14 ـ ابو الحكم عبد الرحمن بن عبد الملك الانصاري السرقسطي ، المعروف بابي غشليان ، الراوية المسند ، لقي ابا بكر بن العربي بقرطبة سنة ( 518 هـ ) فاجاز له . ( ت 541 هـ ) (38) .

15 ـ ابو المعالي ادريس بن يحيى بن يوسف من اهل اشبيلية ، سمع من ابن العربي سنـة ( 531 هـ ) ، وقد اسن ، وكان يتجـول في البلاد للوعظ والتذكير ، فنفع الله به (39) .

---

(29) المعجم 133 وانظر في ترجمته : المعرب في حلى المغرب 1 / 254 ، ووفيات الاعيان 3 / 194، ونفح الطيب 7 / 29 ـ 35 .
(30) التكملـة 170 .
(31) التكملـة 172 .
(32) المعجـم 144 ـ 145 .
(33) التكملة 176 ، شجرة النور 134 ـ 135 .
(34) التكملة 611 ، غاية النهايـة 1 / 468 .
(35) بغية الملتمس 136 ، المعجـم 155 .
(36) التكملـة 1 / 241 ـ طبع مصـر .
(37) التكملة ص 179 طبـع مجريط ، شجـرة النـور 134 .
(38) بغية الملتمس 355 ، المعجم 247 .
(39) المعجـم 68 ـ 69 .

16 ـ ابو محمد عبد الله بن علي الرشاطي ، من اهل اوريولة ، سكن المرية ، أجاز له ابن العربي ، وسمع سباعياته ؛ وكان من اهـل الحفـظ والاتقان . ( ت 542 هـ ) (40) .

وكل هؤلاء ـ كما نرى ـ اخذوا عنه ، وكانت وفاتهم قبله ؛ وممن يدخل في هذا الاطـار ـ اعني تلاميذه الذين سبقوه في الوفاة ـ ،

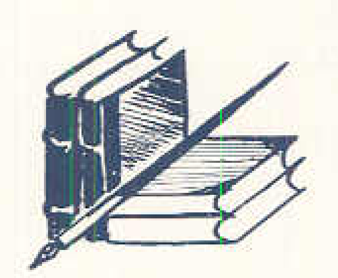
17 ـ ولده ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي ، كان من اهل النباهة والجلالة ، معنيا بالرواية وسماع العلم ، قتل خطأ يـوم ان دخلت اشبيلية على المرابطيـن سنـة ( 541 هـ ) ، فثكله ابوه ، وحسـن صبـره عليـه (41) .

ثم يأتي بعد هؤلاء ، كل الذين تتلمذوا لـه ، وتأخرت وفاتهم عنه ، فلندع الحديث عنهـم الى عدد قادم بحول الله .

**تطوان : سعيد أعـراب**

---

(40) البغية 336 ، المعجم 227 ، شجرة النور 135 .
(41) التكملـة ص 371 .



التجربة المغربية الرائعة في ديوان من وحي الأطلس

# دراسة تحليلية لشعر مفدي زكريا

للدكتور عباس الجراري




قد يبدو لاول وهلة ان الظرف غير مناسب لتقديم ديوان شاعر ينتسب الى الجزائر . الا ان شفيعي في تقديمه ان المغاربة ــ وان اساء اليهم حكام هذا القطر ، واتخذوا منهم موقف من لا يرعى للجار حرمة ولا يحفظ للقرابة ذمة ــ ظلوا حريصين على صلتهم بالشعب الجزائري الشقيق ؛ وبقيت هذه الصلة عندهم تمتاز بكرم الشيم ونبل المشاعر . وشفيعي كذلك ان صاحب الديوان ــ وهو الذي أشاد بوحدة اقطار المغرب العربي منوها بما ابلته هذه الاقطار من بلاء حسن في سبيل تحريرها وبما اصلته من مفاخر وامجاد ــ يأسى لاشك اسى جارحا لما يتنكر له اولئك الحكام من مبادىء وقيم ؛ ويألم ألما مبرحا لما يصيب صرح امانيه الشاسعة العذاب من انهيار واندثار . وشفيعي بعد هذا ان الشاعر صب بلادنا معجب شديد الاعجاب بما تحققه في مضمار التقدم والرقي . وقد اضفى على تلك الصبابة وهذا الاعجاب حللا شعرية رائعة تستحق ان يقف حيالها القارىء المغربي وقفة التملي والاستمتاع .

على ان هذا الظرف بالذات ربما كان انسب الظروف لتقديم هذا الديوان الطافح بالوان من عواطف الاخلاص والوفاء واصناف من مشاعر التقدير والاكبار لوطننا الذي تتربص به اسوا الدوائر فئة لا تقيم وزنا لمكارم الاخلاق .

واود في بداية هذا التقديم ان اسجل حقيقة ليس في ظني من ينكرها ، وهي ان مفدي زكرياء شاعر الجزائر الاول وشاعر ثورتها دون منازع . فقد كان لسان حال بلاده منذ بدا يدب الشعور الوطني والقومي في شعبها المكلوم ، حيث اخذ يوعيه بحقيقة تاريخه وواقع وجوده ؛ ويبث فيه من نفح البطولات والامجاد تموجات تهز احساسه بالذات والكرامة ؛ وتحثه على التطلع لاستشراف المستقبل واسترداد الامل ، ومن ثم التمرد والتوثب لاسترجاع الحق السليب .

وكان مفدي في سنوات الثلاثين ، وهو يعمل في الصفوف الوطنية ، داخل هيئة « نجم شمال افريقيا » ثم « حزب الشعب الجزائري » يحمل لواء النضال ، يحض على الثورة ويدعو لها غير قانع بالعمل السياسي الذي كان ينهض به الحزب في نطاق التوعية الوطنية والتعبئة الشعبية .. ولعل نشيد « من جبالنا » خير برهان على ذلك ، فقد وضعه سنة 1932 وظل ابناء المغرب العربي يتداولونه خلال سنوات الكفاح الطويلة . ومثله النشيد القومي الذي نظمه في السجن عام 1937 ، وكانت جبهة التحرير قد اصدرت الامر سنة 1956 الى المحكوم عليهم بالاعدام ان يرددوه قبل الصعود للمقصلة باعتباره النشيد الرسمي للشهداء ، وهو الذي اوله :

اعصفي يا رياح      واقصفي يا رعود (1)

والشاعر زكرياء ــ وهو مرهص الثورة ومتمم مخاضها ومفجر انطلاقتها ــ لم يكن ليفاجأ بها عند

(1) ديوان « اللهب المقدس » ص 84

اندلاعها ، كما لم يكن ليحاول استجماع قواه حتى يسايرها كما فعل الكثيرون ، ولكنه كان فى طليعتها يتبادل مع المجاهدين شحنات التعبئة فى تجاوب بين وقع الكلمة الصادقة المنغمة وايقاع السلاح الصاخب المدوي فى قمم الجبال ومخابىء السهول ومختلف قلاع الفداء والنضال ، وكان بذلك مستعدا لينعطف بشعره فى خط سير متطلع رائد ، يستكشف ويستشرف ليعطي الثورة ابعادا تاريخية يرتبط بها مصير شعب يولد من جديد ، وكان فى هذه المرحلة يبدو وكانه يلوذ بالصمت او يدعو له ، خاصة حين يقول :

نطق الرصاص فما يباح كلام
وجرى القصاص عما يتاح ملام

او حين يضيف مستلهما ابا تمام :

السيف اصدق لهجة من احرف
كتبت فكان بيانها الابهام (2)

ولكنه فى الحقيقة لم يعبر كذلك الا ليبرز مدى فعالية الكفاح المسلح فى تقديس لمعداته :

وتكلم الرشاش جل جلاله
فاهتزت الدنيا وضج النير

وتنزلت آياته لهابة
لواحة اصغى لها المستهتر

والنار للالم المبرح بلسم
يكوي بها العظم الكسير فيجبر(3)

وهو بذلك يعرب عن انصهاره فى الثورة الى حد يجعله داخل سجنه يصعد مدها الهادر بالكلمة الصاعقة يخترق صداها جدرانه ليدوى فى كل مكان ، ويصعد هذا المد كذلك حتى حين ينتشي بما يلقي من محنة وعذاب فى نفس رومانسي حالم على غرار ما نقرا له فى قصيدته « الذبيح الصاعد » ومطلعها :

قام يختال كالمسيح وئيدا
يتهادى نشوان يتلو النشيدا (4)

وواكب مفدي مسيرة الجهاد يغنيها ويحثها وينظم لها القصائد والاناشيد ، وفى مقدمتها نشيد « فاشهدوا » (5) الذي اصبح النشيد الرسمي للثورة ، ونشيد « عشت يا علم » (6) الذي غدا التحية الرسمية للعلم الجزائري ، وكلاهما من ابداع الشاعر فى السجن ،، وقد اتيح له ان يجمع كثيرا من تلك القصائد والاناشيد فى ديوانه « اللهب المقدس » (7) ، وان يتوج شعره فى حرب التحرير الوطنية بنشيد الاناشيد او الياذة الجزائر (8) .

من هذا المنطلق « الجزائري » والمنظور « الثوري » لم يكن يرى الشاعر قضية بلاده ـ نضالا ومصيرا بل وجودا واستمرارا ـ الا مرتبطة بالمغرب العربي الكبير ، وفى احضان شقيقتيها المغرب وتونس ، فغدا يتغنى بوحدة هذه الاقطار ، رافعا لواءها منشدا مشيدا :

وتغنيت منذ فجر شبابي
بالتحام القوى ودعم الجهود

لم ازل صادحا على كل غصن
من ربي المغرب الكبير العتيد (9)

—×—

انا فى المغرب الكبير نشيد
يترامى صداه للاحقاب

ونداء لوحدة الصف يسمو
للنهايات دون أي حساب (10)

---

(2) اللهب المقدس ص 42 ـ 43
(3) اللهب المقدس ص 134
(4) اللهب المقدس 9
(5) اللهب المقدس 71
(6) اللهب المقدس 75
(7) طبع مرتين : الاولى سنة 1961 والثانية فى الجزائر عام 1973 ، وهذه هي التي رجعت اليها
(8) نظمها بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال الجزائر وقدمها للملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي سنة 1972 وهي منشورة فى المجلد الاول من سجل هذا الملتقى ، وتتكون من الف بيت وبيت
(9) من وحي الاطلس 41
(10) من وحي الاطلس 51

اما تونس ، وله فيها ذكريات ترجع فى الاصل الى ايام الدراسة ، فأبدع فى ربوعها الخضراء ، روائع تمجد بطولاتها واعيادها الوطنية ومواقفها القوميـــة ونضال رجالها ورئيسها الحبيب ، فكـــان ديوانـــه « تحت ظلال الزيتون » (11) .

واما المغرب فقد لجأ اليه الشاعر فى قمـــة احساسه بالمقاومة ومعاناته لعنفها ، فأتيح لـــه فى رحابه ان يسترد انفاسه اللاهثة ليستمر فى موقفـه الثوري ينميه على ارضه الموحية دائمـــا بالكفـــاح والجهاد ، وان يستقي منه ــ وهو يبني استقلاله ــ نبضا جديدا لثورة بلاده ، ويستشف آفاق مستقبلها .. فقد وجد فى دأب المغرب على البناء ما يشبـــع عنده روح الثورة والنضال ، كما وجد فى موقفه من حرب تحرير بلاده الدافع والحافز والسند الحق ، بل وجد هذا الموقف منعكســـا على الادب المغربـــي ــ شعره ونثره ــ بقوة وتدفق وتلقائيـــة وفى روح تضامني وخط وحدوي لا حدود لابعاده .. كذلـــك نظر الشاعر الى المغرب من خلال ما يتمتع به مـــن عراقة حضارية واصالة ثقافية ، وما له من امكانيات طبيعية ومقدرات بشرية ، وما له من قيـم رفيعـــة وشيم نبيلة ، ومن خلال الرسالة التاريخية التـــي تحملها على مر الحقب والازمان ، فاعتبره مناط امل الوحدة التي طالما حلم بها ، فزاد به تعلقه واحبه ولم يلبث ان ابدع فى اطار ذلك كله ، فكان هذا الديوان « من وحي الاطلس » .

ومفدي فى ديوانه المغربي ــ والحوافز المشار اليها ــ ينطلق من تجربة حقيقية صادقة غير مفتعلة ولا مصطنعة ، ومن ثم لا نعجب اذا وجدنـــا معظـــم القصائد والاناشيد التي جمعها فيه تدور فى النطاق الوطني ومناسباته المختلفة ، وموجهة فى القالب الى الملك المغفور له محمد الخامس ، والى جلالة الحسن الثاني نصره الله بصفة خاصة .

ومثل هذا الشعر داخل لا شك فى اطار فـــن المدح ، وقد ادرك الشاعر خلفيات هذه الظاهـــرة وابعادها ، واحس بنظرات شازرة توجه اليـــه فبادر الى الرد للتبرير والدفاع :

وقالوا مدحت المالكين اجبتهـــم
هل المدح فى غير الاماجيد من شاني

اذا ما استقام المالكون مدحتهـــم
وصفت مديحي من قواعد ايمانـــي

ولولا كفـــاح ما مدحت محمــــــدا
ولاجئت بالآيات فى الحسن الثاني (12)

—×—

ولم امدحك عن ملـــق وزلفـــى
فمدح الاكرمين لـــدى نيــــــل

وقالوا كم مدحت رجال حكـــم
وقول العاذلين لـــدى يحلـــــو

نعم صدقوا ولم تكن السجايـــا
بغير رجالها فيمـــا تجـــــــل

ومن تجر البطولة فى دمـــــاه
اذا ما مجد الابطال يعـــــــل

ومن الف الكفاح يـــزد كفاحـــا
بمدح رفاقه ايـــان حلـــوا (13)

—×—

وعودني نضالي فى بــــــلادي
على مدح البطولة فى الرجال (14)

—×—

مدح البطولة رفعة وكرامــــــــة
لولا البطولة ما انتزعت خلودا (15)

واذا كنت فى غير حاجة الى ان اؤكد ان فـــن المدح انزلق عبر مراحل تاريخ الادب العربـــي الى مهاوي التزلف والكذب ، فاني فى حاجـــة الـــى ان الفت النظر الى ان بعض الشعر الذي يدخل بمعيار المقاييس التقليدية فى نطاق هذا الفن هو فى صميم الشعر الوطني ، لاسيما اذا كان مبدعه يبثه القيـــم والمبادىء التي يومن بها ، ويعبر عن الاماني والمطالب التي تناضل الامة من اجلها ، فى توجيه وتكليـــف

(11) طبـــع فى تونـــس بدار النشـــر 1965
(12) مـــن وحـــي الاطلـــس ص 28
(13) مـــن وحـــي الاطلـــس ص 77 ــ 78
(14) مـــن وحـــي الاطلـــس ص 88
(15) مـــن وحـــي الاطلـــس ص 105

للممدوح وتحميله المسؤولية ، ثقة فيه وفى قدرته على تحقيق تلك الرغبات ، باعتباره شخصية فذة تلتف حولها الجماهير وتعلق عليها الآمال .

واذا كنت اضع فى هذا الاطار جل الشعر الذي قاله زكرياء ، فلاني لا انسى جانبين اثنين لا شك انهما يزيدان فى تاكيد ما اقول :

اولهما : ان توفر عنصر الصدق غير مشكوك فيه بالنسبة لهذا الشاعر الذي نشأ فى احضان الحركة الوطنية وارهص للثورة وبشر بها وعايش التجربة النضالية فى معاناة حقيقية ، سواء خارج الجزائر او داخلها وفى غياهب السجون .

الثاني : ان روح معظم هذه القصائد يكشف ان الشاعر لم يبدعها بدافع التملق والتكسب او بحافز الرياء والبهتان ، ولكن تمجيدا للمنجزات والاعمال ، وتاكيدا على القيم والمبادىء ، وتجاوبا مع الجماهير المتوثبة ، وانفعالا بالمواقف القومية ، وتطلعا لآفاق المستقبل من خلال زاوية ثورية قوية ورؤيا وحدوية واضحة .

من هنا كان ينطلق فى قصائده من المزج بين الملك والشعب ، او هو ينظر الى هذا من خلال ذاك ، جاعلا حافزه الى القول ما بينهما من تلاحم وانصهار :

فان امدحك امدح فيك شعبا
رايتك ذبت فيه وفيك ذابا (16)

—×—

انا صدقت يوم صدقت بالشعـ
ـب وقدست وحيه فى كتابك

انا ايقنت يوم ايقنت ان الحـ
ـكم للشعب وحده قسما بك (17)

واذا كان القارىء يستطيع بنظرة سريعة فى الديوان ان ينتهي الى ان الشاعر لم يترك مناسبة دون ان يعرض للمشاريع والمنجزات والقضايا المختلفة فى تتبع وتجاوب واعجاب ، مما يجعلني فى غنى عن التمثيل لذلك ، فاني لا املك الا ان اسجل حضوره المستمر فى الساحة الوطنية من خلال مشكل الصحراء وما افضى اليه بعد ظهور الحق من حل ابداعي اصيل ومعجز متمثل فى المسيرة الخضراء :

صحراؤنا دنس الغربان حرمتها
وخانها من الى جلادها ركنوا

قالوا براح وفى دعواهم كذبوا
لابدع فالمين من اخلاقهم سنن

سلوا الوثائق فالتاريخ يحفظها
وسائلوا الكون عنها يشهد الزمن

واستفت (لاهاي) واستنطق نزاهتها
تنبئك من نبتوا فيها ومن سكنوا

دم المغاربة الابطال ضمخها
وما استكانوا لظلام وما وهنوا

قالوا اقتراع فقلنا بل نقارعكم
فتهزمون ويبقى اللحد والكفن (18)

—×—

فقاد مسيرة خضراء تعلو
بها الرايات والذكر المجيد

بها الاكباد تنصب انصبابا
فيدهش من شجاعتها الوجود

فلا تعجب لمعجزة بشعب
تسير المعجزات كما يريد (19)

وكان قبل ذلك وفى اكثر من مناسبة قد طرح وحدة المغرب العربي :

يا من رعى الوحدة الكبرى وآزرها
فاخضر من عودها دوح واغصان

---

(16) من وحي الاطلس ص 46
(17) من وحي الاطلس ص 25
(18) ص 115
(19) ص 137

فليصنع المغرب الجبار وحدته
ما دام يرعى ذمام الجار جيران(20)

—×—

والوحدة الكبرى رفعت لواءها
ورسمت منهاجا لها واصولا (21)

كما سجل موقف المغرب الرائع فى حرب رمضان :

يقود الثائر الحسن المفدى
جحافلها فيرتعش الوجود

الى سيناء تنصب السرايا
الى الجولان تندفع الاسود (22)

وفى هذا الاطار القومي الوحدوي يهفو الشاعر فى نبل ووفاء الى ان يعرب عن العرفان بالجميل ويذكر بحقائق التاريخ الحي النابض ، فلا يجد اروع من فرصة الترحيب بجلالة الملك فى الجزائر :

يا هابطا ارض الجزائر مرحبا
ارض الجزائر مهبط الشجعان

فانزل عزيزا فى بلادك مكرما
لك فى الجزائر حرمة وتهاني

فاقبل هتافات الوفود تحية
وكرامة لشبابك الريان

واسمع لروح محمد صلواتها
ومحمد من اخلص الاعوان

قد كان اول من اجاب نداءها
وابيت الا ان تكون الثاني

ان الجزائر فى الوفاء نبيلة
لم تنس ناصرها على الطغيان (23)

ومفدي زكرياء فى ثنايا هذا وغيره مفتون بالمغرب محب لشعبه ، لا يدع اية مناسبة دون ان يعبر عن هذا الحب والافتتان ، ودون ان يتغنى بجمال طبيعته وروعة مدنه ومروءة اهله ، لينتهي من ذلك الى انتساب وايمان واقتناع بتفرد هذا البلد فى الوجود :

وطني مغربي واهلي بنوه
ان ما بي من حبه مثل ما بك(24)

—×—

بلاد عرفت الله فى قسماتها
وآمنت ان الله ليس له ثاني(25)

والحق ان مثل هذه النفثات الذاتية تضفي على قصائد الشاعر المفعمة بروح الوطنية والثورة خفقات حلوة جذابة ، وهي ظاهرة تتسع عنده سواء فى هذا الديوان او غيره ، فيميل — وان فى حدود — الى المزج بين الاحاسيس الذاتية والجماعية ، او بين الحب والنضال فيما هو شبيه بتمهيد او مقدمة غزلية تقليدية ، وهو فى الواقع تركيب بين التجربتين الشعورية والثورية يحث باحكامه على تفجير شحنات عاطفية قادرة بفيضها الفعال ان تعمق الانفعال وتغني مجال التعبير ، فى الحاح على الامل ، وفى اطار انساني بارز الملامح .

اكثر من هذا ان الشاعر حرص على ان يضم ديوانه باقة من شعره الوجداني الصرف ، واظنه كان قبل يجد حرجا فى نشره ، وهو ان لم يكن جزءا من مجموعته « الخافق المعذب » المحتوية على شعر شبابه وهواه ، وقد ذكر فى آخر « اللهب المقدس » انه يعدها للطبع ، فهو مما ابدع فى المغرب ، شأنه فى ذلك شأن الجزء الديني التوسلي الذي ختم به ، ومن ثم اراد ان يدمجها فى هذا الديوان المستوحى من الاطلس الذي وجد الشاعر فى ربوعه الطمأنينة وهدوء النفس وامكان الخلو الى الذات والانطلاق فى التعبير عنها .

(20) ص 67
(21) ص 38
(22) ص 136
(23) ص 39
(24) ص 26
(52) ص 29

وملاحظة المزج بين المشاعر الذاتية والجماعية عند زكرياء تفضي بي الى تسجيل ظاهرة تعدد الاغراض في النص الواحد ، ولكن دون احداث خلل في وحدته العضوية . وهي وحدة ناتجة عن وحدة الاحساس وتكامل التجربة ، حيث تبدو الاغراض داخل هذه الوحدة متناسقة ومتساوقة ، ويبقى بناء قصيدة متراصا ومتماسكا في اجزاء متكاملة ، بدءا من الحرف والكلمة الى الشطر والبيت ، وفي سياق وشعور موحدين ،، وهذا يكشف عن قدرة الشاعر على التحكم في انفعالاته مهما كان ضغطها واثارتها للقول.

وقد اختار مفدي لهيكل بناء قصيدته اطار العمود التقليدي ، في محاولة احيانا للتنويع والتلوين داخل هذا الاطار ، وخاصة في الاناشيد او ما هو شبيه بها مما يعتمد القوافي المتغيرة والمقاطع المفصولة بلازمة في الغالب .

واذا كان الشكل تقليديا فالمضمون جديد ما في ذلك شك ، وهو مضمون يكشف بثوريته القوية الواضحة عن مدى تجاوب الشاعر مع عصره وشعبه وقضاياه ، بل ان هذا المضمون بطغيان روح المعاصرة عليه يكاد يشفع له عدم ابتعاده عن النمط العمودي ، ولعله حتى من خلال المنظور الجديد لا ينبغي التحامل على عمودية مفدي ، فقد جاءت انسب اطار لقصائده الوطنية الجماهيرية ، لما تقتضي من انشاد وحماس واسلوب مباشر يتسم بالخطابية والتقريرية ، حيث يلح على التكرار والتأكيد والرد والتنبيه ، وكذا على التعجب والنداء والاستفهام والانكار ، ثم على التحريض والامر والنهي والنفي ، وهي جميعا صيغ تسعف في التوعية والايقاظ والاثارة والاستنفار والتفجير والحث على الجهاد والنضال .

ومع ذلك ، ففي غير الشعر الوطني ، وخاصة في وجدانياته ودينياته ، يبدو زكرياء اكثر هدوءا واميل الى ترجيع الاصداء داخل ذاته فيما يشبه التأمل او المناجاة . وحتى في هذا المجال كان الاسلوب الفخم المستمد من حماس الكفاح واوار الثورة يطغى احيانا ، فيبدو غير تام الانسجام وما يقتضي اسلوب العاطفة من رقة وعذوبة ، في حين تبدو آثار الهدوء والتأمل واضحة في بعض قصائده الوطنية ولا سيما تلك التي ظهرت فيها ملامح من عواطفه الذاتية متمازجة ومتماوجة مع الاحاسيس النضالية ، بل ان الشاعر ليسيطر عليه هذا الجانب في حالات خاصة على حد ما تكشف قصيدته « الذبيح الصاعد » المشار اليها من قبل .

وشعر مفدي بهذا الاسلوب جاء متميزا بموسيقى نظم نبرها ايقاع اوزان مناسبة ، وتطريب تقسيمات مقطعية داخلية ، وتنغيم القافية التي ترد في الغالب متفقة مع ما يقتضي الانشاد من جرس ينسجم وحالة نفسية الشاعر وجماهيره .

ولا عجب – في نطاق الانسجام بين القافية وحال الموضوع والتعبير وحرصا عليه – ان يختار الشاعر روى التاء لبعض قصائده الذاتية والدينية ، فهو بهمسه مناسب لاغراض كالتوسل او التعبير الوجداني الهادىء ، بما يوحي من تأمل وتعمق للاحاسيس ،، وفي هذا النطاق كذلك جاءت بعض قوافيه مستوحاة من موضوع القصيدة كما في بائيتي عيد الشباب (26) ولامية رثاء علال (27) وميميته في برء صاحب الجلالة من سقم كان الم به (28) ، وكذا في لازمات دالية لبعض اناشيده في اعياد ميلاد سمو الامير ولي العهد المحبوب سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد (29) ، بل لقد تكرر الدال في احدى هذه اللازمات فشكل قوافي داخلية زادت في تأكيد الانسجام بين الحرف والتعبير .

وقد تبين لي من خلال عملية احصائية لقوافيه ان ازيد من ثلث الديوان ورد على النون وهو حرف ذولقي يوحي بالتطريب والتنغيم ، ثم على الراء وهو حرف يثير نطقه رنينا ووقوعا صوتيا واضحا على السمع ، وبعد ذلك على اللام وهو يقترب من الراء وان شابه النون في ذلاقته ،، ويصل حرص الشاعر على جمال قافيته وتعبيرها الى حد لزوم ما لا يلزم ، وله منه قصيدة جمع فيها بين العين الحلقية والكاف الانفجارية ، وهي التي اولها :

هل درى الفجر الذي قد اطلعك
ولد الشعب ام الجيل معك (30)

---

(26) ص 46 – 51
(27) ص 109
(28) ص 117
(29) ص 147 – 151 – 160
(30) ص 111

وعناية مفدي بموسيقى شعره جعلته يعني بلغته، فجاءت سلسة سهلة ناصعة، مع جزالة وفخامة، تثير بدوي كلماتها المشحونة بالنفس الحماسي ونبر تركيبها الصارخ ايقاعا رنانا يلحم بين التجربة والتعبير،، ويصل هذا الارتباط بين اللغة والموضوع في بعض الاحيان الى درجة ايحاء صوت الكلمات وتكرار حرف معين فيها بالمعنى، على حد ما يكشف عنه تتابع حرف السين ومعه الصاد في هذين البيتين من صفير معبر عن تصويت السلاح وتفشي الموت.

وسارت سرايانا اجولان تلتقي
بجولان عزرائيل في ليلة الاسرا

وتسبق اسرافيل ينفخ صوره
فتصعق في سينا لرجفته الصحرا (31)

ومثل هذا التكرار ينصب على كلمات بعينها، كما في لفظ الجولان في المثال السابق، وهو كثير عند الشاعر، وقد يتخذ في بعض الحالات شكل تلوينات بديعية كالجناس :

اليس من الخوارق ان نراه
يلاقي النبل لا يلقاه نبل

ومن وهب العناية لا يبالي
ايخشى النبل من يغشاه نبل(32)

—x—

بنادقه لا بيادقه
تجيد مع الضالعين القمارا (33)

—x—

وفي الرباط ارتبطنا طوع مشورها
فان اسواره للمجد اركان

ارسى المحاسن في اعماقها حسن
وصان حرمتها في البرج حسان (34)

وكالجناس في التحسين البديعي تشكيل الطباق والمقابلة، وللشاعر فيه نموذج زيدوني رائع :

ما للجراحات نخفيها فتبدينا
وللحشاشات نأسوها فتدمينا

وللفواجع ننساها فتفجؤنا
وللسهام نفاديها فتصمينا

ولليالي نصافيها فتنغصنا
وللزمان نداريه فيردينا

وللسماوات تدعوها فتكسفنا
وللحظوظ تدانيها فتقصينا (35)

ولعله واضح ان هذه التلوينات المحدودة جاءت عفوية تلقائية لا يقصد بها الشاعر الى التلاعب بالالفاظ وتكلف التزويق بالمحسنات، وهي بذلك تؤكد ان الصياغة عنده لا تطغى على العواطف، في وقت تساعد على التعبير عن التجربة وعلى اثارة الاحساس بالغيرة والنضال والشعور بالوجود والكرامة وعلى التأثير بذلك في الجماهير وحثها على التجاوب، كما ان صخب الايقاع في هذه الصياغة الناضجة تداخل مع ضخامة الموضوع ليؤدي في النهاية وظيفته التعبيرية، انطلاقا من معايشة واقع نابض بالحركة والحياة، ومعاناة صادقة تتسم بالالتحام الحي مع مطامح الامة وظروف نهوضها المتوثب، بما يحفز على تفجير طاقات الخلق في تشكيل معبر جميل، وبهذا الدافع ذهب الشاعر الى ابعد مدى فلم يتردد عند مقتضى الحال في ان يتوسل بالتعبير العامي الذي صاغ به نشيد جيش التحرير الجزائري (36)، بل وضع به ديوانا كاملا هو «اهازيج الزحف المقدس» (37)

وفي هذه العلاقة المنسجمة بين الشكل والمضمون تكمن روعة شعر مفدي - وأي شعر - او احدى نواحي روعته وهي عندي بتكاملها الجدلي المقياس الحقيقي لصدق التعبير والجودة الفنيه.

(31) ص 101
(32) ص 77
(33) ص 90
(34) ص 68
(35) ص 11
(36) اللهب المقدس ص 79
(37) ذكر في آخر اللهب المقدس انه بعده للطبع

واذا ما لوحظ على الشاعر من هذه الزاوية عدم التعمق في مضامينه ، حيث جاءت بسيطة تتفق وسهولة اللغة التي سبكتها ، فعذره ان شعره بحكم مخاطبته للجماهير ، وحتى يكون قريبا الى النفوس والافهام والعواطف الشعبية ، اتسم في اغراضه كما اتسم في اساليبه بطبيعة تجعله هادفا الى التوعية والاثارة وليس الى التفكر والتأمل ؛ وعذره كذلك ان اتساع النطاق في تجربته لم يتح لمعاناته امكان التركيز والتجميع ، وعذره بعد هذا ان المتلقين لشعره يشاركون تجربته ومعاناته ، ومن ثم فانهم لا يحسون بانه يأتيهم بجديد ، وحتى ان اتى به فانهم لا يدركونه او لا يكادون .

ويبقى مفدي مع ذلك صاحب شاعرية مكتملة ناضجة ، ورؤيا واضحة محددة ، وقدرة عفوية على التعبير في صياغة سليمة جذابة وتجاوب تلقائي صادق ، كما يبقى شعره شاهدا على نهضة العصر ووثبة الشعب ، وصورة حية لمرحلة صاخبة من حياته ، وصفحة فنية من التاريخ تغني مضامين الوطنية والقومية وتوسع آفاقها وأبعادها ، وتعبيرا مشرقا في مضمار الكفاح عما تحسه الجماهير وتتطلع اليه في اقطار المغرب الكبير وجميع بلاد العروبة ، ويبقى تبعا لذلك شعرا هادفا ادى دوره وما زال ، واظن انه سيظل حيا في النفوس والالسنة، طالما ان بواعثه موجودة تحرك حياتنا نحو الاحسن والافضل ، وهي بواعث خالدة في شعبنا التواق ابدا الى الحرية والكرامة والنضال من اجل المحافظة على مقومات الحياة الشريفة النبيلة .

واعتقد بذلك ان مفدي زكرياء يتعدى الاطار المحدود لشاعر الجزائر وثورتها الى اطار شاعر المغرب العربي الكبير ، واكاد اعتقد انه حقيق بمكان طليعي في مسيرة الشعر العربي المعاصر عامة ، وهو اذا كان جديرا بهذا المكان فليس فقط باعتباره شاعر الاقطار المغربية ، بل باعتبار شعره يمتاز بالسلاسة والنصاعة والايقاع المنغم الجميل ، ثم باعتبار هذا الشعر يمثل بحق ، وتحفزا من عاطفة فياضة ، وانطلاقا من تجربة ومعاناة صادقتين روح العروبة المفعم بالتآزر والتضامن ومبادىء الحب والاخاء وشرف الكلمة والرأي ، والمفعم كذلك بوشائج الوحدة ودعائم الكفاح الوطني والقومي والرؤيا الواضحة لآفاق المصير المشترك ، وهي لعمري مقومات تفتقدها ــ او بعضها ــ في كثير من الشعر العربي المعاصر ، على غنى اشكاله وغزارة مضامينه .

ولا شك ان ديوان شاعر بهذه المنزلة يحتاج الى دراسة نقدية واسعة عميقة ليس مجالها في هذا التقديم ، ولكن حسبي انني القيت قليلا من الضوء عليه ، ولعلي بذلك ان اكون اعربت عن بعض مظاهر العرفان لشاعر الجزائر الذي حافظ على العهد حين تنكر غيره ، فظل وفيا للمبادىء النضالية الثورية والقيم الوطنية القومية والروابط الاخوية الانسانية ، وما اخال اخراج ديوانه في هذه الحلة القشيبة بأمر مولاي كريم الا مظهر اعتراف لهذا الشاعر الوفي .

**الرباط : د. عباس الجراري**

صورة جيل في شخصية :

# الحاج أحمد بن عبد النبي

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

لبى داعى الله شيخ الجماعة بسلا صاحب الفضيلة العلامة النحرير ، المفتى القدير عضو المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب سيدى الحاج احمد بن عبد النبى ، وافاه الاجل المحتوم صبيحة يوم الاربعاء 21 محرم الحرام 1392 هـ الموافق لـ 8 مارس 1972 م .

والحقيقة ان فقدان هذا العالم الفذ ، يعد نكبة كبرى ، لا بالنسبة لمدينة سلا ولكن بالنسبة لبلاد المغرب اجمع . لانه رحمه الله كان من ابرز علماء هذا العصر ، علما ودراية وارشادا وورعا وزهدا ، ولانه معدود من الطبقة العليا لعلماء الاسلام بالمغرب فى عصرنا . انه الرجل الذى جاهد وكافح طيلة ستين سنة فى دراسة العلم وتدريسه ونشر المعرفة ، وساند الكفاح الوطنى الذى خاضه علماء المغرب وتلامذتهم طيلة خمسين سنة . كان رحمه الله المرجع عند نزول الملمات ، والمسائل الشائكة لجميع الطبقات ، وكان مصلحا ماهرا لذات البين فى الاسر والافراد ، يحترمه الصغير والكبير ويطيعونه فى تدخلاته وارشاداته ، مرشدا من اجل المرشدين بالافعال قبل الاقوال ، فقيها يتسم فيه مذهب مالك ولا يبغى به بديلا ، ومفتيا من المع المفتين الذين يشار ليم بالبنان فى ارض المغرب . ونوازلى من اعلم المحققين واشهرهم ولا ابالغ اذا لقبته « بمالك الاصغر الثانى فى عصرنا » اذ من المعلوم ان هذا اللقب منح واطلق اولا على الشيخ العالم الربانى ابى محمد عبد الله بن ابى زيد القيروانى رحمه الله .

من بعده للتفسير والتأويل والسنة وعلم الحديث ومصطلحه ؟ ومن بعده للعربية او علوم الآلة باكملها ، بتعبيراته السهلة العذبة التى تعد من قبيل « السهل الممتنع » ؟ من للمواقف الحاسمة بفتواه واحكامه وصدق اتجاهاته ؟ يركز اقوال المالكية بما اشتهر منها ، وينقب فى كتب السنة عما يساند رأيهم ويؤيده ، ويصدر الاقوال وفق التشريع الاسلامى ، انه وايم الله ليضيق القول فى تعداد محاسنه واوصافه وفهمه وذكائه ورشده وزهده وورعه وافتتانه بالدرس والدراسة والتدريس حتى ان جل مساجد مدينة سلا على كثرتها كانت تتملى بطلعته ، وتزدهر بمجالسه العلمية والارشادية ، والمسجد الاعظم بالمدينة يشهد كل ركن من اركانه ، وكل سارية بجوانبه لهذا العالم النفاعة بملازمته التدريس فيه لشتى الفنون والعلوم دون ملل او كسل ، ليل نهار ، صيفا وشتاء ، من دروس الاجرومية ، والفية ابن مالك الى تدريس متن الشيخ خليل وعلم الاصول ، والبلاغة الى السنة النبوية والسيرة العطرة ومصطلح الحديث ، الى تفسير كتاب الله وتفهم الاحكام منه طبق اتجاهات السنة .

اما الافتاء وما ادراك ما الافتاء ، فالمسجل في سيرته انه لا يمر عليه يوم دون ان يفيد الكثير من زواره والمسترشدين بفتواه وتقريراته ، بابه مفتوح للجميع ، وطريقه مشفوعة بمسترشد او سائل ، وهو رحمه الله طوع ارادة الجميع ، لا يستنكف ولا يمل ولا يرد السائل ، ولا يؤخره او يعتذر له ، مسلكه في الحياة لخير المجتمع ، يقضي سائر حاجاته بيده ويكد على عياله ، ويحمل حاجاته من السوق ، بيده ، شان ذوي النفوس العالية ، اواه انى لنا بنظيره او شبيهه ؟ ان موته رزية اى رزية ، من ذا الذي يكشف القناع عن وجهه من العلماء ويستطيع ان يبارز هذا الشيخ الراحل العمل المتواصل لخير المجتمع ؟

دابه وعادته وديدنه نشر العلم وبث المعرفة ، عمر طويل قضاه في الجهاد بحبس النفس على مواصلة البحث والدرس .. تضحيات قل نظيرها في نشر الثقافة الاسلامية والدعوة الى الله ، من هو الخلف الذي سيحاول ان يسير على سلوكه وسيرته من الطلبة في مختلف افهامهم واعمارهم ، يفهمهم الدروس ويقوى فيهم ملكة الفهم ؟ من هو الخلف الذي سيحمل المشعل بعده في التبشير بعلوم الدين الروحية والاحوال الشخصية ؟ من يدرب بعده الطلبة على المناقشة والبحث عن اسرار المدلهمات ؟ من يعوض فقيدنا بصفة خاصة بالمسجد الاعظم الذي كان يسمع فيه صوته الخافت الرقيق بالحلو من القول ، والاختصار في العبارات المؤدية لفهم الحقيقة ..

— ** —

ابا العباس ، سائر الاوساط كانت تعتقد فيك العلم والصلاح ، سائر افراد الامة كانت تنظر اليك ناصر الدين ومرشد الامة ، والمدافع عن الحق والداعي الى الانصاف والتسامح بين الطبقات ، فاعظم به من عالم واكرم ، ان موته لمن اعظم الكرب والمصائب ان موت العلماء خصوصا منهم فقيدنا وامثاله البررة من الجهابذة الاعلام ومصابيح الظلام ، ثلمة لا تسد ،

فعلى موت هذا العالم الناسك السمح المتواضع يبكي الباكون ، وعلى فقيد الافتاء والمفتين في سلا يأسف الآسفون ، وعلى اخلاقه المحمدية ، وسيرته المرضية ، وتواضعه الجم وحسن طلعته ولطف عشرته وتنازله للخاص والعام ، ونظره السديد الى كل المستويات « الناس سواسية ، احسنهم انفعهم للخلق»

شخصية لامعة فقدناها ، وسيرة مثلى ونموذج في الحياة يهتدى به ويقتدى خسرناها : فمن لحل المشاكل العويصة – يا ابا العباس ؟ هذه نازلة حلت بمغربنا منذ سنوات ، بثبوت شهر رمضان بعدل واحد ، سجل رؤيته من منار القرويين ، فقامت اثره ضجة ، وتردد في اثبات وتزكية واستنكار وتهذيب ، هناك ظهرت عبقريتك ونفعت فتواك القيمة وحلت المشكل حلا شرعيا مرضيا ، مركزا اقوال علماء المالكية بالحجة والبرهان ، رفعت الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المكلفة بهذا الشأن فصادقت عليها ، وعملت بمقتضاها ، نظرا للنزاهة التي تتسم بها ، والمعنى الرشيد الذي تهتدى به دون خروج عن الجادة ولا التواء وختم شهر رمضان المعظم وصدقت الفتوى ، وكان الصلاح ، هذه احدى مفاخركم في جمع كلمة الامة المسلمة على عبادتها وتتراها وقيامها باحدى شعائر الاسلام على الوجه الاكمل ، والتاريخ الحر النزيه لا يبخس الناس حقوقهم ، بل يضعهم في مراتبهم السامية في مكانتهم العلمية الرفيعة « نم قرير العين ابا العباس » .

**فقيدنا ابصر النور في اوائل هذا القرن الهجري**

ولد شيخنا ابو العباس احمد بن الحاج بنعاشر بن عبد النبي المنظري الخالدي بمدينة سلا . من ابوين صالحين واسرتين كريمتين ، والده الفاضل السيد بنعاشر بن بنعاشر بن احمد بن عبد النبي المنظري الخالدي نسبا ، توفي رحمه الله وابنه لا يزال صغير السن ، والدته السيدة الصالحة « الحاجة اسماء بنت التاجر المكرم السيد الحاج عبد الله بن العربي نسبا » .

**مشيخته :**

التحق بالكتاب القرآني وسنه لا يتجاوز الخامسة لدى الفقيه المهذب المؤدب الصالح السيد محمد بن موسى الشهير « بالكبيش » بمكتبه الكائن بحومة راس

الشجرة ، حيث كان يعتني به اعتناء خاصا ، ويجلسه بجانب الرجل الصالح العابد القانت سيدى « **الهاشمى بن الطالب** » الذى كان من رفقاء الفقيه المذكور ، وفتح الله عليه فحفظ القرآن الكريم على هذا الشيخ الجليل ، الذى كان من صلحاء الامة ، ولما عجز شيخه عن مسايرة الكتاب ، انتقل لكتاب الشيخ المقرىء الذائع الصيت الشهير السيد « محمد بوعلو » حيث درس عليه علم القراءات والرواية والتجويد ؛ وفى هذا الظرف بالذات كان يتلقى مبادىء اللغة العربية والدين عن علماء مدينة سلا ، وما اكثرهم اذاك نخص بالذكر منهم القدوة الصالحة شيخ العلماء والزهاد الاتقياء ، ونموذج علماء السلف الصالح الشهير بمواقفه الخالدة ضد المستعمر الغشوم المفتى الاكبر الذى كانت تشد اليه الرحال ، الناسك الذى عرف بالصلاح والتقوى ، واشتهر بالصراحة فى الفتوى ابو العباس سيدى احمد الجريرى سليل البيت الجريرى بيت العلم والادب والصلاح ، كما درس على عدة علماء جهابذة اعلام وكانت تزخر بهم المدينة،منهم العلامة المفتي القاضى ابو الرشاد سيدى علال الشفراوى ، والعلامة الورع العدل سيدى محمد المنصورى ، والعلامة التقى سيدى الحسن ابن الفقيه الجرير ، والشريف القاضى سيدى عبد القادر التهامى ، والفقيه اللامع عضو المجلس الاعلى بالاستئناف السيد هجى زنيبر ، وغيرهم ولما اشتد ساعده وارتوى من فيض معارف رجالات هذا البلد الامين تاقت نفسه للرحلة لفاس حيث « كلية القرويين العامرة تزخر بالعلماء والطلبة » وذلك فى خاتمة عام 1322 هـ وبهذه الجامعة تلقى الدروس العالية عن مشيخة هذه الجامعة الخالدة ، اخص بالذكر منهم السند القوى للجامعة شيخ العلماء السيد احمد بن الخياط الزكارى الحسنى ، وابا عبد الله محمد فتحا القادرى ، والشيخ عبد السلام الهوارى ، والشيخ عبد السلام بنانى ، والشيخ عبد الحى الكتانى ، والشيخ احمد بن المامون البلغيثى ، والشيخ احمد بن الجلالى الامغارى ، والشيخ عبد الرحمان ابن القرشى الامامى ، وقاضى الرصيف بفاس ، الشيخ عبد الله بن خضراء السلاوى ، والشيخ العلامة الفضيلى ، كما اخذ عن جهابذة علماء مدينة الرباط العاصمة عن شيخ الجماعة العلامة الاديب سيدى المكى البطاورى ، وشيخ علماء الحديث بالمغرب والمشرق داعية السلف الحافظ الحجة ابو مديان شعيب الدكالى الصديقى ، وغيرهم . فقد استوطن بمدرسة الصفارين بفاس ، نحو احدى عشرة سنة . كان فيها الطالب المثالى المجتهد الذى لا يلذ له شيء .. ولا يزهو له شيء اللهم الا النهل من العلم والمعرفة ، عشق الغربة والعزلة فى سبيل العلم . ولذة المعرفة ، مستسهلا كل الصعاب وزاهدا فى كل اللذات . ومكتفيا بالمتيسر لدفع غائلة الجوع ، حتى جمع زاده ، وبرز فى العلوم الادبية والشرعية بين اقرانه ، وزكاه شيوخه العلماء الاعلام وشهدوا له بالباع الطويل ، والمعرفة والصلاحية للتصدى للتدريس وكانت هذه الشهادات والاجازات هى المقاييس الجامعية آنذاك ، استجاز شيوخه فاجازوه ، رحمهم الله وامروه وكلفوه بالانفاق من علمه ، وزودوه بصالح ادعيتهم ، فنفعته وعمته بركاتهم ، وكذا نجد سلفنا الصالح لا يخول الاستاذية لكل من استطاع أن يصحح اوراقا ولو بخلسة ؟ بل كانوا رحمة الله عليهم لا يمكنون من اجازتهم الا من تظهر عليه سمة العلماء ، ووقار الصلحاء ، وهدى المرشدين والاستقامة فى السلوك والوقوف لجانب الحق تخليدا لرتبة العالمية وتصحيحا لرجالات الدعوة الاسلامية « اذ العلماء ورثة الانبياء . ومن حق الوارث الحفاظ على الاصول والمواهب والمسلك الرشيد والدعوة للحق والفضيلة » .

على هذا النسق السوى برز عالمنا الفذ فى مسلكه الرشيد لدى عودته لمسقط راسه « سلا » بهذه الصفات الجلى ، والدعوات وصالح الاتجاهات استطاع عالمنا أن يسلك طريقه فى الارشاد والدرس والدعوة طيلة ستين سنة ، دون عياء أو فتور ، ودون ملل او كسل ، لذة تفوق كل اللذات ، وشهوة لا يستطيبها الا من خولتهم نظرة الاكابر المنزلة الرفيعة ؟ .

حل بمسقط راسه ، والمدينة فى لهفة وشوق عظيمين الى شيخنا ، لدروسه لاجتهاده ، لسلوكه لتوعيته ، لنزاهته .

وسرعان ما اجتمعت حوله هيئات الطلاب النجباء ، النخبة تلو الاخرى ، فكان الرجل لاهم له فى الحياة الا التدريس للمبتدىء ومع المنتهى لا يفصل بينهما الا الوقت ، ولا يفرغ من درس مع جماعة ، الا لينتقل الى جماعة اخرى فى درس آخر ؟

ظهر نفعه ، وذاع صيته ، واجتمعت كلمة الطلبة على الانتفاع بدروسه ، والاستفادة من مجالسه وحسن عشرته ، فى نفس الوقت اصبح المرجع الاسمى لسكان المدينة ، فيما جد بينهم ويحصل من

القضايا يلتجئون اليه ، فيحل المشكلات بلباقة ودراية، وحسن تفهم وطيبة سريرة .

## مبادرة الامة الى تاسيس المدارس الحرة بارجـاء المغـرب

من المعروف لدى الخاص والعام ان بلاد المغرب حافظت وتحافظ على لغتها ومبادىء دينها وكريـم عوائدها طيلة احقاب التاريخ ، ومنذ فجر الدعـوة الاسلامية فى ربوعها حتى ابتليت فى العهد الاخيـر بالمستعمرين ـ خاب فألهم ـ حيث اصبحوا يدبرون المؤامرات ، ويحاولون بشتى الوسائل زحزحة الامة المغربيـة عـن الكيـان العربـي الاسلامـي ، بمحاولـة المستعمـر الغشـوم لهـدم كيانهـا بمعول لغته الاجنبية ، وحضارته اللاتكية . شعـرت الامة بالمؤامرات تدبر للكيد بالشباب المغربى ، والعمل على تخدير اعصابه ، وقلب افكاره بان لغة المستعمر هى الزاد والمعاد ، وبها الوصول للوظيفة والوظيف ، وان العربية لا تفيد ولا تنفع ، قامت قيامة الامـة المغربية بكافـة الانحـاء والارجـاء ، تؤسـس المدارس الحرة هنا وهناك ، على نفقتها ، وتحـت سمعها وبصرها ، وكان لمدينة سلا التواقة للنهضة قصب السبق فاسست عدة مدارس حرة ، فى مقدمتها مدرسة سيدى الهاشمى الطالبى بحى درب العلـو قـام بتاسيسهـا نخبـة من رجـالات هـذه المدينة ولا يزال فريق منهم بقيد الحياة ، يتمتع بالحب والتقدير على ما قدمت يداه من خير للشباب وللمجتمع السلوى المسلم ، فى الحفاظ على نشأة فلذات كبده فى احضان اللغة العربية منذ نشأة الدولة الاسلاميـة « الادارسة » بربوعه حتى يوم الناس .

### والتاريخ اسجل امجـاد امتنـا

فلقد اوقف على هذه المدرسة ملكا من خالص املاكه ، ليحتضنها حيث اصبحت مركزا لها احـد رجالات الدولة العزيزية ، والمكلف فى عهدها بالسهر على صنع « **سكـة الدولة** » الوجيه الاكرم الشريف الغيور مولاى احمد الصابونجى رحمه الله ، وهذه المؤسسة لا تزال قائمة الذات تؤدى مهمتها التربوية حتى يوم الناس هذا ـ كما شفعها باخرى لصيانتهـا والنفقة عليها : القائد الهمام الوطنى الشهم الغيور الاريحى نائب جلالة الملك بطنجة فى العهد العزيزى واول رجل فتحنا عليه اعيننا فى رعيل الوطنية الاولى والتضحية بكل غال ونفيس للدفاع عن كيان الامة ، السيد عبد الله بنسعيد رحمه الله ، وهكذا كانت هـم رجالات المغرب بكل الانحاء والارجاء تتسابق فـى ميدان انقاذ الاجيال من مفتريات المستعمر العنيد ، ولغته الدخيلة واتجاهاته اللاتكية !

ولقد اختير شيخنا المترجم له ، وفقيدنا المبكى عليه للتربية والتدريس بها مدة وجيزة كان خلالهـا نبراسا مضيئا ، وحارسا امينا ، صان شبيبة المدينة من الزيغ والتهلكة .. وبث فى روح ابناء المدينة مبادىء الاسلام والعروبة ، وافتر ثغر المدينة بامجاد هـذا الداعية المؤمن التقى ، وفى سنة 1920 م عين لاول مرة فى وظيفة استاذ للعربية والدين بالمدرسـة الابتدائية الحكومية .. بالمدينة حيث كان مستقرهـا «**دار ابن عطار**» حي باب حساين بمدينة سلا قضى بها حوالى اربعة اعوام مدرسا وفيا ، مرشدا قويا ، يهدى للخير ويرشد للجادة ، ويكون الاجيال تكوينـا اسلاميا سلفيا ويرقى المدارك ويهيىء ابناء الامـة للحياة الشريفة حياة حفظ الكيان والذب عـن الشرف والدفاع عن المقدسات واحترام المعتقدات ، وفى هذا الحقل اليانع ، تخرج على يديه افواج من شبـاب المغرب اكثرهم يوجد اليوم باطر عليا عظمى وجهاز الدولة ، وبعد عشرين سنة قضاها مدرسا بالتعليم الثانوى بثانوية مولاى يوسف بالرباط وناشرا للعلم بالمدينة فى سائر اوقاته الخاصة والعامة ، ومفتيـا مؤتمنا على كلمة الحق ، يفصل بها بين المتنازعين طبق شريعة الاسلام : (لا ضرر ولا ضرار ) ثم عين مفتشا للكتاتيب القرآنية بمدينتى سلا والرباط ، قام باداء هذه المهمة بحزم ولباقة ووفاء ونصح ، ثم عين عضوا مستشارا بالاستئناف الشرعى بالاعتاب الشريفة بالرباط ، كان مثال النزاهة والاقتدار وفى سنة 1941 م عينه صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ضريحه، عضوا فى لجنة الامتحانات بعالمية القرويين لتخريج العلماء بقسمى الكلية القروية **الشرعى والادبى** . وفى هذا الحقل المزدهر تعرف على افكاره وسديد نظرياته عدة متخرجين بالعالمية يذكرونه بالتقدير ، لما كـان يتصف به من حسن السلوك معهم والتفاهم والبحث فى دائرة المصلحة العليا للتعليم ، ثم عينه استـاذا لتدريس التربية الاسلامية بالمعهد المولوى بالاعتاب الشريف « المعهد » الذى كان يدرس به ولى العهد اذ ذاك وملك المغرب اليوم الحسن الثانى وشقيقـه الاميـر مـولاى عبـد اللـه مـع طبقة من الطلبة المغاربة النجباء ، وفى سنة 1958 عينه جلالة الملك محمد الخامس مستشارا بالمجلس

الاعلى للقضاء مع الاحتفاظ باستاذيته فى كلية الحقوق والمدرسة الادارية . فكان رحمه الله يقوم بسائر المهمات اليومية الليلية والنهارية حرة طليقة لمختلف طبقات الطلاب المبتدئين والمنتهين ، والكل بجد ونشاط واخلاص وحيوية .

واحيل على المعاش طبق النظم الادارية بالمغرب ولكنه رحمة الله عليه لم يتأخر عن اداء فروضه اليومية ، فى تأدية دروسه المتعددة والمتنوعة بين مختلف الاجيال الصاعدة بامانة ونزاهة وفتوة ، رغم سنه العالية طلق المحيى ، وضاء الجبين ، نظيف السمعة وقوى الارادة .

— ⁂ —

من هذا الموجز لحياة فقيدنا الكريم ، نتعرف على مقدار الخسارة التى اصيب بها المغرب بفقدان هذا العالم الجليل ، والشيخ القدوة الذى ادى رسالته غير منقوصة ، ووقف حياته الجلى على نفع البشرية بتلقين مبادىء العلوم العربية والشرعية الاسلامية ، وتكوين الطاقات وصنع الرجال للحاضر والمستقبل ، بلغ الامانة لكل من حضر دروسه او ساله او استفتاه ، لم يتأخر عن اداء وظيفته السامية فى المجتمع حتى آخر حياته .

وأمام هذه الحياة السعيدة المليئة بالمعالى والفضائل ، والنفع العام وخدمة المجتمع بنشر الفضل والفضيلة ، قدره واكبره جلالة ملك المغرب **الحسن الثاني** حياه الله وايده فانعم جلالته على فقيدنا ضمن اربعة من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام ، اثنان من مدينة فاس الفيحاء مشيخة القرويين العامرة الاول شيخ الاسلام الوطني الشهم العلامة البارز الاستاذ سيدي محمد بن عبد الرحمن العراقي شيخ الجماعة وسميه فى القدر والعلم والجاه العلامة الشريف مولاى احمد الشبيهى اطال الله حياته للخير ، وعالمان اثنان من مدينة سلا الفيحاء ، شيخنا او قدوتنا وفقيدنا شيخ الجماعة سيدى الحاج احمد بن عبد النبى وسميه فى العلم والدين والورع والاقتدار والامانة والاخلاص رئيس مجلس الاستئناف الاعلى بالاعتاب الشريفة العلامة النصوح سيدى الحاج محمد الهاشمى ابن شيخ الجماعة وقاضى الرصيف العلامة الشهير سيدى عبد الله بن خضراء . وقد لبى داعى الله قبل فقيدنا بأسبوع ، فكانت مصيبة مدينة سلا فى فقدان علمائها وصلحائها ونصحائها وانا لله وانا اليه راجعون .

اجل قلد جلالة الملك الحسن الثانى حياه الله صدر هؤلاء العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام وسام الاستحقاق الفكرى فى شهر مارس 1970 م جزاء خدماتهم وشريف أعمالهم بنشر العلم والفضيلة والنصح والنصيحة لامير المؤمنين ولخاصة المسلمين وعامتهم كما ورد فى السنة .

**سلا : الحاج احمد معنينو**

# آثار وفنون الاسلام بالمغرب العربي

## ودحض مزاعم المستشرقين

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

— 3 —

وسوف نلقي الان نظرة عابرة نرى من خلالها اهم مآثر العروبة والاسلام بالمغرب العربي الكبير على وجه الخصوص . فمنذ العصر الاسلامي المبكر وبالذات منذ منتصف القرن الاول الهجري وضع عقبة بن نافع نواة الحضارة المعمارية والفنية بتأسيس المسجد الجامع بالقيروان (1) . وفي عصر القادة الفاتحين كذلك اقام حسان دار الصناعة بتونس ، ثم انشأ عبيد الله بن الحجاب مسجد الزيتونة (2) خلال عصر الولاة .

ومنذ بدأت حركات الاستقلال المغربية حوالي منتصف القرن الثاني متجهة من المغرب الى المشرق خلف الادارسة بالمغرب الاقصى آثارا معمارية هامة منذ بناء فاس بعدوتيها واسوارها وبها جامع الاشياخ وجامع الشرفاء ثم القرويين كما اسسوا مملكة ومدنا حصينة شمال المغرب الاقصى ذكرها المؤرخون والجغرافيون لا زالت آثارها الحربية والدينية والمدنية قيد البحث للآن (3) . كذلك خلفت زناتة من بعدهم مآثر معمارية وفنية بفاس وشالة (4) وغيرها لم يتمكن المستشرقون من دراستها وفهمها فهما كافيا الى اليوم . وجاء المرابطون فأتاحوا الفرصة بما اقاموا من مآثر بتلمسان وندرومة والجزائر العاصمة وجامع القرويين بفاس ثم مراكش للتأثرات الشرقية ان تزحف من افريقية في اتجاه الغرب ، حتى اذا جاء دور الموحدين الحضاري ادى اتساع امبراطوريتهم الى الاتصال الفعلي بين افريقية ( تونس ) والعالم الاسلامي الغربي بالمغربين الاوسط والاقصى والاندلس ، وزادت معرفة رجال الفن الاندلسيين بفنون بن زيري وبني حماد المستمدة مباشرة من الفن الفاطمي الذي يستلهم وحيه من الشرق ، وهكذا اخضع الموحدون الفن الاندلسي

---

(1) احمد فكري : المسجد الجامع بالقيروان .

(2) احمد فكري : مسجد الزيتونة الجامع بتونس ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد 4 عدد 2 سنة 1952 .

(3) احمد المكناسي : المدن الاسلامية المندرسة في شمال المغرب ، كتاب الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عن المؤتمر الثالث للآثار بفاس طبع القاهرة 1961 ص 203 + 17 لوحة وخريطة .

(4) عثمان عثمان : انظر ما يتعلق بتاريخ وعمارة وفنون زناتة في الكتب الثلاثة ـ تاريخ شالة الاسلامية ، وحفائر شالة ، والفنون الاسلامية والفنون العربية بالمغرب الاقصى ، وكلها تحت الطبع بدار الثقافة ببيروت .

(5) تحت عنوان الفن الشرقي المغربي راجع مقال عبد العزيز بن عبد الله في كتاب الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ـ القاهرة 1961 عن المؤتمر الثالث للآثار بفاس ص 359 وما بعدها .

لمؤثرات جديدة عندما اصبح يتلقى دروسا اخرى من الشرق تحت زعامة المغرب الاقصى ، وهكذا مـــرة اخرى تحققت روائع الآثار التـي زينـت الطـــراز الاندلسي المغربي بشمال افريقيا والاندلس واصبحت اعلامها ترتفع فوق صوامع الجيرالـــدا والكتبيـــة والقصبة وحسان . اما المرينيون فقد استغنوا عن ذكرهم في التاريخ على حد تعبير ابن خلدون بما خلفوه من مآثر ، والواقع انهم كانوا بنائين ممتازين انشاوا مدنا جديدة من العدم كما تفننوا في تزيين مبانيهـــم وعلى الخصوص مدارسهم حتى بدت مآثرهم وكأنها عرائس المدن المغربية بفاس ومكناس وتازة وســـلا وشالـــة وغيرهـــا .

وكان المغرب الاوسط قد اقام كذلك دولتـــه الاسلامية الاولى حوالي منتصف القرن الثاني فقـــد اجمع مؤرخو العرب وجغرافيوهم على اتساع رقعة الدولة الرستمية (6) وتبحر عمرانها بتاهرت ، ووصفوا قصورها ومساجدها واسوارها وثغورها مثل وهران الذي كانت تخرج منه الاساطيـــل التجاريـــة الـــى الاندلس . وجاء الحماديون فخلفوا حضارة تحـــت تأثير الشرق تبدو آثارها المعمارية والفنية وليس لها نظير ببقية الوطن المغربي (7) ، ولا غرو فقد اغرم بها النورمان وبنوا قصورهم بصقلية على غرار قصـــور بجاية فهذا ابن خلدون وصاحب الاستبصار وغيرهما يصفون مدينتي القلعة وبجاية وقصورهما وما اشتملت عليه من مساجد وقناطر وبساتين (8) . ثم شـــارك المغرب الاوسط جيرانه بالمغرب الاقصـــى حضارة المرابطين والموحدين ثم بني مرين من بعدهم ، تشهد بذلك آثار عديدة بالمغربين الاقصى والاوسط تنطق بتلك الحقيقة في توزر والجزائر وتلمسان (9) .

وفي افريقية ( المغرب الادنى ) تبقت من عصر الاغالبة اقدم مجموعة قائمة على حالتها الاولـــى من الآثار العربية الاسلامية المدنية والدينية والحربيـــة بالقيروان وسوسة والمناستير وسفاقس (10) ، ثم استقبلت تلك المنطقة ايضا تراث العبيديين قبـــل انتقالهم الى القاهرة . والى عبيد الله المهدي يرجع تأسيس مدينة المهدية في مستهل القرن الرابع ، ومن آثارها الميناء والاسوار ودار الصناعة والتصريـــن والمسجد . كما ترك بنو زيري ومن بعدهم الحفصيون اعمالا معمارية وفنية كبيـــرة بالمسجـــد الجامـــع بالقيـــروان .

هذا كله فضلا عما خلفته المغارب الثلاثـــة من فنون تطبيقية وزخارف ونقوش وخطوط عربية على الخزف والخشب والجص والمعادن والمخطوطـــات على طول عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في الغـــرب الاسلامـــي .

ولعله من المؤسف حقا على الرغم من ذلـــك الثراء الملحوظ والتطور والنضج الواضحيـــن في مظاهر الحضارة والآثار المغربية العربية ، ان تظل هدفا يمم شطره عدد غير قليل من المستشرقيـــن المتحاملين وعلماء الاستعمار المفرضين . فهذا هـــو الجنرال بريموند BREMOND الذي وشح غـــلاف كتابه البربر والعرب بعبارة ( بـــلاد البربـــر بـــلاد

---

(6) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبيـــر ، القاهرة 1963 ، ج 3 المخصص للدولة الرستميـــة ، ويقرأ بتحفظ لتأثر المؤلف بعواطفه الخاصة .

(7) GENERAL DE BEYLIE : La Kalâa de BENI-HAMMAD Paris 1909 وكذلك احمد توفيق المدني : المسلمون في صقلية .

(8) مبارك الميلي : تاريخ الجزائر الجزء الثاني ابتداء ص 213 .

(9) G. MARÇAIS : La Kalâa de BENI-HAMMAD d'après deux publications récentes.
وقد ظهر المقال بمجلة جمعية الآثار بقسنطينة 1908 وهو تعليق على اعمال الجنرال دي بايلـــي وزميله بلانشيه بقلعة بن حماد .

(10) L'Architecture Musulmane d'occidents, Paris 1954.CRESWELL : EARLY MUSLIM Architecture. OX FORD 1932-1940
راجع ما يتعلق بتلك الآثار بالجزء الثاني ، وكذلك حسن عبد الوهاب : ورقـــات في الحضـــارة الافريقيـــة ( تونس ) .

اوربية ) (11) يحاول جاهدا تحطيم آثار العروبة والاسلام بالمغرب . بريموند يقول : ( ... ليس للعرب أي سهم في أي مظهر من مظاهر الحضارة ... فليس للعرب فن او عمارة ... وليس للعرب اي تأثير في المغرب ... فليس في كل مظاهر الحضارة ما هو عربي ، بل لم يكن الاسلام ولا القرآن سبب انتشار العربية بين البربر ... ) ومن أغرب ما قاله هذا الجنرال : ( ان مساجد المغرب نفسها ليس بها ما هو عربي ... وحتى المؤلفون العرب فهم ليسوا عربا ... ) .

وسوف اقتصر الآن على حجتين لدحض زعمه بانه ليس في مظاهر الحضارة المغربية ما هو عربي . وتستمد الحجة الاولى من فنون الزخرفة الهندسية والنباتية المغربية ، فقد ابتدع العرب تركيبات هندسية واشكالا نجمية جديدة لم تكن معروفة من قبل طبعوها بفكرهم العربي على مختلف المواد المغربية من خشب وزليج وجلود وغيرها كما طوروا المقرنصات SQUINCH المشرقية الاصل هندسيا بالمغرب والاندلس ، فاستمدوا من العنصر المعماري عناصر زخرفية مدهشة فيما ابتكروا من دلايات STALACTITE افتتن بها الغرب ونقلها عنهم بالدليل التاريخي والاثري . كذلك ابتكر المسلمون في مرحلة حاسمة لتطور فنونهم اسلوبا زخرفيا جديدا هو اسلوب التوشيح الذي دهش بحسن ايقاعه الذوق الاوربي وعرفه باسم الارابسك ARABESQUE ، ولا غرو فقد كان حسب راي ريكار (12) RIKAM اكبر ملهم لتطور وتنوع الفنون المغربية ، وقد فسره كونل في دائرة المعارف الاسلامية بانه يمثل مجموعة متكررة تملأ الفراغات وتتشابك فيها العناصر الزخرفية تشابكا هندسيا متماثلا تتباين فيه الحركة تباينا توقيعيا ، وزاد احمد فكري بانه مجال تحرير الفنان العربي من تقليد الطبيعة ومجال تعبيره عن خياله وأحاسيسه الشخصية مع الالتزام بتنسيق الاشكال النباتية داخل مضلعات هندسية مجردة وتكرار التموجات الخطية تكرارا تختلط فيه البداية والنهاية مع تعانق الاغصان والفروع وتماثل العناصر والمجموعات . ولا شك عند الباحثين الآن في ان المسلمين قد افرغوا في هذين اللونين من الزخرفة عبقريتهم الفنية بعد ان كره الدين العمل في النحت والتصوير بعدا عن التشبيه بالخالق (13) .

وتستمد الحجة الثانية من الخطوط العربية اذ لم يبلغ خط آخر في تاريخ الفنون قاطبة ما بلغه الخط العربي من انتشار وتنوع (14) وتأثير على الفنون الغربية نفسها (15) .

فالخط وهو اقرب الى الجانب الانساني ينمو في الفن الاسلامي نمو الطبيعة حيث يظهر في شكل براعات هندسية بين زخارف التوريق كما لو اريد به التعبير عن اشكال وليس فقط مجرد افكار ، وهكذا عرف الخط العربي انواعا شتى زينت المباني التاريخية كعنصر زخرفي في حد ذاتها ، فضلا عن كونها نقوشا تأسيسية او دعائية سجلت حياتها على مختلف المنشآت والصناعات الزخرفية من أثاث وخزف ونسيج ومعادن بالمغرب العربي ابتداء من مسجد ابي فتاتة بسوسة شرقا الى جامع القرويين بفاس غربا ، ولا زال نقش مقصورة المعز ابن باديس بالقيروان ونقش ثريا مسجد تازة على حالتهما الاولى

---

(11) GENERAL BREMOND, BERBERES et ARABES, La BERBERIE EST UN Pays Européens, Paris 1950.
راجع على الخصوص صفحات 215 ـ 216 ـ 236 ـ 241 حتى 373 .

(12) P. RICARD : Pour comprendre l'Art Musulman, Paris (12) 1924 p. 159.

(13) حدث ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد صناع التصاوير بقوله : ( ... من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا فان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح ) وهو توجيه الى الزخارف النباتية والهندسية .

(14) القلقشندي : صبح الاعشى ، القاهرة 1914، ج 3 به نماذج لانواع الخطوط العربية وأسمائها . ومقالنا بمجلة دعوة الحق عن الفن الاسلامي بالمغرب زمن الفاطميين ، عدد يوليو 1960 ، ص 60 به مراجع عن الخط العربي ونماذج الخطوط .

(15) عثمان عثمان : تأثير الفن الاسلامي على فنون الغرب ، دعوة الحق ، عدد مارس 1960 .

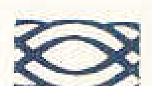
يشهدان بتفوق الخطوط العربية وتاثيرها على فنون الغرب الذي نقل على منشآته المعمارية وتحفه الفنية نماذج مباشرة منها دون تفهم معناها .

اما عن افكار الجنرال بريموند لآثار العرب والاسلام في المغرب فسأكتفي برد جوستاف لوبون (16) بأن البربرية قد تعربت كما تعرب البربر انفسهم مما يثبت مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يكتب مثله لامة أخرى بشمال افريقيا الامر الذي يوضح خطأ كثير من المؤلفين المعاصرين الذين رأوا ان يفرقوا بين العرب والبربر .

**الرباط : الدكتور عثمان عثمان اسماعيل**

---

(16) انظر جوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، ط 3 1948 ، ص 302 وما بعدها .
وشارل اندريه جوليان : تاريخ شمال افريقيا ،ج 2 ص 10 .
وجورج مارسيه : La Berberie Musulmane ابتداء من ص 42 .



« انك أيها المسلم فى العالم كله حـق وحدك ، وماعداك سراب خادع ، ووهـم باطـل »

اقـبـال

# أبحاث ودراسات

- من جوانب الحركة الشعرية في السودان

---

- بين طموح المتنبي وطموح الصاحب ابن عباد

---



« لقد أعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله »

عمر بن الخطاب

# مع ابن مالك في ألفيته

للدكتور محمد رجب البيومي

من منا لا يذكر علم النحاة ابن مالك ، لقد رزقه الله حظوة مثمرة فى التاليف ، اذ ذاعت مصنفاته فى الشرق والغرب ، وتعددت آراؤه فى المعضلات ، ودار حولها الشرح والتأويل والتحليل ، وقد درسنا فى الازهر على عهد الطالب شروح ابن عقيل وابن هشام والاشمونى على الفيته مصحوبة بحواشى الخضرى والازهرى والصبان فاخذ منا الرجل فى ميدان النحو جهدا لم ينله سواه ، ثم تابعنا بعد الدراسة مؤلفاته الاخرى فعرفنا ان ابن مالك رحمه الله علم الاعلام فى بابه وقد قيل انه قرن بسيبويه فى مقامه العلمى ، ولسنا بصدد الموازنة العلمية بين امام وامام ، ولكننا ننقل ذلك لنصور مكانة الرجل فى نفوس الدارسين ، واذا كان من القراء غير المتخصصين من لا يعرف تاريخ هذا العلامة الضليع فاننا نوجز الحديث عنه حين نذكر انه ولد فى مدينة جيان بالاندلس سنة ستمائة للهجرة ودرس علومه الاولية حيث ولد فألم بالنحو والقراءات والفقه ثم توجه الى الشرق فكانت دمشق وجهته الاولى وبها لقى اعلام العصر ، وتوسع فى الرحلة فزار مدينة حلب وحظى بالاستماع الى اكابر رجال الشام من امثال ابن الحاجب والسخاوى الاكبر وابن يعيش ، هذا الى تقوى وزهد وكثر عبادة حتى قال مؤرخوه انه ما كان يرى الا مصليا او قارئا او مصنفا ، واذا كان النحو مجال شهرته بين الناس ، فان الحديث النبوى ومتن اللغة وعلم القراءات كانت تحظى بتفوقه البارع فى ميادينها ، وقد الف فيها مؤلفات طيبة نرجع اليها الآن فى ثقة واطمئنان ، وهذا مما يؤكد ان علوم الشريعة وعلوم العربية تتلاقيان وتترافدان ، وان ائمة السالفين قد عرف من بينهم من يتكلم فى التشريع وفى اللغة وكانهما فن واحد لا يختلف، وقد راينا الآن فى هذا العصر من تضلع فى العلوم اللسانية تضلعه فى العلوم الشرعية حتى لنحار اين نذهب به مرجحا كفة على كفة ، ومن هؤلاء استاذنا الاكبر محمد الخضر حسين رضى الله عنه اذ كان يناقش معضلات اللغة والنحو والادب كما يناقش معضلات الفقه والاصول والتوحيد ، بشموخ يرتفع عاليا فى الميدانين دون ان تقصر مئذنة عن مئذنة فى سموقها الناهض وارتفاعها البعيد .

قال الشهاب محمود ، جلس ابن مالك يوما وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهرى فى اللغة غيبا من مصدره دون رجوع الى اوراق ، واذا كانت اجزاء المحكم كثيرة كأجزاء التهذيب فان الذى يذكر غيبا ( دون رجوع الى اوراق مدونة ) ما بينهما من الاختلاف فى تفسير الالفاظ اللغوية لابد انه درس الكتابين دراسة حافظة على سعتهما المحيطة ، وهذا معجز كما يقول الشهاب ، واذا كان ذلك بعض تضلعه فى اللغة وحدها فكيف بسائر العلوم .

أما النحو ، فيكفى للدلالة على بعد همته فى تحصيله انه كان على تواضعه الجم يستصغر الزمخشرى فى مضمار النحو اذ يقول عن تلميذه ابن الحاجب لقد اخذ النحو عن الزمخشرى صاحب المفصل

وهو نحوى صغير ، وهذا تحديد كاشف لا تجريح منتقص ، لان الزمخشرى وقد كان اماما فى اللغة والبلاغة والتفسير لم يكن لدى امثال ابن مالك من ائمة النحو ، وتلميذه حينئذ يدور فى فلكه ، واحرى به ان يطير الى سواه .

واذا اشتهرت من مؤلفاته الالفية فقد تلاها فى الشهرة كتاب التسهيل ، وله عدة شروح من بينها شرح المصنف نفسه ، وقد اكمله ولده بدر الدين ، وله شروح اخرى لمسائل النحو وكتب فى اللغة والحديث ومنظومات فى الصرف والقراءات ، وكتب الفهارس تسجل آثار الرجل بما يقنع الباحث ، ولسنا بصدد التعريف بها ، ولكننا نشير اليها لتدل على امامته الجهيرة ، وقد ظل يدرس مؤلفاته لاعيان العلماء من رجال عصره اذ كانوا مع شهرتهم الذائعة ومؤلفاتهم البارعة تلاميذ فى حضرته يؤمون حلقته فى المسجد الاموى بدمشق ليقطفوا ثمار فضله ومنهم ولده بدر الدين الذى كان يخالفه فى حلقة الدرس وفيما كتب من مؤلفات اذا عن له ما يتسع للمخالفة من المسائل ، فلا يرى من والده الا كل تشجيع ، وهذا ديدن الاستاذ المثالى الذى يجعل صدره فسيح الجنبات لمخالفيه وان كانوا دونه فى النظر والتعليل كما أن من تلاميذه الكبار بدر الدين بن جماعة قاضى القضاة ، وبهاء الدين بن النحاس مفسر عصره ، وابا زكرياء النووى الفقيه الكبير ، وابا الحسين اليونينى المحدث الشهير ولدينه نقف فيما كتبنا هذا الفصل الا لنصور جميل الصحبة ونبيل العلاقة بين التلميذ والاستاذ ، وكيف ضرب كلاهما المثل العالى للدارسين من رجال العلم جيلا بعد جيل .

كان أبو الحسين اليونينى نجلا لشيخ الاسلام الحافظ المحدث تقى الدين محمد بن احمد بن عبد الله بن عيسى اليونينى ، فهو اذن من بيت علم وفضل ، ابوه شيخ العلماء وحافظ المحدثين وقد قيل فى تاريخه عنه « لم ير فى زمانه مثله » كان الملك الناصر يهرع الى زيارته ويتأدب معه ، وله اختصاص جاد بالحديث النبوى يحفظ متونه واسانيده ويناقش علله ومعاضله ، وقد نشأ ولده أبو الحسين على بن محمد اليونينى على نهجه فكان اتجاهه الاول الى الحديث ، وقد نقل ابن العماد فى شذرات الذهب انه صار شيخا جليلا حسن الوجه بهى المنظر ، له سمت حسن وعليه سكينة ، ولديه فضل كبير ، فصيح العبارة ، حسن الكلام ، له قبول من الناس ، وكان ممن سعدوا بدروس ابن مالك اخذ عنه النحو واللغة وعد من كبار تلاميذه ثم تخصص فى الحديث بعد ان ورد حياض استاذه وقطف من الحلو جناه .

كان ابن مالك رضى الله عنه من علماء العربية الذين يرون صحة الاستشهاد بالحديث النبوى لغويا ونحويا على حين ذهبت الكثرة من هؤلاء الافاضل الى أن الحديث النبوى قد روى بالمعنى فلا يصح الاستشهاد به اذ لا نقطع تمام القطع أن افصح البلغاء عليه السلام قد نطق بالفاظه ، ولهم فى هذا المجال صيال ونقاش اذكر أنى قد بسطت الحديث عنه فى بعض ما كتبت من قبل ، وقد انتهيت الى ما راى ابن مالك واضرابه من صحة الاستشهاد بالحديث النبوى لغويا ونحويا ، واظهر ما يقال فى تأييد ذلك وانه ان صح ان الراوى قد تصرف فى اللفظ مكتفيا بالمعنى فهو صحابى او تابعى عربى فصيح ممن يشهد بقوله ، وانى لاعجب كل العجب كيف نستشهد بكلمة عابرة يقولها اعرابى مجهول مثل« نعم السير على بئس العير » ثم لا يجوز ان نستدل بقول أفصح البلغاء « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل » او نسمع كلمة عابرة مثل « اكلونى البراغيث » فنجعلها لغة معترفا بها ثم لا نستدل بمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؟ » مهما يكن من شيء لقد هدى الله قلب الامام محمد بن مالك الى صحة الاستشهاد لغويا ونحويا بما روى عن رسول الله ، وقد اخذ يتتبع كتب السنة المطهرة ليجعلها مجال نظره الاستدلالى ، ولكن حرمة العلم وجلال الالتزام ، وقوة التبعة ، كل ذلك يحتم عليه ان يقرأ الحديث النبوى قراءة صحيحة كما تداولها ائمة الحديث راويا على راو ، فلابد الا يكتفى بالقراءة الغيبية دون الوقوف على النطق المتسلسل الذى التزم به الرواة فقد كتبت مجموعات الصحاح ، والرجل محدث كبير يحفظ الحديث ، وقد كان بعض مواده الدراسية دون نزاع ، ومثله يكتفى بما حصل والم فهو امام العربية فى عصره دون نزاع ولكن ، انى يطمئن الى جلال علمه وقوة تدقيقه . وقد نسى بعض الضبط الحقيقى لبعض الالفاظ ، لابد أن يجلس مجلس المستمع المستفيد من جديد ، ولابد ان يتلقى صحيح البخارى سماعا من راوية امام موثوق بسماعه ، وقد فكر وقدر فراى أن اكبر محدثى بلدته هو تلميذه أبو الحسين على بن محمد اليونينى الذى يقول عنه ابن حجر فيما بعد انه

كان شيخ بلاده والرحلة اليه ، فلابد اذن من ان يجلس منه مجلس المستفيد ، وهو تلميذه الذى يصغر عنه بأكثر من عشرين عاما اذ ولد ابن مالك سنة 600 وولد اليونينى سنة 621 ، ولابد أن يكون المجلس ذائعا مشتهرا يحضره طلبة العلم من زملاء اليونينى وتلاميذ ابن مالك ليعم الفضل الجميع ، وهكذا اعلن الامام العلامة النبيل محمد ابن مالك علم الاعلام فى عصره وواحد الاحاد فى مصره انه سيجلس مستمعا الى الرواية الصحيحة للبخارى حيث يقرؤها محدث العصر وحافظه الامام ابو الحسين اليونينى ، وسيكون هذا الاستماع عاما جامعا فى اعظم مساجد دمشق

وقد جاءت الانباء الى التلميذ فهرع الى استاذه يعلن انه يفوقه تحديثا كما يفوقه لغة ونحوا ، وانه لا يستطيع ان يجلس هذا المجلس من شيخه الكبير ومن تلاميذه الذين هم فى الوقت نفسه زملاء ابى الحسين ، ولكن ابن مالك اصر وتشدد ، وحدد اليوم الذى تبدا فيه القراءة ودعا من يتوسم فيه العلم الى الحضور فلم يسع اليونينى الا ان يشترط على استاذه ان يتفضل بالسماع فاذا عن مشكل لغوى او معضل نحوى سكت التلميذ ليعلن الاستاذ رايه فى هذا المشكل ثم يقوم المستمعون بتدوين كل ما يقول امام النحو لتحتفظ الاجيال بخبرة علمية نحوية تبحث عن مشكلات الجامع الصحيح ، وقد تم للتلميذ ما اراد فقام هو بالقراءة المضبوطة كما جاءت بها الرواية وقام الامام بشرح المشكل وايضاح الغامض وقام التلاميذ بالتدوين فى اكثر من سبعين مجلسا تمت بها رواية البخارى ، وتم بها فى الوقت نفسه تاليف « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك » وقد كان يزيد عليه مالا يتيسر له بالمجلس من مسائل تحتاج الى مراجعة حتى استوى نسيج وحده فى بابه واليه المرجع الآن فيما يدق من وجوه التركيب والضبط لدى المتخصصين .

وحين جاءت الجلسة الاخيرة التى فرغ فيها اليونينى من تلاوته الضابطة راى الحاضرون ان يقوم الاستاذ والتلميذ معا بكتابة وثيقتين تسجلان هذا الحدث الرائع ، لتلحقا بالنسخة اليونينية المضبوطة فتكونا تثبيتا لها فى نفوس الاجيال ، وتخليدا لمجالس نادرة امينة ، تصلح ان تكون موضع الحذوة ومناط الاقتداء ، فقام الرجلان بكتابة ما يرجوان به الخير مما ننقله الآن فرحين مغتبطين .

كتب ابن مالك بخطه الواضح فى ظاهر الورقة الاخيرة من النسخة اليونينية يقول « سمعت هذا المجلد من صحيح البخارى رضى الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الامام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبى الحسين على بن محمد بن احمد اليونينى رضى الله عنه وعن سلفه ، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء ، ناظرين فى نسخ معتمد عليها ، كلما مر عليهم لفظ ذو اشكال بينت فيه وجه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمى بالعربية ، وما افتقر الى بسط عبارة واقامة دلالة ، اخرت امره الى جزء استوفى فيه الكلام بما يحتاج اليه من نظير وشاهد ، ليكون الانتفاع به عاما ، والبيان تاما ان شاء الله ، كتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامدا الله تعالى .

ثم كتب الحافظ اليونينى ما نصه : « بلغت مقابلة وتصحيحا وسماعا بين يدى شيخنا شيخ الاسلام ، حجة العرب ، مالك ازمة الادب الامام العلامة ابى عبد الله بن مالك الطائى الجيانى امد الله تعالى فى عمره فى المجلس الحادى والسبعين وهو يراعى قراءتى ، ويلاحظ نطقى فما اختاره ورجحه وامر باصلاحه اصلحته وصححت عليه ، وما ذكر انه يجوز فيه الاعرابان او ثلاثة اعملت ذلك على ما امر ورجح وانا اقابل باصل الحافظ ابى ذر ، والحافظ ابى محمد الاصيلى ، والحافظ ابى القاسم الدمشقى ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين فانهما معدومان وباصل مسموع على الشيخ ابى الوقت بقراءة الحافظ ابى منصور السمعانى وغيره من الحفاظ ، وعلامة ما وافقت اباذر ( ه ) والاصيلى ( ص ) والدمشقى ( ش ) وابا الوقت ( ط ) فيعلم ذلك .

كتبه على بن محمد الهاشمى اليونينى عفا الله عنه .

هاتان الوثيقتان حجة واضحة تصلح منارا ساطعا فى باب العلم ، ونبراسا هاديا فى دنيا الخلق ، وبمثلهما فليعتبر ذوو التشاحن والتحاسد من ارباب المنافسة ، وعشاق الشموخ ما بين اساتذة وتلاميذ وشيوخ وشبان .

**د. محمد رجب البيومى**
**الاستاذ بكلية اللغة العربية — جامعة الازهر —**

من جوانب الحركة الشعرية في السودان :

# الخصائص الجمالية في شعر عبد الله الطيب

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

— 1 —

الدكتور عبد الله الطيب من رواد النهضة الفكرية والادبية والجامعية في السودان الشقيق .. وكتبه ودواوينه الشعرية غذاء للعقل والذوق والعاطفة والشعور ، ومنها : المرشد ، وسقط الزند الجديد ، ومع ابي الطيب ، والقصيدة المادحة ، واللواء الظافر ، وبانات رامة .

وآخر دواوين الدكتور الطيب هو « اغاني الاصيل » ، وقد صدر عام 1976 عن دار جامعة الخرطوم للنشر ، وقامت بطبعه دار الطباعة بجامعة الخرطوم ، في 170 صفحة ــ ويحتوي نحو 170 قصيدة وقطعة شعرية كلها في الحب الا قصائد قليلة ، كقصيدته في رثاء الدكتور طه حسين وقصيدته في رثاء اخته ، وقصيدته « الشعر والنقاد » وهي صورة لطفولته وحياته وكفاحه ، وقصيدته « مصابيح القلوب » وهي في المدح النبوي .

وباقي قصائد الديوان في الحب والغزل والجمال ، حتى لا تخلو قصيدة منها من حديث عن المراة ، ووصف للجمال ، واسترسال لذيذ مع الحب ، والحب عند عبد الله الطيب هو جزء من روحه وقطعة من حياته ، وحديث عميق يصدر من عاطفته ومشاعره الدفينة .

وقد اهدى الشاعر الدكتور الطيب ديوانه ــ اغاني الاصيل ــ الى علي الجارم وطه حسين وفاء وتقديرا وذكرى .

والديوان مصدر بمقدمة كتبها شاعرنا بروح الاستاذ الموجه ، ونادى فيها :

1 ــ بالاستمرار في تعليم اشعار الاوائل ومختاراتهم الجياد ، وروائع فحولهم ، من امثال ابي تمام ، والمتنبي ، والذين ساروا على منهجهم الى عصرنا كالبارودي وشوقي وحافظ .

2 ــ كما نادى بتشجيع الاذواق ، وبالتمكن من اللغة وفهمها والمحافظة عليها .

3 ــ وبجوهرية عنصر الموسيقى في الشعر ، معلنا التزامه بالوزن العمودي الخليلي .

وفي قصيدته الطويلة الجميلة « اناشيد ذلفاء » يتحدث الشاعر عن طفولته في موطنه « كسلا » حديثا شيقا جميلا عذبا ، ويصف الطبيعة والحياة هناك وصفا شاعريا مؤثرا ، يقول :

فاذكر أيامك الاولى اذ العيش رخاء
والحيا في « كسلا » خصب واهلوك سواء
وعلى الآفاق اعصار وقد غام الفضاء
ومن السقف لصوت الرعد في العين هباء
ومن الخضرة حول البيت الارض كساء
وعزاء القلب ذلفاء وما منها عزاء
وقديما يعشق الحسن العزيز الشعراء

ويتذكر اباه وحبه له وآماله الواسعة العراض فيه ، فيقول :

وتذكرت ابي كان ابي ضوء قبيلة
ولقد امل ان ابلغ غايات جليلة
والمنايا تجعل الحازم والدنيا بخيلة
حصك اذ اعجبه منك المخيلة

وفي قصيدة « الشعر والنقاد » يذكر الشاعر جوانب من طفولته وحياته ، فيقول :

تذكرت ايام الطفولة حينما
يعلق بي آماله الغر والدي

وكان ابي ياعطر الله ذكره
فريدا وبين الناس جم المحامد

يعلمني علم المروءة ناشئا
وفي قلبه حبي وعرفان واعدي

وكنت صغيرا جاهلا غير آبه
لما خبأته من صروف مشاهدي

فأيقظني مر السنين وذادني
عن الورد من كاس الحداثة ذائدي

وقصيدته « في كسلا » تصوير جميل لمظاهر حياته فيها اذ هو صبي صغير .

والديوان مملوء بصور حياة الشاعر في شتى مراحل عمره ، وهي صور كلها مشتقة من البيئة — والاسرة والامل والالم والطبيعة الحالمة في اودية النيل المعشوشبة الجميلات .

وقلب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب ومشاعره وروحه ثرية بحب الجمال والهيام به والتصوف فيه.

ولعل من أسباب تعلقه به : حياته الاولى نفسها في كسلا ثم في الخرطوم ، حيث مشاهد الحياة والطبيعة والمرأة تثري القلب والعاطفة والوجدان ، ثم حياته في لندن طلبا للعلم فترة ليست بالقصيرة ، وهذه الفترة يذكرها الشاعر بكل أعماق مشاعره ، يقول من قصيدته « اناشيد ذلفاء » :

ولقد تذكرت من « لندن » اياما جميلة
وفتاة زودتنا وصلها عند الخميلة
وتفارقنا فعين الصب بالدمع كحيلة
والتي هام بها القلب مفداة نبيلة

وفي قصيدته « لندن وباريس » يصف حياته في انجلترا ، ويقول :

وكنت بها قد قضيت الشباب
الى العلم في سوحها اختلف

تعلمت فيها علوم الحياة
ومن ثمرات الحجا اقتطف

وشاركت في حلقات النقاش
واقرأ كل ضروب الصحف

كما يصف حبه في قصيدته « صهباء لميس » ومنها يقول :

هل تذكري أخي ايام لندرة
اذ لذة العيش وثب والهوى درج

الى آخر هذه الابيات .

وبالوفاء يذكر ايامه اللندنيات الجميلات ، كلما واتته الذكريات .

وليست حياته وذكرياته في لندن من اسباب هيامه بالجمال وحدها فقد طاف الشاعر العالم شرقا وغربا ، فهو حينا في ابادان ، وحينا في طشقند ، وحينا في بغداد ، وحينا في مصر وآخر في الحجاز او الرباط ، ويوما في يوغسلافيا ، وآخر في اليونان الخ ، ومن شأن هذه الرحلات الدائمة ان تثري العواطف والمشاعر بكل الوان الجمال ومشاهده :

اقلب نفسي بين البـــــلاد
تقلبني الغربـة الكادحــــــة

كذا استمر ولا استقـــــر
على الموج كاللوحة الطافحة

ويذكر طوافه في العالم في قصيدته «الحبيب يزار»

ويقول الشاعر الدكتور عبد الله الطيب :

واني لمغرى بالجمال وانـــي
لعمرك قد خلدته عند خالـد

ويقول حيث يمتزج الحب عنده بالتصوف والايمـان العميق او بالشاعرية الموهوبة ، والبيان الثري :

وأوتيت مقدرة في البيـــان
وتبهـر بالادب الرائـــــع

وانت امرؤ عربي السليقـــة
تصفو بوردك للكـــــارع

وتهوى الجمال وتبغي الكمال
ونخبة بالورع الخاشـــع

وتتلو الكتاب وترجو الثـواب
وليس دعـاؤك بالمنائــــع

وطاع الي القريض العصـــي
الذي ما لغيري بالطائـــع

وابيات شعري رناتهـــــا
كصلصلة الجـرس القـــارع

والحب عنده اقوى سلاح في يد الشاعر يحارب به حتى أعداءه ، كما يقول في ديوانه :

غرد بحبك يا متيم غــــــرد
وعلى عدوك سيف حبك جرد

فالحب اقوى ما تقاتلهم بـــه
اذ لا تبالي بالجموع الحشـد

والحب عنده اقوى من اللذة ، واسمـــى مـــن الجنس ، يقـــول :

فمن ظن ان الحب بادرة الهوى
من الجنس فليعلم بأن ليس ذا حبي

وقد ورث الشاعر حب الجمال عن ابيه حيث يقـــــول :

وابي كان عاشقا مثل عشقـــ
ـــها ، ويلفى صداه في مزماري

ونظمت القريض بالالق الخا
لص فيه الضياء مـن أنواري

ولدي الشعاع من عالم النـــ
ـــور ، ونفسي بعيدة الاقطـــار

حبذا يا « لميس » واهـــوا
ك وقد لاح في دجاك منـاري

والتي تيمتـك يا ايها الشـــا
عر حورية من الاغــــــوار

واحب الانام طـرا الى قلــ
ـــبي وما كان حبها من عـار

وكان المنطق ان يقول : « وقد لاح في دجاي منارها » فلماذا عكس الشاعر هل يتغزل بنفسه امام حبيبته لميس ؟ او هل هي ضرورة الشعر ؟ لا اعرف سببا لذلك ، فغزل الشاعر بنفسه امام محبوبته مما لا يرضي عنه العشاق والمحافظون على تقاليد الحب وآدابه ، والشاعر نفسه يقول من هـــذه القصيـــدة نفسهــــا :

وتحب الثناء ذات الفراشـــا
ت ، وتهوى الى هواها اعتذاري

والشاعر يحيط الجمال دائما بتقديره واجلاله فيراه حربة ، ويقول :

والحسن حربة وانـت بـــه
فاتنة للقلوب مفتونــــــة

والنبع الاول والاكبر لشاعرية شاعرنا الطيب هـــو الحـــب ، يقـــول :

قبا أحباء فـؤادي بكــــــم
اشدو والحاني ملء الزمـــن

بل يقول معبرا عن هـذه الحقيقـة :

وقد تعلمين باني لحبك سـد
ت فكل فتى مادحـي

وحبك فتق فى البيـان
واورى بزنـدي للقـادح

اجل حبك اهوى بـلادي
على عنت الحاسد الكاشـح

وفى الحب كان له شغل شاغل عن كل شـيء حتى عن السياسة وما اليها يقول :

ولقد وقفت اراقب الاحداث والـ
احداث لا تألو الـى فنونـا

ولقد نسيت من السياسة حولنا
اعصارها وجحيمهـا الملعونـا

والقيب اسرار ونور حبيبتـي
يمحو الظلام ويبرز المكنونـا

ويرى الشاعر ان الحب هو اقوى حقيقـة من حقائق الحياة ، فيقول :

تحملين الاعباء مثلي من الحـب
وكان الغرام اقوى حقيقـة

وهو السعادة الكاملة التي اهتدت اليها نفسـه وروحه ؛ ومنه كان الشعر والبيان والبلاغة التي عرفها الناس فى شعر الشاعر ، فيقول فى موقف لقاء وتسليم :

وقد عرفت نفسي السعادة حينما
تهلل بالتسليم كف وساعـد

وحن اليها طائر النفس انهـا
هي الدوحة الخضراء والظل بـارد

وعيناك مصباح منيـر وعالـم
كبير وانسانـي بعينيك ماجـد

الم تجدي أني اشتهيتك فوق مـا
يكون اشتهاء الجنس والجنس مارد

تعالى الى مأواك لي وتأملـي
بيانك عندي ان شعري خالـد

ويقول كذلك يصف سعادتـه فى الحـب :

وابصرت اقبال السعادة حينمـا
رأيتك يا ليلى وهـب نسيمـي

بل ان الشعر عنده عزاء عن الحب ، فيقول :

طالما غنيت يا شـا عر والشعر عـزاء

ومن هنا كان مزجه بين الشعر والحب ، وبين الجمال والعبقرية حيث يقول :

وهي الجميلة لا نظيـر لحسنهـا
ابدا ، وهذا الجيل أنت اديبـة

والشاعر يعجب كيف مزج فى حياته بين الحب والتصوف ، فيقول :

الا ليت شعري أي عفريت جنـة
اتاحك هذا الحب يابن المساجـد

وانك ذو قلب تضمن ثـورة
على كل شيء فيه تامور مـارد

تكبله هذي القيود ولم يـزل
يحطمها بالعبقـري المجالـد

واشراق نفسي بالبيـان كانـه
على لبة الحسنـاء در القلائـد

والشعور بالعظمة عند الشاعر يقترن بالحب ، ويأتي فى احاديثه عن الهوى والجمال ، يقول الشاعر متحدثا عن حبيبتـه :

قالت ارى انك العظيـم واخـ
ـشى الناس ان يجعلوك مفتونـا

وانت فخر البلاد والقائد الفكـ
ـر ومن ذخـره سيفنينـا

ويقول كذلك ينقل الينا حديث حبيبته له :

والغناء الرخيم فى شعرك الخا
لد من وحي ربك القهار

ويتصور الشاعر انه بفكره وشعره قد ملك عرش الحياة ، ولبس تاج المجد :

ولي تاج أراه يضيء لما
كسا الآفاق اظلام الليالي

وانت عميق غور الفكر ماض
على سنن العباقرة الاوالي

وليس للشاعر عن الحب من مفر ، يقول :

الحب يا صاح امره قدر
من قدر الله والنهى قسم

— 3 —

والشاعر الدكتور عبد الله الطيب فى حديثه الى حبيبته يسترسل فى قص ذكريات حبه العذاب ، ووصف مشاعره المفعمة بالسعادة فى الحب ، كل ذلك فى عذرية بريئة ، وخيال شائق ، وبساطة حلوة، وتنقل بين مشاهد الطبيعة ومفاتنها ، يقول فيما يقول:

صديقة قلبي وراحة نفسي
ومتعة روحي والمرتعا

وتفسح عمري حتى الزمان
يصير باشراقها اوسعا

وحتى نكون معا واحدا
بشخصين هاما ولن يفزعا

الا حبذا جلسات لنا
مهذبة كوبها شعشعا

فان كنت تجهل امر الهوى
فعندي اسراره اجمعا

تعالى اعلمكه انني
تيقنته وسواى ادعى

وحول ان الحب يفسح عمر الشاعر يقول ايضا فى عذرية صادقة :

واشرقت الدنيا بنور أديمها
وعيشي بها رحب وعمري افسح

وهي حقيقة نفسية واضحة ، فشعور الانسان بالسعادة فى الحب مما يطيل فى حياته ، ويبعد عنه الآلام والاسقام ..

وليس هناك من وصف أجمل من هذا الوصف الذي يصور فيه الشاعر الدكتور عبد الله الطيب حبيبته ، اذ يقول :

وابصرتها فى النيل وهي عبابه
وامواجه والريح تهدر هدرها

وابصرتها قمراء ليل ترقعت
والبست الدنيا سناها وفخرها

ويقول ايضا :

حبذا انت والجمال كساء
الله والحب عصمة ووقار

أو يقول :

لها بشر الياقوت والدر جلدها
صفاء وكانت تفضح الناس والكتبا

ويناجي حبيبته فى همس وسكون وخشوع فيقول :

أنا يا ذات القراشا
ت احاديث حسان

جيدك الناعم الحب
امان وآمان

أو يقول فى وصف جمال خدها وتورده :

تورد خدها فأضاء فيها
ربيع كان قيل له ذهاب

— 4 —

وتتعدد المواقف والمشاهد ، وتكثر الصور والمناظر فى شعر الدكتور الطيب وهو يتحدث الى محبوباته ، وهن كثيرات ، وكانه كما كان يقول عمر ابن ابي ربيعة : « اني امرؤ مولع بالجمال اتبعه حيثما كان » .

وفى اغلب ظني ان الشاعر الدكتور الطيب يكني بتلك الاسماء الكثيرات عن حقيقة واحدة هي محبوبته التي يشيد بها فى كل قصائده .

واقرب الى خلدي ان ندرجه فى سلك الشعراء العذريين الذين يهيمون بالجمال من حيث هو الجمال، لا من حيث لذات الجسد ، ومتعة الجسم ، ولتقرا قصيدته « زودينا » فسترى الشاعر محبا صادق الحب ، خالص الهوى ، عذري النزعة ، بعيدا عن اللهو والعبث واللذة ، ويقول الشاعر من هذه القصيدة :

زودينا تحية يا سعاد
والمني فان قربك زاد

واعلمي اننا على العهد باقو
ن ولا زال شوقنا يزداد

ولنا الذوق والتجلي وفينا
ما حبته اباؤنا الاوراد

ومرنا على الصيام عن الشهـ
ـوة حتى كاننا زهاد

وعرفنا معنى الفناء الذي لا
تطلب الوصل عنده الاجساد

وعشقنا العشق العظيم الذي تع
جز عن درك كنهه العباد

ما نسيناك قد رايناك يا ليـ
ـلى ولا زال منك يصبو الفؤاد

لا تضني بالقرب يا أم حسا
ن كلانا الى اخيه مراد

انت حقا جميلة ومحيا
ك مضيء وعندك الاسعاد

ففي هذه القصيدة تلمس عذرية الحب وصفوية الهوى عند الشاعر ، فهو قانع بالتحية ، طالب للزيارة، مقيم على العهد ، شوقه فى ازدياد ، وهو يعيش وكانه من الزهاد ، يعرف الفناء فى الحب ، الفناء الذي لا تطلب الاجساد عنده وصلا ، وعشقه عشق عظيم ، حتى العباد لا تدرك كنهه ؛ وهو لم ينس محبوبته ، ولا يزال فؤاده يصبو اليها ويشتاق لها . وهو يخاطبها فى توسل طاهر ان لا تبخل عليه بالوصال ، انها جميلة حقا ، محياها مضيء ، ولديها الاسعاد .. الى غير ذلك من المعاني الثرية النبيلة التي يصورها الشاعر فى قصيدته .

وهو يشمل بحبه كل شيء : الوطن — الاهل — الديار — النيل ..

فى مصر لست غريبا اذ اكون بها
لي الصديق وانس كان كالسراج

ما اشرف النيل من واد واترفه
وردا لصاد ، واشهاه لمحتاج

ومصر عنده هي وطنه ايضا ، ولها الهوى والحب والهيام .

ووقفت عند (سمير ميس) ارى لكم
طيفا ، وابصر جيزة ونخيلا

والشاعر الدكتور الطيب من مدرسة الكلاسيكيين الجدد ، امثال عزيز اباظة والشابي وعلي محمود طه، ومن اليهم ، وهو يرى الشعر تجويدا وتهذيبا يقول :

والشعر انظر فى تجويد أشطره
للناقدين ، اذ التجويد من همي

ويقول ايضا :

وقد نظمت قريض الشعر ، احسنه
والدهر يعجب من صوتي وانصاحي

وهو يصوغ قوافيه نبيلة محكمة ؛ حيث يقول فيها :

يا رب نصرك فانصرني والك ان
لا تنتصر لي فمن فصحاك يحميها

ومن يفسر آيات الكتاب وبالاعـ
ـراب معجزة القرآن يرويهـا

وهو بثقافته الواسعة يسير في ميدان القريض مجـودا ومجـددا :

واعاجيـب علـوم وفنـون حويـت

وصنوفـا من حديـث حسن الجرس وعيـت

وهو ينوه بمواهبه في شعره فيقول :

وجربت ريب صروف الزمان
وقد ذهب الاخ والوالـد

واقبلت تبغي سبيل المروءة
يا صاح اذ سوقهـا كاسـد

حفاظا كريما وكان الحفـاظ
عندك من ارثـه الخالـد

واحسب ان جميع الحيـاة
سراب وانـت لـه وارد

ولا ادري ما اعراب « الخالد » هل هي مرفوعة او مجرورة ولعل الشاعر استجاز هنا الاقـواء على انه معيب او ضرورة .

ويؤكد الشاعر ان الشعر كان ميراثه عن والده فيقـول :

ولقد ورثت ابي وكان مجودا
نظم القريض وبيته معمـور

ويقـول ايضـا :

ولقد ذكرت ابي وكان مجودا
نظم القريض وبدع الابداعـا

وللمتنبي نصيب كبير من تأثره وتأثيره الفنـي والفكري في شعر شاعرنا د. الطيب فوراه يقول كما قال ابو الطيب :

وجربت هذا الناس حتى سئمتهم
وصابرتهم حتى سئمت مخارجي

ويقـول ايضـا :

وجربت اصناف هذا الانـام
وكم كان فيهم لك ، الحاسد

وهو يصرح بالاخذ عن المتنبي والرجوع اليه ، حتى ليقول له في احدى قصائده :

وقال ابو الطيب العبقري ان الهوى كله فاسد

واثنان من المفكرين الادباء تأثر بهما شاعرنـا د. الطيب : واحد في القديم هو ابو عثمان الجاحـظ الذي يذكره في قصائده ، حتى تجده يقول في بعضها:

وقال ابو عثمان قد يذهب الهـوى
وتبقى صدوع منه هيهـات رأبهـا

والآخر من المحدثين وهو الدكتور طه حسين ، الذي يقول فيه الشاعر :

وغرست الغرس الكريم من المجـ
ـد وللدهر حوله أعصـار

وسميت المسعى الذي أعجز الطا
لـب ان الاصالة المضمـار

ورأيت الرؤيا التي عميت عنها
القلوب الغـلاظ والابصـار

وللشاعر قصيدة غزلية عنوانها « فكر طـه » يقـول منهـا :

وهشى الينا فكر طه برايـه
ومنه خلاصات السنين نفادها

بل لقد كتب قصيدة في رثاء طه تعد من اجود شعره ، ويقول فيها :

شغفنا به في زمان الصبـا
وذقنا التذوق من عذبـه

قرانا تصانيفه واستفدتـا
بعب السلافة من شربـه

ونحن بها من تلاميــــــــذه
وأي أولى الفضل لم تسبه

واحزتنى الناس لما نعــوه
الي ، ومجدي من سببــــه

ومع ذلك كله فالشاعر يتأثر الشعراء القدمـاء ويحتذ بهم ، فنجد بعض قصائده تذهب مذاهب قصائد قديمة ، فقصيدته « رقة وشكاية » هي مثلا « نواسية » المذهب ، ومطلعها :

لعل الفتاة المشتهاة تــزور
واني الى معروفها لفقيــــر

وان لها وجها عليـه نضـارة
وفى طرفها طير الحياة اسير

وفى الشفتين رقة وشكايـة
اليك واعياء معا وجــــود

فهي على نهج رائية ابي نواس فى مدح الخصيب والتي يقول فيهـا :

أجارة بيتنا ابوك غيــــور
وميسور ما يرجى لديك عسير

ومن ثم حسب بعض الدارسين ان نهج الشاعر الدكتور عبد الله الطيب نهج قديم ، والشاعر يذكر ذلك ويرد عليه فى قصيدته الخيال الشعوبي فيقول :

الا ان ــ لا تنظم « الا ان » ــ انهم
يقولون هذا الشعر نهج قديـم

وقد ملكتنا الادعيـاء وسلطـت
صنوف دعى بيننـا وزنيــــم

والحقيقة أن الشاعر الدكتور عبد الله الطيب يملك الى جانب ما يملك من مواهب وعبقرية شاعرية ثرة ، وفكرا رائعا ، وخيالا خصبا ، ومقدرة لغوية فائقة الحد ، رفيعة المستوى ، لا يملكها احــد من شعراء اليوم ، وهو بحياته مع التراث واشاراته اليه فى شعره كثيرا ، يرمي بأن نهجه نهج قديم ، وما اروع النهج القديم اذا تحلى بالاصالة والشخصيــة والعبقرية ؛ وليس الشاعر الدكتور الطيب الا واحدا من هؤلاء الشعراء من مدرسة الكلاسيكيين الجــدد الذين اثروا نهضة الشعر بكل جديد ورائع وعجيب ، مع محافظتهم على الاصول اللغوية الموروثة .

وعبد الله الطيب يعيش بعبقريته فى غربــة ، ويقــول :

أن العبقري غريــــب دار
وان تبصره فى اهل ومـــال

وهو معتد بنفسه كل الاعتداد حتى ليقول :

ولك السفلة والدون من الناس فداء

ويصور عقلية الجماهير فيقول :

وسواء لدى الجماهير لو تعـ
ــلم اهل الصلاح والفجـار

ويعلن ثورته على الانتهازيين فيقول :

وقد ضقت ذرعا بهذا العنـاء
وقطنت نفسي على الواقـع

وذقت الامرين حتى دريـــت
بتجربة الألم الناقــــــع

واحمل نفسي على المكرمات
وبارب ذي رحم قاطعــــي

ويقــول ايضــا :

وقد ضقت ذرعا بهذا النفـ
ق والمين والكذب الشائـع

وافك انتهازية قد طغـــت
على كل شيء بــــلا وازع

ويقـــــول :

الم ترني قد سهرت الدجـى
ومن حولي السام المجـدب

ويعلن تمرده على بعض الناس فيقول ويعرض للحديث عن الطبيعة فى السودان وجوه الحار :

الم تر طول اليوم والحر زاده
عناء وابصرت الوجوه به جربا

ثم ينعي على الجامدين جمودهم فيقـــول :

وقد نفست لين المعيشة عندنا
وحرية التفكير اهل جمـــــود

ويقـــول ايضـــا :

ايمنعني حرية القول فاجـــر
بلى ان ركني للنضال منـــع

## — 6 —

وبعد فان ديوان « اغاني الاصيل » للشاعـــر الدكتور عبد الله الطيب جدير بالدراسة والتامـــل ، فهو كله أو جله شعر فى الحب والجمال ، والشاعر يكتب قصيدة الحب ، ويتخذ منها وسيلة للحديث عن حياته وذكرياته ، وآرائه فيجيد كل الاجادة . . وفى هذا الديوان ثلاث ظواهر فنية تتصل بالاسلوب .

الاولى : التقديم فى الجملة وبخاصة تقديم المفعـــول من مثـــل قولـــه :

وشهـــدا من الهوى نشتـــار
وكنا لك الغـــرام نســـــر
والبـــذل تعطينــــــــا

وان لي من غضبي مدية
فى الروح اعدائي بها اقتل

وكتـــاب الله اتلـــــو
اذا الخطـــب تـــــزل

والثانية : كثرة اضافة المصدر الى ضمير الفاعل او المفعول ، مثل : كراهيتهم ــ هواناها ــ وربكم ــ اكرامك ــ حبك الخ .

والثالثة : وهي ظاهرة فنية واضحة فى شعر الشاعر كل الوضوح ، وهي كثرة التشبيهـــات وجودتها حتى ليكاد الشاعر ينافس أمراء التشبيه فى الشعر العربي من أمثـــال امرىء القيس وذي الرمة وابن المعتز ، واغلب هذه التشبيهات أو كلها فى شعر الحب والجمال من مثل :

وفى شفتيك التمر والخمر والعسل

او قولـــــه :

كأن محياها صباح وروضـــه
ودليل بآفاق السماوات مقمر

او قولـــــه :

وجيد « لميس » مثل تمثال معبـد
اذا التفتت بالجيد جل المصـــور

او قولـــــه :

وما ارسلت ليلى الي بمرسل
ولكنها جاءت تضيء الدياجرا

او قولـــــه :

انك ريحانـــة وترجيـــــــة
وتينة لا تشبه التينـــــــــا

انك زيتونـــة منـــــورة
من قبس الله ليس زيتونـــا

أو قولـــــه :
انت مثل اقبال الغمامة بالحيا ــ الا مقلتاك‌هما الكوثر ــ وثغر المليحة كالسكر ــ جميلة كحسام السيف ــ مثل بركان ــ وهي التبر والبلور .

او قولـــــه :

ولا يمل حديث منك يسكرني
وانت وجهك يا حسناء كالعيد

او قولـــــه :

اني احبك يا لميس محبـــة
مثل الخريف بكردفان المعشب

ومن تشبيهاته القريبة كذلك قوله :

رب تاج ابهى من العاج فى اللو
ن ومثل السراج والتينـــــة

ويأخذ احيانا تشبيهاته من البيئة فيبعد عـــن جزالة العربية ، مثل قوله :

وهي الارز الرشيد بسمن وعســـل

وقولـــــــه :

خضراء كالرجلة النضيرة فى الرمل
لــلالاء وجهها ضــــــــــرم

وقولـــــــه :

لدن كـان غضــا كالبقول شبابكـم

واكتناز البيت بالمعاني ، واستئناف الجملة الوصفية عن موصوفها ، والخيال المحلق ، الـــذي يتعلق بخيال القدماء من الشعراء ، والاسلوب الجزل. كل ذلك بعض خصائص اسلوب الشاعر الدكتور عبد الله الطيب فى ديوانه الجديد « اغاني الاصيل » .

وبعد فان ديوان « اغاني الاصيل » يضعنا امام شاعر عملاق ، وامام شاعرية ، تتسم بالاصالـــة . والموهبة الفائقة والشخصية الواضحة .. بل انـــه يضعنا امام أسلوب « المتنبي » وجها لوجه .

انه ديوان شاعر الحب والجمال .. يفد الينـا من الخرطوم على جناح الفكر والسحر والخيال .

**د. محمد عبد المنعم خفاجى**




10 — ان اللغة عصب وجود الانســـــان ، ووجودها معاصر لوجوده . اللغة هى التى تصهــــر الاقوام ، وتسبل عليهم رداء التفاهم الذهنى ، وترسل فيهم نوعا من التجاوب الروحى ، فيبيت بعضهم مــن بعض بمكان الكليتين من الطحال ، ولولاها لتفرقــوا طرائق ، ولتمزقوا حزائق ، ولذلك كان من صفـات الرسل المبلغين لرسالات السماء الا يكونوا بكما أو خرسا ، وان يتكلموا بلسان قومهم ليبينوا لهم ، ويتلقوا عنهم بسهولة ، ويفهموا عنهم بسرعة ، يتمثلوا مضمون ما اوحى الله به ، حتى لا يكون بعد ذلك حجة لا على الله ولا على الرسل المبلغين ، ولو أن رسولا بعث فى قوم ليس منهم ، او لا يتكلم لغتهم لكان ذلك احالـــة وتكليفا للاشياء ضد طباعها . ولو اتخذ لنفسه ترجمانا لكان عمله ناقصا متبسرا ، كالتمر اذا لون ولم ينضج لان الترجمة تتضاعف عند التعدد فى الافراد والجماعات والقبائل ، اذ لابد لكل طائفة — ونص الوحى واحد — من معرفة توافق الكل حذو القذة بالقذة (1) من غير مخالفة ولو فى خصلة واحدة ، لابد لها من العــرف الاجتماعى لمعانى الكلمات ، ومن الاطراد فى مخارج الحروف مثلا ، و « مما لا سبيل للشبهة فيـــــه ، أن الشخص الذى يحل بين اقوام ويجهل لغتهم ، يبقـــى منفردا عن جماعتهم غير معدود فى زمرتهم ، وتتوعر أمامه الطرق الموصلة الى انخراطه فى سلوكهم، وتبادل المنافع معهم ، فاذا تعلم من لسانهم ما يطلع به على آدابهم وعوائدهم ومعارفهم ، انعقدت بينه وبينهـــم صلة التعارف والمعاشرة ، وأصبح عضوا متصـــلا بهم ، عاملا فى هياة مجتمعهم ، هذا ينشأ عن مجــرد حفظ اللغة ، فاذا أدرك من تلك اللغة فصاحة ورونقا، ورأى تلك الاداب والعوائد والمعارف قائمة علـــى اساس الحكمة ، واستحسان العقل الصحيح ، ترقى فوق ذلك الى مكان التقرب منهم بفؤاده ، والتحم معهم بجامع التحابب التحام الانامل بالراحة (2) .

وربما ينتقل الانسان الى بلد لا يعرف لغة اهله فيوقعه سوء التفاهم مع اولى القوة منها فى خطر لا يجد للخلاص منه طريقا . روى ان زيد بن عبد الله بن دارم الحجازى ، دخل على ملك حمير فى مدينة ظفار ، وهو جالس على مكان مرتفع ، فقال له الملك : ثب ، اى اجلس فى لسان حمير ، ومعناها فى لسان اهـــل الحجاز : اقفز ، ففهمها الاعرابى على مقتضى لغتـــه وقفز فتكسر واندقت رجلاه ، فسال الملك عنه فاخبر بلغة اهل الحجاز فقال : ليس عندنا عربيت ، من دخل

---

(1) القذة ، بضم القاف وتشديد الذال المعجمة مفتوحة ، ج قذذ وقذاذ : ريش السهم ، وفى الحديث : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » ، يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

(2) دراسات فى العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين ، ص.88 — المكتب الاسلامى — دار الفتح — دمشق . ط. 2 — 1380 — 1976 .

ظفار حمر ، وفي رواية اما علم ان من دخل ظفار حمر ، اى تعلم اللغة الحميرية » (3) .

سقت هذه الحكاية لادل على ان اللغة مجتمعا وبيئة وطرق استعمال ، ولا يكفي للمفردات ان تتحد صوتيا لتتحد معنويا ، واسوق بعد ذلك مستملحتين قد يرى فيهما عموم الناس مجرد تنكيت واضحاك ، مع ان الباحث اللغوي ، وان اضحكتاه ، فانه يسري فيهما اثر اللغة المطلق في رمزها الى نشاط المجتمع :

المستملحة الاولى : قيل ان امام مسجد مسلم لكنه غير عربي ، دخل بعض المساجد ، واخذ يحدث الناس في شؤون الصلاة ، وشروطها ، وما تتطلب من خشوع ، وتذكر للحضرة الالهية ، وانها لا تكون صلاة حقا الا بحضور قلب المصلي ، وكان هذا الامام لا يحسن نطق « القاف » كما ينبغي في عرفنا الصوتي وكان المستمعون قليلي الذكاء . واتفق ان قال ذلك الامام : لا تجوز الصلاة الا بحضور القلب بنطق « القاف » « كاف » من « القلب » ولم يكن من المصلين الخاشعين هؤلاء الا ان احضروا كلبا ضخما الى مسجدهم ! فلما راى امامهم ذلك استغربه وساورته الدهشة فاستفهمهم فقيل له : انت اشرت علينا بهذا فرفض وانكر ! وادركوا في النهاية ان المقصود هو القلب ، تلك المضغة التي اذا صلحت صلح الجسم كله ، واذا فسدت فسد الجسم كله .

المستملحة الثانية : حكى لي بعض العامة ان سائقا لشاحنة لنقل البضائع فرنسيا ، كان قد اتخذ لنفسه مساعدا عربيا ، واراد السائق مرة ان يسير بشاحنته نحو الوراء ونزل مساعده ليعينه على ذلك ، واخذ يقول بالفرنسية

أى الى الوراء ... الى الوراء ، فما لبث ان اقترب بشاحنته الى هوة سحيقة ، فاخذ المساعد ينادي « آناري ! آناري ! » كمن يستغيث ، او كمن شل عقله لهول المصاب فاشتبه اللفظ العربي باللفظ الفرنسي صوتيا ، وما عتم ان وقع السائق وشاحنته في الهوة!

ولو جعل الله القرآن اعجميا وبلغة غير لغة العرب لقالوا لولا فصلت آياته وبينت بلغتنا ، فاننا عرب لا نفهم الاعجمية ، بل ولو تم ذلك لقالوا اقرآن اعجمي ونبي عربي ؟!

ولو انزل الله القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم لما آمنوا ولازدادوا عتوا وعنادا ، ولقالوا : لانفقه مثل هذا اللسان : « الر ، كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، الله الذي له ما في السموات وما في الارض . وويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة . ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، اولئك في ضلال بعيد . وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم » (4) . « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . وانه لفي زبر الاولين . او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ، ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين . كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ، لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون ، فيقولوا هل نحن منظرون » (5) . « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز ، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، ما يقال

---

3) المرجع السابق ص. 118 . وظفار مدينة في اليمن القديمة ، كانت عاصمة الامبراطورية الحميرية ، وكانت محطة خطيرة لتجارة البخور ، ذكرها الرحالة العرب والرواد الافرنج . واللغة الحميرية من اللغات السامية ، وحمير يعود نسبها الى قحطان ابي قبائل اليمن العربية ، وقد تفرعت من حمير بطون هي شيبان ،وقضاعة ، وجهينة ، وبلى ، وكلب ، وبهراء ، وتنوخ ، ومهرة ، وجرم . وقوله : « ليس عندنا عربيت » هو بناء مبسوطة ساكنة وقفا ، احتفاظا بالاصل في ظاهرة التانيث ، ومن ذلك قول بعضهم : « يا اهل سورة البقرت » ، فقال مجيب : « ما احفظ منها ولا آيت » وقول الراجز :

الله انجاك بكفي مسلمت    من بعد ما وبعد ما وبعدمت
كادت نفوس القوم عند الغلصمت    وكانت الحرة ان تدعى امت

وبعض العرب يجرى الوصل مجرى الوقف ، فيقول في الوقف : هذا طلحت ، وعليك السلام والرحمت . واكثر من وقف بالتاء بسكنها ولو كانت منونة منصوبة . وعلى هذه اللغة بما كتب في المصحف : « ان شجرت الزقوم » ، وامرات نوح وامرات لوط » واشباه ذلك ، فوقف عليها بالتاء نافع وابن عامر وعاصم وحمزة ، ووقف عليها بالهاء ابن كثير ، وابو عمرو والكسائي على لات بالهاء ، ووقف الباقون بالتاء ، والى هذا النوع من الوقف يشير ابن مالك :

في الوقف تا تانيث الاسم ها جعل    ان لم يكن بساكن صح وصل
وقل ذا في جمع تصحيح وما    ضاهى وغير ذين بالعكس انتمى

4) سورة ابراهيم ، الآيات 1 — 4 .
5) سورة الشعراء ، الآيات 192 — 203

لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ، ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ، ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، ا اعجمي وعربي ؟ ! قل هو الذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد » (5).

فافتراضات المشركين خابت ، وتساؤلاتهم الساخرة ردت عليهم ، فلم يحدث شيء مما كانوا يفترضونه ، لتتقرر بذلك معنى اعجاز القرآن ؟ اذ هم — وهم عرب — اعلم الناس بأنواع الكلام نظما ونثرا، واذا عجزوا عن معارضته كان من ادل الدليل على انه من عند الله ، وذلك لما فيه من « كثرة التصرف ، وسلامة القول في ذلك كله من التعسف ، وخروجه عن التعمق والتشدق ، وبعده من التعمل والتكلف ، والالفاظ المفردة ، والابداع في الحروف والادوات ، كالابداع في المعاني والكلمات ، والبسط والقبض ، والبناء والنقض ، والاختصار والشرح ، والتشبيه والوصف » (6) . « وانما يعرف اعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ، في حسنه وبراعته ، وسلاسته ونصاعته ، وكمال معانيه ، وصفاء الفاظه ، وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ، والقارىء المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار اليه في حسن مناظرته ، وتمام آلته في مجادلته ، وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب والقرشي الصريح الا يعرف اعجاز كتاب الله تعالى الا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، او ان يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي » (7) . والقارىء الذواقة والاديب الاريب والعالم اللبيب ، يتبين في كل ما تصرف فيه القرآن من الانواع «انه على سمت شريف، ومرقب منيف ، يبهر اذا أخذ في النوع الربي ، والامر الشرعي والكلام الالهي ، الدال على انه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت ، وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة واحكام ، واحتجاج وتقرير ، واستشهاد وتقريع ، واعذار وانذار ، وتبشير وتحذير ، وتنبيه وتلويح ، واشباع وتصريح ، واشارة ودلالة ، وتعليم اخلاق زكية ، واسباب رضية ، وسياسات جامعة ، ومواعظ نافعة ، وأوامر صادعة ، وقصص مفيدة ، وثناء على الله عز وجل بما هو اهله ، واوصاف كما يستحقه ، وتمجيد كما يستوجبه ، واخبار عن كائنات في التالي صدقت ، وأحاديث عن المؤتنف تحققت ، ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش ، واباحة الطيبات ، وتحريم المضار والخبائث ، وحث على الجميل والاحسان »(8) فلله المنة والعزة ، اذ جعل القرآن تبصرة لاولي الالباب ، واودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب ، وجعله اجل الكتب قدرا ، واغزرها علما ، واعذبها نظما ، وابلغها في الخطاب ؟

11 — اللغة اداة الشعراء والعلماء ، ورسالة الشعر هي ان تكشف عن قيمة هذا العالم الذي نعيش فيه ، عالم تجربة الانسان الحي ، والشعر يعيش في لغته ولا يمكن فصله عن الفاظه الاصيلة التي يكتب بها ، فتلك هي طبيعة الشعر واكسيره ، وما اثر الشعر الذي يتمثل في صعوده وهبوطه وامتداده ، فينعكس ذلك على النفوس ، وما انشراح الصدور بالعفو ، وتناسي الاحن ، ونبذ الضغائن ، وترك اكلة الاكباد ، والندم والتوبة ، والرجوع الى الحق ولو كان مرا ، الا بفضل الوقع الذي تخلفه النصوص الفاعلة فعلها في احاسيس الناس ودخائلهم ومشاعرهم ، وهل عفا الرسول عن كعب بن زهير ، وكان قد هجا النبي والاسلام فاهدر دمه ، الا بفضل قصيدة « بانت سعاد» التي انشدها في مسجد المدينة ؟ والا بفضل الاثر الذي تركته هذه القصيدة في نفس الرسول ؟ وهل عفا عمر عن الحطيئة بعد أن حبسه لصريح هجائه الا بتأثر الاول لشعر الثاني ، فقد كان عمر يبغض صريح الهجاء ويستنكره ، وقد حبس فيه الحطيئة لما لم يجد بدا من عقوبته ، ولكنه كان يتأثر بالشعر اذا استعطف به ، وقد كان الحطيئة حين استعطفه ليطلق سراحه أعلم الناس بأخلاق الفاروق ، فجاء أولا من ناحية بنيه الصغار وما يلاقون من جوع وشظف بعد حبس أبيهم، ثم لما هم بمدحه لم يجاوز الحد ولم يقل الا حقا :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

---

5) سورة فصلت ، الآيات 41 — 44 .
6) اعجاز القرآن لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، ص 301 — تحقيق السيد أحمد صقر — دار المعارف 1963 .
7) كتاب الصناعتين ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . ص. 7 — 8 — ، تحقيق محمد على البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم — عيسى البابي الحلبي وشركاه
8) اعجاز القرآن للباقلاني ص. 301 — 302 .

أنت الامام الذى من بعـد صاحبـه
التت اليك مقاليـد النهـى البشر

ما آثروك بها اذ قدمـوك لهـا
لكن أنفسهم قد كانت الاثـر

لذلك امر عمر باطلاقه واخذ عليه الا يهجو مسلما .

وهل قال الرسول الكريم « ان من البيان لسحرا » الا لان البيان قد يخدع بتزويقه وزخارفه وحسن معارضه ومطالعه ، حتى يستنزل الانسان من حال الغضب والمخاشنة الى حال الرضا والملاينة ، وينزع حمات السخائم ، ويفسخ عقود العزائم ، ويكبح الجامح حتى يرجع ، ويسف بالمحاق حتى يقع، ويعود بالخصم الضالع موافقا ، وبالضد الابعد مقاربا (9) .

وهل نتجاوب مع النصوص الا اذا صادفت هوى فى أفئدتنا ، وعبرت عن شعورنا ازاء معنى من المعانى او قضية من القضايا ؟ انظر الى قول بعض الشعراء فى قضاة زمانه :

قضاة زماننا اضحوا لصوصا
عموما فى الخليقة لا خصوصا

يرون بأكل اموال اليتامى
كأنهم رووا فيها نصوصا

وحسبك انهم لو صادفونا
لسلوا من خواتمنا الفصوصا

ان جمال اللغة وتعبيرها الدقيق كثيرا ما يغير من مواقف الفرد نحو فرد آخر ، او نحو حادثة من الحوادث ، بل حتى نحو دين من الاديان ، بلغ عمر ابن الخطاب ان اخته اسلمت ودخلت فى دين الله ، فغضب لذلك اشد الغضب ، وزارها فى بيتها ليلومها على ما فعلت بترك دين آبائها الاولين ، فلما جلس اليها واخذ فى تأنيبها اسرعت فناولته صحيفة فيها شىء من القرآن ، فلما قراها ملكت عليه شغاف قلبه فعرض اسلامه على الرسول وصدق برسالته لتوه .
وروى أن قيس بن عاصم المنقرى قال للنبى : اتل على مما نزل عليك ، فقرا عليه سورة « الرحمن » فقال : اعدها ، فأعادها ثلاثا ، فقال : والله ان له لطلاوة ، وان عليه لحلاوة ، واسفله لمغدق ، واعلاه مثمر ، وما يقول هذا بشر ، وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله . وروى أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له ، فقال : يا امير المؤمنين ان الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها ، وما انا عند الله بأحقر من نملة،وما انت عند الله بأعظم من سليمان ! فقال له المأمون : صدقت ووقف له وسمع له وقضى حاجته (10) .

12 ــ أن العقل عقلان ، غريزى مطبوع ، وموضعه من باطن الانسان بموضع عروق الشجرة من الارض ، ويشترك فيه جميع العقلاء ، وهو الذى عناه الرسول الكريم بقوله : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » وتجريبى مسموع ، وهو العلم الذى يستفيده الانسان ويكتسبه بكثرة التجارب والوقائع ، وهو من ظاهر الانسان كتدلى ثمرة الشجرة من فروعها ، وهو الذى عناه الرسول عليه السلام بقوله: « ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده من اذى » . وعلى الاخير يعيش العلماء ورجال البحث ، وفى شأنه قيل : « من بيضت الحوادث لمته ، واخلقت التجارب لباس جدته ، واراه الله لكثرة ممارسته تصاريف أقداره واقضيته كان جديرا برزانة العقل ، ورجاحة الدراية »

والتجريبى من العقلين هو الذى ينبه الغريزى منهما ، فيبعثه من مرقده ، ويطلقه من مكانه ، كما يستخرج البذ ر والماء ما فى قعور الارض من كثرة الريع ، لانه دواء القلوب ، ومطية المجتهدين ، ولا ينفع الا بالاستعمال ومقام اللغة منه كمقام الشخص من ظله ، او كاللحن فى الانشودة، والنشا فى الريح الطيبة، او كالطرب فى النغمة الموسيقية والمسك فى رق الغزال فاللغة تحمل طابع العقل وتكشف عن اغوار العلوم التى لا تصل الى الناس الا عبرها وعن طريقها ، فيعرفون ما بلغه هذا العالم او ذاك وما جد فى الحياة من ثمرات الفكر وحصائل العلم ، فتتسع اخيلة الناس ويبعد نظرهم ، ولذلك كانت المعرفة باللغات تزيل كثيرا من اسباب العدوان ، ويهدىء من حدة التوتر بين الافراد والجماعات ، ويقرب الافهام بعضها من بعض.

9) المجازات النبوية ، تأليف الشريف الرضى ص 115 بتحقيق وشرح الدكتور طه محمد الزينى ــ مؤسسة الحلبى وشركاه .
10) حياة الحيوان الكبرى ، لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى ج 2 ص ، 643 ادارة التحرير للطبع والنشر 1966 .

رقى اللغة يساير رقى العقول، والعقول لا ترقى الا بالتجارب ، وتبادل الخبرات ، بل ان رقى الاولى يطرد بتواجد الثانى ، واظنه مخطئا من يفهم مثل قول رفاعة الطهطاوى وهو فى باريس على اساس دينى وحـده :

ايوجد مثـل باريـس ديـــار
شموس العلـم فيهـا لا تغيـب

وليل الكفـر ليس لـه صبـاح
امـا هـذا وحقكـم عجيـب

13 ـــ يقولون عن اللغة انها كائن حى ، صدقوا، وهى باقية على ذلك ما كتب للجنس البشرى بقاء لانها تعايشه ، تبقى ببقائه وتزول بزواله ، والانســان اعطى قوة النطق منذ ان سوى انسانا لانه كائن لاغ ، وهو اذ ينكر البعث والنشور يوم القيامة انما ينكـر نفسه ، ويتنكر لوجوده وانسانيته ويكفر بنعم خالقـه الذى انعم عليه بالدنيا يعيشها ، وبالمال يصرفه وينفقه وبالعينين يبصر بهما ، واللسان ينطق به ، والشفتين يستر بهما ثغره ، والثديين كالطريقين لحياة الولـد ورزقه : « لا اقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ، لقد خلقنا الانسان فى كبد ، ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا . ايحسب ان لم يره احد ، الم نجعل له عينين ولسانا وشفتيـن وهديناه النجديـن » (11) . وفى الحديـث : « يا ابن آدم ، ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين فأطبق ، وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين ، فأطبق ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك ، فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبق » (12) .

واللغة لا تكون مفصلة مفهومة الا باللســان يخرجها من القوة الى الفعل ، والعلم ، اى علم ، لا يتم بدون لغة ، لا نقلا ، ولا شرحا ، ولا تعليقا ، ولا كتابة ولا القاء ، ولا غير ذلك من وسائل الاداء والتلقين والتحصيل والتلقى . يروون عن ابن عباس ان الله لما خلق ادم علمه اسماء كل شىء حتى القصعة والقصيعة وهذا الذي يروون مهما اكتسى من طابع خرافي او لبس لباسا ما ورائيا للغة ، فانه يمثل حقيقة ماثلة واقعة ، تلك هى دور اللغة فى حركات الانسان وسكناته فهو يتخذ اللغة اداة جده وهزله ، واقامته وترحاله ، يستعملها ذريعة للبحث ، ووسيلة للشرح ، ولا حياة لعلم بدونها ، فعندها يلتقى العلماء وعليها يعـول الطلاب » وعلى اساسها يقوم التاليف والنشـر ، ولغة العلم تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه ولغـة العلم هى لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة ، يصطلح عليها العلماء فتصير لغتهم وتدخل فى العـرف الخاص ، ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدمت فيه نمت وتباينت وتحددت ، يبدا المصطلح هزيلا مترددا ثم لا يلبث ان يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم الى حد مـا تاريخ لمصطلحاتها (13) .

لم يتفوق آدم على الملائكة ببطشه اوقوته او سلطانه اوجاهه ، وانماتميز عليهابالعلم وتفوق عليها بالحجة ، فقد ابدوا بعض الدهشة عند ما قال لهم الله انه جاعل فى الارض خليفة ، واستغربوها لانها تقتل وتسفك الدماء وهم يسبحون الله ويقدسون له « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون » (14) فلما اراد سبحانه ان يقطع حجتهم اراهم حجة اكثـر الزاما بان اظهر جهلهم بما يعارضون فيه ويمـارون ، واتى بآدم وابرزه فى صورة تفوقهم وتظهره عليهـم ، وعلمه اسماء كل شىء ، فوقف الجنس البشرى بذلك على كثير من اسرار الكون وغرائب الوجود « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى أعلم ما لا تعلمون ، وعلـم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونـى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (15) .

14 ـــ الانسان لولا اللغة ، انما هو صورة ممثلة، او ضالة مهملة ، والله رفع جارحة اللسان على سائر

---

11) سورة البلد ، الآيات 1 ـــ 10 .
12) الجامع لاحكام القرآن ، لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى ج 20 ص . 65 دار الكتاب العربى للطباعة والنشر 1387 ـــ 1967 .
13) فى اللغة والادب للدكتور ابراهيم مدكور ص، 65 سلسلة « اقرا » دار المعارف بمصر . عدد 337 يناير 1971 .
14) بعض الآية السادسة من سورة التحريم .
15) سورة البقرة ، الآيات 30 ـــ 33

الجوارح ، فليس منها شيء اعظم اجرا منه اذا اطاع، ولا اعظم ذنبا منه اذا جنى ، ولعل ذلك هو الذى دفع الشاعر الى الصمت عن اللئيم ، ووزعه ان يكف عنه فلم يكل له بنفس الصاع :

ولقد امر على اللئيم يسبنـــــي
فاعف ثم اقـــول لا يعنينـــــي

غضبـــان ممتلئا على اهابـــــه
انى وحتك سخطـــه يرضينـــى

لان من جهل بالصمت عى بالنطق ، ولعل الله قد رصد سلوك اللغة الاجتماعى فى الناس ، فنهى عن سب اوثان المشركين ، لما فى ذلك من رد بالمثـل ، ولما فى ذلك من تنفير من الدين وازدياد فى الكفر ، لان سب آلهة المشركين سب لهم انفسهم فى الصميم ، فقد كان يقال : « ضرب الدابة صفع لصاحبهـا » ، واذا غضبوا او اغتاظوا ربما سبوا الله عدوا بغير علم، الا ترى ان المسلم نفسه قد تحمله شدة الغيظ والحنق على التكلم بالكفر : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علـم ، كذلـك زينـا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانـوا يعملون » (16) .

قال ابن عباس : « قالت كفار قريش لابى طالب: اما ان تنهى محمدا واصحابه عن سب آلهتنا والغـض منها ، واما ان نسب الهه ونهجوه » فنزلت الآيـة . وقال العلماء : حكم الآية باق فى هذه الامة على كل حال فمتى كان الكافر فى منعة ، وخيف ان يسب الاسلام او النبى عليه السلام او الله عز وجل ، فلا يحل لمسلم ان يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض الى ما يؤدى الى ذلك ، لانه بمنزلة البعث علـى المعصية (17) .

وفى الآية ضرب من الموادعة ، وهى فرع عن السلوك الاجتماعى ، تتطلب اللباقة والتغاضـــى ، وحسن التصرف ، وعدم الاندفاع ، والدفع بالتى هى احسن ، وفيها من ادب السلوك : كف المحق عن حق له اذا ادى الى ضرر يكون فى الدين . ومن هذا المعنى ما روى عن عمر انه قال : « لا تبتوا الحكم بيـن ذوى القرابات مخافة القطيعة » . وهذا النوع من السلوك الاجتماعى مجلاه وميدانه وطريقه هو اللغة ان سلبـا وان ايجابا .

15 ـ باللغة يقتل الانسان الصمت ، وبواسطتها يستشعر انه حى ، وهل من فرق بين الحى والميـت سوى اللسان ؟ ام هل الاحلام الا مناجاة نفسيـة كلامية ، والعلم الروحى « يقرر ان الانسان عندما ينام تتركه روحه اثناء نومه الى عوالم مجهولة تجول فيها باحثة منقبة ، وقد تتودها ارواح اخرى سبقتها الـى العالم الآخر بالموت وتريها امورا لا يصح لها ان تحتفظ بها فى ذاكرتها لانها تخص العالم الآخر .. والاحـلام يراها الانسان بالروح ويفهمها بالعقل ، ومستقر الروح ـ وهى من امر ربى ـ تناط فى وسط القلب ومستقر القلب فى رسوم الدماغ ، والروح معلق بالنفـس ، فاذا نام الانسان امتد روحه مثل السراج او الشمس فيرى بنوره وضياء الله تعالى ما يريه ملك الرؤيا ، وذهابه ورجوعه الى النفس مثل الشمس اذا غطاها السحاب وانكشف عنها .. » (18) ولذلك قد ينطـق الحالم بما فى نفسه وهو نائم ، وقد يتكلم كلاما مفهوما منفصلا كعادته وهو يقظان الا انه لا يعى ما يقول ، وقد يضحك وربما بكى بالدمع المنهمر ، وهل سخر ابراهيم الخليل من قومه ومن اصنامهم التى جعلهـا جذاذا الا لانها عديمة الحس ، فاقدة العقل والتمييز ؟ ام هل وفق للنظر والاستدلال والقرع بالحجة الا حين طلب من قومه ان يسألوا اصنامهم ان كانوا ينطقون؟ ام هل انكر ابراهيم ربوبية الزهـرة ، والقمـر ، والشمس ، الا لانها تغيب ويغيب معها كل ما يمت اليها بصلة ، من ضياء ونور وحرارة ..؟ « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون ؟ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين. قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين ؟ قالوا بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليــه يرجعون ؟ قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم. قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أانت فعلت

---

16) سورة الانعـام ، الآية 108 .
17) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ج 7 ص 61 .
18) دليل تفسير الاحكام ، تاليف وتحقيق احمد الصباحى عوض الله ص 58 ــ 59 منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ــ صيدا .

هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هـــذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ؟ فرجعوا الى انفسهـم فقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ؟ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ ! اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (19) . « واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السمـوات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليـــل راى كوكبا قال هذا ربى ، فلما افل قال لا احب الآفلين. فلما راى القمر بازغا قال هذا ربى . فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لا كونن من القوم الضالين . فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفـــا ومـــا انا من المشركين » (20) . فاللغة رمز الحياة وآية الحركـــة واذا انعدمت او عدمت توقفت حركة الفكر وخبانجم النشـاط الانسانى ، وتحول كل شىء فى الحياة الـــى سكون كسكون الليل ، ولم يعد فرق بين البصـــر والبصيرة ، ولم تعد الرغوة عن الصريح ، وحرد الحبل والوتر ، وتفسر الغزل والتبست لحم العقـــــول بأسديتهـــا .

**محمــد حمــزة ــ الرباط**

---

19) سورة الانبياء ، الآيات 51 ــ 67 .
20) سورة الانعام ، الآيات 74 ــ 79 .

# الحسّ السياسي في شعر عزيز أباظة

للدكتور ابراهيم دسوقي أباظة

كلما تناولت القلم لاكتب فى سيرة عزيز اباظة، انتابتني الحيرة واستبد بي القلق .

فما انا بشاعر ضالع فى هذا الفن من فنون الشعر الذي أجاده عزيز أباظة وهو الشعر المسرحي ......

ولا أنا من الموهوبين فى الادب المتمكنين من بحوره الواسعة ...... ومعارفي اللغوية والتاريخية لا تزيد عن المعارف العادية التي يلم بها اضرابي ممن شاءت ظروفهم أن يلجوا ميادين اخرى بعيدة كل البعد عن الشعر والشعراء والادب والادباء .....

ومع كل ذلك أجدني مدفوعا بالكتابة عن عزيز أباظة ... وشعور غريب يستحثني بتجاوز جدار الحرج والحيرة ... لعله شعور الوفاء لذكرى الشاعر الكبير ... او لعله شعور الرغبة فى استجلاء جوانب عديدة من شخصيته الشعرية .

ولكنه على كل حال شعور استرضيه بالكتابة واسال القارىء الكريم المعذرة كل المعذرة فيما أكتب وأملي أن يجد فى معرفتي بعزيز اباظة الانسان ما يعوضه عن جهلي بعزيز اباظة الشاعر .

المطالع لمسرحيات عزيز اباظة الشعرية يتلمس فى سهولة ويسر العديد من المعالجات السياسية التي تنبيء عن المامات واسعة بعلومها وفلسفتها .

وليس هذا بمستغرب على رجل مارس الحكم وعرك السياسة ، فقد كان خبيرا بفنونها العملية... مطلعا على اسرارها الدقيقة ولعل صلاته الوثيقة بكبار ساسة مصر ، وخاصة صهره رئيس وزراء مصر الراحل اسماعيل صدقي باشا قد زاده حنكة ومعرفة .

ففي مسرحية الناصر يصور لنا الشاعر الكبير الاحداث الجسام التي كانت تموج بها الاندلس تحت حكم عبد الرحمن الداخل فاجرى على لسان اشخاص المسرحية حوارات رائعة ، تراوحت بين الغزل والدس والتآمر والحكمة والسياسة من اروع ما دار بين الناصر وابنه الحكم فى نهاية المسرحية .

اذ عندما جلس الحكم يبكي حبيبته الصريعة ( شفق ) دخل عليه أبوه يستعده للحرب ضد جيوش الاعداء الذين اطبقوا على البلاد من كل جانب .

الناصر : بني

الحكم : أبي قد أطاح الردى

بحبة نفسي وخلصانها

الناصر : ا أودت ؟

الحكم : مضت كعروس السماء

هوت فى مفاتن الوانها

ابي قد فقدت نعيم الحياة
ومعنى الحيـاة بفقدانهـا

الناصر : تماسك ... بلادك ترنو اليك
بآمالهـا ، وبوجدانهـا

لقد شبت الحرب فانفر لها
غدا فى طليعة فرسانهـا

فان عدت فارو هواك الصريع
بصب الدموع وتهتانهـا

( مستمـرا ) «بنـي» !

الحكم : وكيف ، وهل استطيع
ونفسي تنوح بأشجانهـا

الناصر : بلادك القت بأشياخهـا
لهذا الوغى وبفتيانهـا

اتتركها بين ايدي الخطوب
وتنكل عن بذل قربانهـا

الحكم : ابـي .. !

الناصر : ( مقاطعـا فى حـدة )

ان تقلها فلست الجديـر
بعطف البلاد واحسانهـا

اتصغـى بنـي ؟

الحكم : ابـي اعفنـي .

الناصر : ( فى حدة ) عفتك الليالي بحدثانهـا

الناصر : سامضي انـا الشيخ ...

الحكم : لا بـل اقـم
واني لخائض نيرانهـا

(يمشي متحاملا وهو يلتفت الى شفق)

عليك شقيقة نفسي السلا
م من خفق روحي والحانهـا

ثقي بي ... فاني غدا ناصر
بلادي وداعـم بنيانهـا

فان بلغت فى العلا شأوهـا
هفت لك روحـي بتحنانهـا

الناصر : الى ذروة المجد سر بالجيوش
محوطا بمأثـور ايمانهـا

وجاهد بها فى سبيل البلاد
توطد أواسـي أركانهـا

حياة الملوك ومجد الملـوك
لأوطانهـا وبأوطانهـا

وفى مسرحية قصيرة التي استوحاها عزيز اباظة من شكسبير يصور الشاعر على لسان قيصر حقيقة الانفعالات الشعبية :

قيصـر ـ: ( لنفسه فى تؤدة وسخرية )

ما اقدح الحكيم عبئـا
بلوتـه فابتلانـي

ان تستشر قيل ضعف
والضعف عدل الهـوان

وان تفردت قالـوا :
عمهـت فى الطغيـان

( يجلس . سكتة قصيرة )

مستمرا : اليوم يهتف باسمـي
وامس غضـوا مكانـي

ان الشعوب رضاهـا
وسخطها أحمقـان

تهذي ببغـض وود
من غيـر ما برهـان

عقولها فى هواهـا
معطلة الميـزان

وفى المشهد السادس من نفس المسرحية يجري حوار فلسفي رائع بين بردتوس واحد الفرسان يتجلى فيه الحس السياسي عند الشاعـر فى اصـدق تعبيـر ... :

بروتـس : من انت ؟ قف او تصـرف
مالي تداعيت مالـي ؟؟

ثم لنفسه : لا تدن . هذا حسامـي
فاحذره واخش صيالـي

( يتقدم الفارس غير آبه بشيء )

مستمرا : مـن أنـت ؟

الخيـال : جرمـك يحيـا
ما بين أطواء نفسـك

يقيـم فيـك الى ان
يطويكما ثوى رمسـك

بروتـس : رحمـاك قيصـر!!

الخيـال : اقصـر
فما برحـت غويـا

قد هان وزرك لو لـم
تقتل أبـاك الخفيـا

بروتـس : ( وقد استرد جأشـه )

قتلت جبار رومـا
ثـم انفجـرت بكيـا

حرية الناس اغلـى
من كل غـال علـي

الخيـال : ( فى سخريـة )

حرية النـاس ؟ مـاذا؟
نعني بهـا يا بنـي

بروتـس : هي الكرامة تبنـى
وتصنـع الادميـا

الخيـال : ( فى ضحكـة ازدراء )

بل قـل ركاكـة رأى
تفشى الغبى الشقيـا

وخدعة قـد احالـت
بلةالشعوب مطيـا

حكم يطيـح بحكـم
والناس ترضـي القويـا

هل ينشـد النـاس الا
آمنا وقوتـا وريـا

بروتـس : ما زلت جبار دهـر
تصول ميتـا وحيـا

لولا تهضمت رومـا
وسدتهـا أو حديـا

ورمت ملكا وتاجـا
فجئت امـرا فريـا

لكنت تاريخ رومـا
وفخرهـا العبقريـا

الخيـال : اسرفت فارجع لحكم
يسمو باقدار حكمـك

اغواك « كاتون » حتـى
أوشكت تردى بسهمـك

ابدا بصحبك فانظـر
من حامل بعض همـك

لم يبق منهـم حليـف
ملازم غير جرمـك

( تهيأ الخيال للخروج ويقول فى قوة )

حرية الناس كم مــن
باغ اذلك باسمــــك

يطغــى ويزعـــم أن
الطغيان كافل دعمــك

وحين يملك يلـــوي
بخصمه لا بخصمــك

بروتـــس : هذا خــلاب الدهــاة
هذا افتيات الطغـــاة

انا بناة نفــــوس
كريمـــة النزعـــــات

ان لم نكن قــد بلغنــا
فالنجــح لا شـــك آت

( يمشي الخيال الهوينا )

( مستمرا في رجاء ) بروتس .

هلا تريثت ؟ اني قد زال عني ارتياعي

فاد ... لابنــك نصحــا

الخيــال : ( فــي صرامـــة )
لا رأب بعد انصـــداع

بذلت نصحي فالـــوي
به فحيـح الافاعــــي

بروتـس : ارجــع لـــي ؟؟

الخيــال : كــــــلا
هذا لقــاء الـــــوداع

وقد أطيف « بقلبــي »
والموت مـلء البقــــاع

هذه المعالجة السياسية في شعر عزيز أباظــة ليست قاصرة على بعض مسرحياته ... وانما تتناول معظم انتاجه الشعري .... لانها في الواقع جزء من فن المسرحية التاريخية الذي برع فيه ... وكرس حياته من أجله ...

فمسرحياته العباسية وشجرة الـدر ، وغروب الاندلس وشهريار ، وقافلة النور ... تنطوي ايضا على العديد من المواقف السياسية التي حلق عزيز اباظة في تصويرها فالتقى عنده الحس السياســي بالحس الشعري في صور آخاذة من الرأي والحكمة والفلسفة السياسيــة .




675 - 661

اعداد :
الأستاذ عبد القادر زمامة

**661 ـ من شعر المولى ادريس بن ادريس :**

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات تأليف صلاح الدين بن ايبك الصفدى المتوفى سنة 764 هـ . ج 8 ص 314 . وهو من النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية :

● ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء . واورد له قوله :

لو مال صبرى بصبر الناس كلهم
لكل فى لوعتى أرضل فى جزعى

وما اريع الى يأس ليسلينى
الا تحول بى يأسى الى الطمع

وكيف يصبر من ضمت أضالعه
على وساوس هم غير منقطع

اذا الهموم توافت بعد هدأتها
عادت عليه بكأس مرة الجرع

نأى الاحبة واستبدلت بعدهم
هما مقيما وشملا غير مجتمع

كأننى حين يجرى الهم ذكرهم
على ضميرى مخبول من الخدع

تأوى همومى اذا حركت ذكرهم
الى جوانح جسم دائم الوجع

.. .. قال ابو هاشم صاحب شرطة ادريس بن ادريس قال لى يوما : اخرج بنا الى ساحل البحر لنصلى فخرجنا فقام يصلى وقمت انا ناحية فاقبل نفر نحونا فقال يا داود هؤلاء اباضية . يعنى خوارج جاءوا ليقاتلونى .. ! قلت أنا لهم .. ! فقال لا . انا .. فأخذ السيف والدرقة وقصدهم فقتل منهم سبعة .. ! فأدبر الباقون .. ! فرجع الى فأعطانى السيف وقال :

اليس ابونا هاشم شد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكى ما نلاقى من النكب

ثم يأتى صلاح الدين الصفدى فى نفس الجزء ص 319 بقطعة ينسبها اليه فى رثاء والده ادريس بن عبد الله يقول فيها :

نفسى الفداء لما جاءت منيته
يرمى بها بلد ناء الى بلد

فاختلست نفسه منه مخاتلة
حتى تخلى من الاموال والولد

اهدى اليه المنايا ذو قرابته
بغير جرم سوى البغضاء والحسد

لئــن ظفــرتم بيــوم قتلنــا غلبــا
ان لنرجــو مــن الرحمــن فــوز غد

حتــى يزيــل اقــل الحــق اكثــره
ويشــرب الكاس ساقينــا يــدا بيــد

## 662 ــ من شعر ادريس بن عبد الله :

ووجدت فى نفس الجزء ص 3/9 قطعة ينسبها الصفدى الى المولى ادريس بن عبد الله يقول فيها :

● غربــت كــى اغــرب فى ثــورة
اشفــى بهــا كــل فتــى ثــائــر

لا خير فــى العيــش لمــن يفتــرى
فــى الارض جــارا لا مــرىء جــائر

والارض مــا وسعهــا ربهــا
الا لتبــدو همــة الســائــر

لا يلفــت لــى مهجــة سولهــا
ان لــم أوف الكيــل للغــادر ●

## 663 ــ كتاب « البارع » وكتاب ( العين ) :

وجدت فى المقدمة التى كتبها الاستاذ هاشــم الطعان ( البارع ) الذى الفه ابو على القالى وحققــه الاستاذ المذكور ص 65 ط بيروت 1973 م

ــ اخذ القالى هذه النسخة ــ من كتــاب العين ــ فصنع بها ما صنع بــ ( فعلت وافعلت ) اى ( وصلها ) فقدم لكل مادة لغوية بما ورد عنها فــى مروياته وارتأى ان يخالف فى ترتيب الحروف بعــض الشىء واضاف بعض ما ظنه مهملا ونسب الشــواهد غير المنسوبة الى قائليها حتى استطاع الى ذلك سبيلا واكمل الشــواهد المبتورة فكان من ذلك كله البارع .. ! فالبارع اذن ليس الاكتاب العين « موصولا » .

## 664 ــ الرمــان السفــرى :

وجدت فى كتاب قضاة قرطبة لمحد بن الحارث الخشنى فى ترجمة القاضى معاوية بن صالح الحضرمى

ــ ثم لما صار معاوية الى الامير عبد الرحمــن ( الداخــل ) ادخل عليه تحف اهل الشام . وكان فى تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالاندلــــس بالرمان السفرى فجعل جلساء الامير من اهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فاخذ من ذلك الرمان شيئا . لطف به وغرسه حتى علق ونمى واثمر فهو اليوم الرمان السفــرى نسب اليــــه .. !

## 665 ــ بالعجميــــة ــ

وجدت فى كتاب قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخشنى المتوفى سنة 361 هـ. ط. القاهرة 1373 هـ فى ترجمة القاضى سليمان بن اسود الغافقى :

ــ .. كان فى وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف الى مجلس القاضى ويلتزمه ولا يقوم عنه بقيامه وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد اضناها الجهد وغيرها الجــوع .. ! فتقدمت امراة الى القاضى فقالت له : بالعجمية يا قاض انظر لشقيتك هذه . فقال لهــا بالعجمية : لست انت شقيتى . انما شقيتى بغلــة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهــــار . . ! !

## 666 ــ لمــا بــــه . . !

وجدت فى كتاب تاريخ الاندلس لابن القوطيــة القرطبى . ص 36 . ط بيروت 1958 م .

ــ فلما قرب ( موسى ) من الشام اعتل الوليــد العلة التى منها مات . فاوصى اليه سليمان :

« اوقف السير ليكون دخولك فى ايامى فان اخــى لمابــه ... »

## 667 ــ من شعر المأمون الموحدى

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات ج 8 ص 323 فى ترجمة ابى العلاء ادريس بن يعقوب الموحد الملقب بالمامون المتوفى سنة 630 هـ .

« ومن شعره وقد قتل جنده ابن اخته :

ما ابن اختى ممن يعـــز علـــى رو
حـــى وان كان قـــومـــه اعدائـــــى

لا تشـــل اليـــد التـــى جرعتـــــه
حتفـــه فهـــو زائـــــد فى الـــــداء

وقال لما بلغه قول الناس عنه : هذا حجـــــاج المغرب لكثرة قتله

انـــا الحجـــاج لكنـــى صبـــــور
مقـــر بالحســـاب والعقــــاب

واعلـــم انـــى بفنـــــاء قـــــوم
عمـــوا عـــن رشدهم ذخر الثواب

**668 — وليس لحاجة فيكمـــا ... !**

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات ج 8 ص 323 فى ترجمة ابى العلاء ادريس المامون الموحد

« كتب اليه كاتباه : ابن عباس وابن عشـــــرة يطلبان منه ان يزورا بلدهما فلم يرد عليهما . وكـــررا الطلب ثلاث مرات ..!

فوقع اليهما .. لا .. لا ... لا .. وليس لحاجـــة فيكما .. ! ! »

**669 — الشيخ البيطار وابن بطوطة ..!**

وجدت فى كتاب الذى الفه الشيخ محمد بهجـــة البيطار عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص 36 من الطبعة الثانية .

« ان ابن بطوطة رحمه الله لم يسمع من ابـــن تيمية ولم يجتمع به ..! اذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية . وكان سجن شيخ الاسلام فى قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلـــك العام ولبـــث فيه الى أن توفاه الله تعالـــى ليلـــــة الاثنين لعشرين من ذى القعدة عام ثمانية وعشريـــن وسبعمائة هجرية ..

فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامـــع وسمعه يقول : ينزل .. الخ .. !!

**670 — ءاجـــر نفســـــه ... !**

وجدت فى كتاب « تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم » وهو من تاليف بدر الدين ابن جماعة الكنانى المتوفى سنة 733 هـ ص. 210. ط. الهند فى تعليق لمحقق الكتاب نقله عن تذكرة الحفاظ :

« قال القاضى عياض :

ءاجر أبو الوليد* نفسه ببغداد لحراسة درب..! وكان لما رجع الى اندلس يضرب ورق الذهب للغزل ويعقد الوثائق . قال اصحابه : كان يخرج الينا للاقراء وفى يده أثر المطرقة ..! الى ان فشا علمه ..!

**671 — تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته .. !**

وجدت فى كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ج 2 ص 253 تحقيق . د. احسان عباس .

« قال الشيخ شمس الدين الذهبى : ذكر شيخنا قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد قال :

جلست مع ابن سبعين من ضحوة الى قريـــب الظهر وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقـــل مركباته ..! »

**672 — صاحب شذور الذهب ...!**

وجدت فى كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ترجمة لعلى بن موسى الانصارى الجيانى نزيل مدينة فاس وخطيب القرويين ج 3 ص 106 تحقيق د. احسان عباس .

« لم ينظم احد فى الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانى وفصاحة الفاظ وعذوبة تركيب حتى قيل فيه :

ان لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعـــة الادب ..! »

---

* يعنى الامام الباجى .

وهو صاحب كتاب شذور الذهب فى صناعة الكيمياء .

### 673 ــ صاحب خلع النعلين ..!

وجدت فى كتاب الوافى بالوفيات ج 7 ص 297 :

« احمد بن قسى من اهل الاندلس كان فى مبدا امره يدعى الولاية وكان ذا حيل وشعبذة ومعرفة بالبلاغة قام بحصن مارتلة ودعا لبيعته ثم اختلف عليه اصحابه ودسوا له من اخرجه من الحصن بحيلة حتى اسلموه الى الموحدين . فاتوا به عبد المومن فقال :

ــ بلغنى انك دعوت الى الهداية

فقال :

ــ اليس الفجر فجرين كاذب . وصادق ..!

قال :

ــ بلى .

قال :

ــ انا الفجر الكاذب ..!

فضحك وعفا عنه .. ! له كتاب سماه خلع النعلين فيه اوابد ومصائب ..! توفى فى حدود سنة ستين وخمسمائة »

### 674 ــ لا شك فيه ..!

وجدت فى مخطوطة « تبسم ثغور الاشعار . بتنسم عبير الافكار » وهو ديوان شعر ابى العباس البلغيثى ( 1282 هـ ــ 1348 هـ ) . هذين البيتين وهما فى جريدة « الفجر » ..

اقول مقال فتى عارف
يجاهر بالحق على ملء فيه

اذا طلع ( الفجر ) فى مغرب
فقرب القيامة لاشك فيه

### 675 ــ وقدر فواح ..!

وجدت فى فهرسة ابى العباس المنجور التى اجاز بها احمد المنصور الذهبى . عند ترجمة ابى القاسم ابن ابراهيم الدكالى ..

« .. كما كان بعض الشيوخ يقول : ءالة تحصيل الطالب : كتب صحاح ، وشيخ فتاح ، ومداوة والحاح، وزاد بعض الاذكياء من اصحابنا .. وقدر فواح ..!»

● صور أدبية

# الشاعر الشعبي الزاهد

للأستاذ ابو طالب زيان

لم يكن للشعراء في عهد الخليفة المنصـــور ، ادنى صلة به ، او قرابة منه فقـد كانــت الجفـــوة المتطاولة التي لفت عصره ، مثار امتعاض الشعـــراء والادباء ، حتى ولى اكثرهم الى جهات بعيدة وامصار نائية ، يبتغون فيها العيش الطـــري ، والمعيشــــة الناعمة .. يدل على تلك الجفوة ، ذلك الحنيـــن الى ملك بني امية ، الذي عاشوا في ظلاله الوارفـــة ، ونعمه المتواصلة .

يقول مطيع بن اياس في مجلس من مجالــــس الشعراء التي كانت تعقد ، اشادة بفضل بني اميـــة عليهم ، وذكرى لعهد مضى وانقطع :

حبذا عيشنا الذي زال وانقطع
حبـذا ذاك لا حبـــــذا ذا

اين هذا من ذاك سقيا لــــذا
ك ولسنا نقول سقيا لهـــذا

زاد هذا الزمان عسراً وشـــرا
عندنـا اذ احلنا بغــــداذا

بلدة تمطر التراب على النـــا
س كما تمطر السماء الــرذاذا

وليس ادل كذلك على تلك الجفـوة ، وذلــك الاهمال لاولئك الشعراء ، من خروج يحيى بن زياد الى البصرة ، وفي صحبته : محمد بن الفضـــل ، يجري وراءهما الشاعر : حماد عجرد ، وان عاد بعد ذلك الى الكوفة .

لكن هل طال بالشعراء المكث بتلك المنافـــي الاختيارية ، او طالت اقامتهم بتلك البـــلاد التــي اختاروها سكنا ومأوى .. ؟

لا اظن ان العهد قد بعد بهم عن مركز الخلافة ، او نأى باكثرهم عن العود الى بغداد .. فقد كان عهد الخليفة : المهدي ، عهد رخاء وخضرة لاولئك الذين تاهوا في الارض فترة جفاء ، يذكرون حظهم في بنــي امية ، وعيشهم الطري في اكناف اولئك الخلفـــاء ..

كان عصر المهدي ، عصر البساطة والشعبية ، واتجاه الشعر نحـــو المنازل والدرجـــات .. وفي استطاعة الباحث ان يقول : ان ذلك العصر ، قد أتاح لسواد الناس الحياة الحقيقية الميسرة التـــي كان الشعراء ينعمون فيها بالرفاهية ، ويناسون فيها على الدعة والهدوء ، في ظلال شعبية محببة ، وبساطـة حبيبة ، ضرب فيها مسلم بن الوليد ، وابو نواس ، وبشار بن برد ، والوليد بن يزيد ، وابو العتاهية ، كل حسب منزلته في الشعر ، ودرجته في القول .

على ان ابا العتاهية لم يكن غير مولى ، انتسب مرة الى عنترة ، وانتسب اخرى الى لخم ، وراقـــه اليمن ، فركن اليه في الانتساب ، وان كان قد نشأ

تلك النشاة الشعبية المتواضعة يستصنع الفخار ويبيعه ، ويضرب عنه زمنا ، ويصطنع الحجامة للايتام أزمانا .. !

والمطالع لشعر ابي العتاهية ، يلمس نشاة هذا الشاعر ، ويحس ثقافته اليسيرة ، وذوقه الذي لا يجاوز حدودا معينة ، رسمها له طبعه ، وحددها له تكلفه ، وطواها له خياله .. وابلغ الدلالة على هذا المزاج ، او هذه الثقافة المحدودة ، ما تناوله من زهديات غلبت على شعره ، واحاطته بسياج ، لم يستطع الفكاك منه .

ومن النوافل ان نقول : ان ابا العتاهية ، قد احب العيش على هامش الحياة التي كان يحياها المرفهون ، وذوو الجاه والنعمة في حاضرة الخلافة الجديدة ، وان كان العزاء عند الشاعر ، ان هذه الحياة المزهود فيها ، قد ظهرت على نطاق واسع بين طائفة من الكبراء ، كان في مقدمتها ، الخليفة نفسه : هارون الرشيد .

وفي رايي ، ان ابا العتاهية ، قد ضرب بجرانه في هذا الزهد الذي عرف به ، وعرف عنه ، لانه كان يجمع بينه وبين الفقهاء في مجلس الخليفة ، الذي كان هو وجلساؤه يجدون في ابي العتاهية متنفسا روحيا لوقارهم ، وسلوى لما يرين على القلوب آنذاك من ملل وسام ... ومن ينظر الى الشعبية التي اثرها ابو العتاهية يجد ان اولئك النفر المحافظ المثقف ، قد ظلوا بعيدين فترة طويلة عن تأييدهم هذه الشعبية ، ونظروا الى الشعر بمنظار النقد الاصيل ولم ينزلوا به عن مستوى الفصاحة والجزالة التي كانوا يؤثرونها عند الشعراء المتقدمين ..

سال ابن الاعرابي رجلا من قيس بن ثعلبة ، قال :

ايعجبك قول ابي العتاهية ؟ :

الا يا عتبة الساعة
امــوت الساعة الساعة

فقال له والله لا يعجبني ، ولكن يعجبني قول الشاعر :

جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح

هل احدث الدهر لنا نكبة
ام هل رقت ام شقيق سلاح

ولا شك في ان الشاعر ، كان يعمد الى الاوزان الخفيفة ، فتستجيب له ، ويقصد الى القصار قصدا ، لذلك كان يستطيع ان ينشيء من القوافي ما يشاء في أي وقت يشاء ، ولعل هذا كان مدعاة سروره وغبطته ، وتيهه على كثير من الشعراء الذين كانوا يعاصرونه ، او يعيشون واياه على قدم المساواة ..

سأل ابو العتاهية ، شاعرا خرسانيا :

كم تقول من الشعر في اليوم .. ؟

فقال الخرساني :

عشرين بيتا او ثلاثين ..

فقال ابو العتاهية :

اني اقول خمسمائة بيت من الشعر في اليوم الواحد ...

فقال الخرساني :

اما لو رضيت ان اقول مثل قولك :

الا يا عتبة الساعة
اموت الساعة الساعة

... لقلت : الف بيت ...

وواقع الامر ، ان ابا العتاهية ، كان يستطيع ان يقول ما شاء من الشعر ، ولا يجد في ذلك ادنى عناء او تعب ، اذا كان قوله :

هو الله هو الله
ولكن يغفر الله

او مثل مرثاته لسعيد بن وهب :

مات والله سعيد بن وهب
رحم الله سعيد بن وهب

يا ابا عثمان ابكيت عيني
يا ابا عثمان اوجعت قلبي

ولعل للتضمين الذي تفرد به ابو العتاهية فى حلبة الشعر ، نوعا من السبق على جل الشعراء فى عهده ، فقد كان كلفه به وشغفه باتيانه ، يتفق كل الاتفاق ، مع ايثاره القوافي القصار ، ومنسجما الى حد كبير مع طموحه المبتسر فى حلبة القوافي بين انداده من الشعراء ، وان كان الشاعر قد اتى بالصورة الجيدة من ذلك الشعر ، متحديا فى قصيده مقاييس النقاد الذين عابوا عليه اكثر هذا التضمين .

وفى صورة من صور التحدي قال ابو العتاهية :

ياذا الذي فى الحب يلحى اما
والله لو كلفت منه كما

كلفت من حب رخيم لما
بلت على الحب ، قد رنى وما

القى ، فاني لست ادري بما
بليت الا انني بينما

انا بباب القصر فى بعض ما
اطوف فى قصرهم اذ رمى

قلبي غزال بسهام ، فما
اخطا بها قلبي ، ولكنما

سهماء عينان له كلما
اراد قتلي بهما سلما

وقد وقع فى شعر ابي العتاهية ، كثير من المخالفات اللغوية والبلاغية والنحوية ، وربما كان ذلك مرجعه الى ثقافته الضحلة واطلاعه المحدود ، وضآلة معرفته باسرار البلاغة ، حتى اخذ عليه الكثير من هذه المخالفات ، مكتفيا بما يعن له من هذه القوافي السهلة المبسوطة التي لا تحتاج الى تأمل او اعمال فكر :

يا واها لذكر الله يا
واها ويا واها

لقد طيب ذكر الله
بالتسبيح أفواها

ارى قوما يتيهون
حشوشا رزقوا جاها

فما انتن من حسن
على حسن اذا تاها

ومن الغرائب ان هذا الشاعر المشهور ، قد كان يدور الراي حوله ، ويثار الجدل على مركز وموضعه فى عالم الادب ، فهو قريب بقوافيه من ذوق العامة ، بعيد بثقافته من طبقة الشعراء الفحول ، حتى كان يقول بشار بن برد ، حينما يجمعهما مجلس الخليفة: لا جزى الله خيرا من جمعنا معه ! لكن هل كانت العامة فى حاجة الى راي بشار فى ابي العتاهية .. ؟

الحق .. لا .. اذ كان عصر هذا الشاعر ، عصر سيادة الراي العام على كل ما عداه من الآراء .. وليس ادل على ذلك : من ان جريرا ، قد سال رجلا من بني طهيبة فقال له :

اينا اشعر : انا أم الفرزدق .. ؟
فقال الرجل له :
انت عند العامة ، والفرزدق عند الخاصة .
فقال جرير :

انا ابو حرزة : غلبته ورب الكعبة والله ما فى كل مائة رجل عالم واحد !!

ويكفي ابا العتاهية ، انه كان مقدما عند الكوفيين كما كان ابو نواس عند البصريين » .

وان عيب فى بعض المواطن ، واوخذ من بعض الوجوه .

**القاهرة : أبو طالب زيان**

# بين طموح المتنبي وطموح الصاحب بن عباد

للأستاذ علي الغزيوي

ابو الطيب المتنبي شاعر كبير ما في ذلك شك، استطاع ان يفرض نفسه ويحتل مكانة عظيمة في عصره، غير ان شهرته قد اساءت اليه كما اساءت الى غيره، اساءت اليه لانها كانت سببا في كثرة حساده وخصومه، واساءت الى غيره من الشعراء الذين غطت شهرة المتنبي على شهرتهم على الرغم من مكانتهم وجودة شعرهم، وكان بامكان كثير منهم ان يصلوا الى مكانة اعظم لو عاشوا في عصر غير العصر الذي عاش فيه المتنبي.

ولعل المتنبي نفسه كان يسيء الى نفسه، لان تصرفاته واقواله كانت من اهم اسباب تعدد خصومه. واذا استعرضنا مراحل حياته الكبرى بسرعة وجدناها تتصف بالتنقل وعدم الاستقرار، فقد عرف التنقل في المرحلة الاولى من حياته ( 303 هـ - 337 هـ ) . ولكنه عرف الاستقرار في الفترة الثانية من حياته التي قضاها في ظل سيف الدولة الحمداني من 337 هـ الى 346 هـ ) ، وتعتبر هذه الفترة اجمل وانعم اوقات حياته، ولكنه غادر سيف الدولة بعد ان شعر بكيد حساده، فحط الرحال في مصر حيث قضى الفترة الثالثة من حياته عند كافور الاخشيدي من سنة 346 هـ الى 350 هـ ، ومن خلال شعره في هذه الفترة نلاحظ ايضا انه لم يعرف الاستقرار، ولذلك غادر مصر ليقضي الفترة الاخيرة من حياته متنقلا في بلاد فارس والعراق، من سنة 351 هـ الى ان قتل سنة 354 هـ .

وفي هذه الفترة الاخيرة اضاف المتنبي الى قائمة خصومه شخصا آخر من كبار الناس في عصره، هو الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم الذي توفي سنة 385 هـ ، اما ولادته فكانت سنة 326 هـ .

وهكذا ففي الوقت الذي ولد فيه الصاحب، كان المتنبي قد اكتملت معالم شخصيته تقريبا، وقد شهد المتنبي تضعضع الخلافة العباسية وتمزق وحدتها على يد ولاة الاطراف الطامحين، فنشأت عدة دويلات على انقاض الامبراطورية الاسلامية العباسية، كالدولة الحمدانية في الشام، والبويهية في العراق وفارس، والاخشيدية في مصر بعد الدولة الطولونية، وغيرها، وقد فطن المتنبي للخطر المحدق بالعرب نتيجة استبداد الاعاجم بأمورهم، فرفع صوته عاليا محذرا :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم

وقد نشأ المتنبي على حب العظمة، والطموح، والكبرياء، فملأت شخصيته جوانب شعره، حتى في المدح، فهو في منزلة واحدة مع الملوك مساو لهم .

وفؤادي من الملوك وان كـــا
ن لساني يرى من الشعـــراء

واذا تحدث عن الانبياء فهو شبيه بهم :

انا في امة تداركهـا الـلـــ
ـــه غريب كصالح في ثمـــود

بل انه لا يرى احدا فوقــــه :

ان اكن معجبا فعجب عجيب
لا يرى فوق نفسه من مزيـد

ويجهر بذلك أمام الناس قائلا :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قـــدم

ويعلل هذا التفوق بانه نبغ في كل ميدان ، فهو فارس شجاع ، وشاعر عبقري :

الخيل والليل والبيداء تعرفنـي
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فمثل هذه الاقوال التي يكررها دائما متحديـا بذلك كل من سولت له نفسه التعالي عليه ، بالاضافة الى شاعريته وعبقريته ، كل ذلك خلق للمتنبي الشاعر العظيم الذي طغت شخصيته الادبية واشتهـر على كل لسان ، خصوما وحسادا كثيرين ، اخـذوا على عاتقهم النيل منه والحط من قيمته مثل الشاعـر البغدادي : ابي الحسن محمد بن لنكك الـذي كان يحسد المتنبي وينافسه . واحمد بن ابراهيم الضبي احد اصحاب الصاحب بن عباد ووزير فخر الدولة البويهي وابنه معز الدولة بعد الصاحب ، ويقال ان خصومته للمتنبي كانت ارضاء للصاحب بن عبـاد ، وغيرهما من الخصوم ، كما ان طموح المتنبي الـذي لا يحد ، وكبرياءه وانفته جرت عليه الويلات ، فهـو يتكبر عن مدح غير الملوك ، الشيء الذي اثار عليه غضب كثير من الشخصيات المرموقة ، امثال الوزير المهلبي الذي يقال ان مناظرة الحاتمي للمتنبي كانت بايعاز منه ، وكذلك الصاحب بن عباد الذي استصاغ ان يثار لنفسه بالحط من قيمة شاعريته في رسالته « الكشف عن مساويء شعر المتنبي » . فهل كانت هناك علاقة بين المتنبي الشاعر العظيم ، والصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم ؟

من المؤكد انه لا علاقة بين الصاحب والمتنبي الا تلك المراسلة التي تمنى فيها الصاحب ان يزوره المتنبي ويمدحه ، فيشاطره جميع ماله ، فيتجاهله المتنبي ، فما هي اسباب تجاهله ؟

كان ذلك في الفترة الاخيرة من حياة المتنبي ، تلك التي قضاها متنقلا في بلاد فارس والعراق ، وفي تلك الاثناء ، كان الصاحب بن عباد لا يزال شابا لم يدخل باب الشهرة بعد ، بينما كان المتنبي قد طاف على الملوك والامراء مدفوعا بطموحه ، مصادفا الفشل دائما ، فهل يمكن للصاحب ان يحقق له ما لم يستطعه الملوك العظام الذين اخذ على نفسه مدحهم دون سواهم ؟

لقد عرف المتنبي الذي يترفع عن مدح غير الملوك ان هذا الشاب لن يشبع طموحه ، فقابل مراسلته بالتجاهل وقال لبعض اصحابه مستخفا متهكما :

« ان غليما معطاء بالري يريد ان ازوره وامدحه ولا سبيل الى ذلك » (1) .

والحقيقة ان هذا الموقف معقول من شخص كالمتنبي ما دام يعرف انه لن ينال ما يريد ، فلماذا يتكبد مراحل السفر مرة اخرى وهو لن ينال الا دريهمات معدودة .

لكن ذلك الموقف دفع الصاحب وهو المترفع المعتد بنفسه الى عدم الرضى .

ولا بأس من الاشارة هنا الى صفة مشتركة بينهما ، وان كانت هذه الصفة تختلف من واحد الى آخر ، تلك الصفة هي الطموح ، فالمتنبي طموح الى العلا دوما :

اين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـر بعيش معجل التنكيد

(1) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي ص (82) ـ مطبعة الاعتدال ـ دمشق ، سوريا.

ويقال انه كان يأمل من تطوافه على الملوك والامراء ومدحه اياهم ان ينال ولاية فيستريح من التطواف ، ولكنه لم يصادف الا الفشل والخيبة :

ابدا اقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود

فلماذا كان المتنبي قد خاب ولم يستطع تحقيق واشباع طموحه ، فان الصاحب وان وصل الى ما أعد له من صغره لتولي مرتبة رفيعة في الوزارة والكتابة ، فهو وزير ابن وزير ، وكاتب كبير في مقدمة كتاب عصره ، فانه خاب ايضا في ناحيتين :

الاولى : خاب في جعل المتنبي يمدحه فتطير شهرته في الآفاق ويجمع السؤدد من اطرافه .

الثانية : كان الصاحب وزيرا يدبر شؤون الدولة بنفسه ، فلم يكن فخر الدولة يعمل الا برايه ومشورته ، وكانت حضرته قبلة للكتاب والشعراء يقفون ببابه فمن اذن له بالدخول يظن انه نال ما تمنى ولكنه مع ذلك كان يطمح الى ما هو اكثر واسمى ؛ وكثيرا ما عبر عن ذلك الطموح تلك الآمال بقوله :

« ما بقي من اوطاري واغراضي الا ان املك العراق ، واتصدر ببغداد ، واستكتب ابا اسحاق الصابي (2) ويكتب عني واغير عليه » (3) .

ولكن ذلك ظل مجرد امل لم يتحقق ، كما لم يتحقق امله في ان يمدحه المتنبي ، الشاعر العظيم : وهذا بدوره لم يقدم على مدحه لانه كان يعرف انه لن يحقق طموحه الذي فشل الملوك العظام كسيف الدولة وغيره في تحقيقه .

ولكن الصاحب لم يلزم الصمت امام تجاهل المتنبي لكتابه ، فحفظها في نفسه حتى واتته الفرصة فأطلق لقلمه العنان يستخرج سوءات الشاعر الذي شغل الناس في كل من الامصار ، وبتاليفه لهذه الرسالة في « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » عد من النقاد الذين شاركوا بنصيبهم في ميدان النقد الادبي ، كما عد طرفا في تلك الخصومات التي نشبت حول المتنبي وشاعريته في القرن الرابع الهجري واستمرت بعده فاغنت المكتبة النقدية العربية .

وعلى رغم ما في هذه الرسالة من تحامل ، فان قيمتها لا تنكر ، فاذا ما عرفنا ان كتاب ( الوساطة بين المتنبي وخصومه ) للقاضي الجرجاني يعد ثاني كتاب مهم في النقد الادبي مع (الموازنة) للآمدي في القرن الرابع الهجري ، فانه يكفي ان تكون رسالة الصاحب سببا في دفع ناقد كبير كالقاضي الجرجاني الى وضع ذلك الكتاب الذي يعد من اهم كتب النقد التي تفتخر بها المكتبة العربية ، ذلك الكتاب الذي أعاد فيه الجرجاني الحق الى نصابه ودافع عن المتنبي دفاع القاضي العادل .

**مكناس : علي لغزيوي**

---

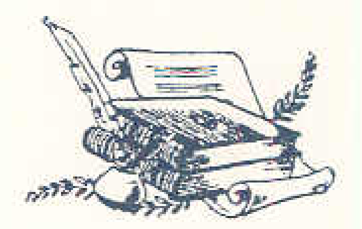
(2) هو ابو اسحاق ابراهيم بن هلال .. الحراني الصابيء ، تقلد ديوان الرسائل سنة 349 هـ . ببغداد ، وحين ملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة 367 هـ ، لان مكاتباته له كان فيها ما يؤلمه ، وعزم على القائه تحت الفيلة فشفع فيه بعضهم ، ثم اطلق سراحه سنة 371 هـ . وامره ان يصنع له كتابا في اخبار الدولة الديلمية ، فعمل له كتاب ( التاجي ) وتوفى سنة 384 هـ ببغداد ، وكان الشريف الرضي صديقا له فرثاه بقصيدة مطلعها :

ارايت كيف خبا ضياء النادي ؟ ارايت من حملوا على الاعواد ؟

(3) معجم الادباء لياقوت الرومي . ج 6 ص ( 306 ) ـ مطبوعات دار المامون ـ مصر 1936 .

# مكتبة دعوة الحق

- ديوان الرصافي البلنسي
- فصول في الدين والأدب والاجتماع



« ان حرية الفكر في الغرب تختفي لدى الاوروبي عندما يمتد فكره الى بحث العالم الاسلامي ، فالمفهوم الصليبي العميق الاثر في النفس الاوروبية يحول دون حرية الرأي اذا كان موضوع البحث هو الاسلام

غـوسـتـاف لـوبـون




الدكتور احسان عباس له منة عظيمة فى عنق الدراسات الاندلسية المعاصرة ، وفى نشر تراثها من جديد او اعادته بطريقة علمية لا تحتمل الجدال والنقاش ، الى جانب اياد اخرى منه ، فى نشر تراث آخر عربي ، كديوان ابن حمديس الصقلي وديوان لبيد بشروحه .

وملاحظتنا على ديواننا هذا ، أنه لا يحق له ان يسمى باسم الديوان ، بل كان ينبغي ان يسمى مثلا « من شعر الرصافي » أو « شعر الرصافي » هكذا بالتعميم ، كما تفعل مكتبة صادر فى نشر مجموعات شعرية ، ليست كاملة لاصحابها .

وهذه الملاحظة ، ينبثق عنها ان اشعارا عثرنا عليها فى الاحاطة ، بعضها لم يذكر فى هذا « الديوان» وبعضها ذكر منه أبيات ولم يذكر الباقي ، وهو جل القصيدة او القطعة ، غالبا أو بعضها كما سنرى .

فى قافية الحاء ، سقطت قطعتان ، هما :

**أدرها فالغمامة قد أجالت**<br>**سيوف البرق فى لمم البطاح**

**وراق الروض طاووسا بهيا**<br>**تهب عليه انفاس الرياح**

**تقول وقد ثنى قزح عليه**<br>**ثياب الغيم معلمة النواح**

**خذوا للصحو أهبتكم فاني**<br>**أعرت المزن قادمتي جناح**

**قصير الانابيب لكنه**<br>**يطول مضاء طوال الرماح**

**اذا عب للنفس فى دامس**<br>**ودب من الطرس فوق الصفاح**

**تجلت به مشكلات الامور**<br>**ولان له الصعب بعد الجماح**

والابيات الاخيرة ، لا شك انها فى وصف قلم ، وقد جاء البيت الاول منها فى المطبوع ، هكذا :

**قصير كالاناتيب لكنه**<br>**يطول مضا طوال الرماح**

ولا يستقيم لا وزنا ولا معنى

وفى حرف الدال ، ذكرت أبيات ثمانية من قصيدة ذات تسعة واربعين بيتا ، والساقط منها هذه الابيات : ( بعد البيت الاول ) :

**اما البيان فقد أجر لسانه**<br>**فيكم بفتكته الحمام العاد (ى)**

**عرشت سما علياكم ما انتم**<br>**من بعد ذلكم الشهاب الهادي**

حطوا على عمد الطريق فقد خبت
( لألاء ) ذاك الكوكب الوقاد

ما قل لهزمه الصقيل وانما
نثرت كعوب قناكم المنآد

ايه عميد الحي غير مدافع
ايه فدى لك غابر الامجاد

ما عذر سلك كنت عقد نظامه
ان لم يصر بردا الى الآباد
( حسب ) ،،، ،،، ،،،

( وبعد البيت « يومي » )

(كشف) الحجاب فما ترى متفضلا
في ساعة تصغي به وتناد (ى)

المم بربعك غير مامور فقد
غص الفناء بأرجل القصاد

خبرا يبلغه اليك ودونه
أمن العداة وراحة الحساد

قد طأطأ الجبل المنيف قذاله
للجار بعدك واقشعر الواد (ى)

أعد التفاتك نحونا واظنه
مثل الحديث لديك غير معاد

وامسح لنا عن مقلتيك من الكرى
نوما تكابد من بكى وسهاد

هذا الصباح ولا تهب الى (متى)
طال الرقاد ولات حين رقاد

وكأنما قال الردى نم وادعا
سبقت (لك) البشرى بحسن معاد

أموسدا تلك الرخام بمرقد
أخشن به من مرقد ووساد

خصبت بقدرك حفرة فكأنها
من جوفها في مثل حرف الصاد (كذا)

وثر لجنبك من اثاث مخيم
ترب ند وصفائح أنضاد

يا ظاعنا ركب السرى في ليلة
طار الدليل بها وحاد الحاد(ى)

أعزز علينا أن حططت بمنزل
تبل على الزوار والعواد

( جارا لأفراد ) هنالك جيرة
سقيا لتلك الجيرة الأفراد

الساكنين الى المعاد قبابهم
منشورة الأطناب (والاعماد)

من كل ملقية (الجران) بمضرب
ناب البلى فيه عن الاوتاد

بمعرس السفر الالى ركبوا (السرى)
مجهولة الغايات والآماد

سيان فيهم ليلة ونهارها
ما أشبه التاويب ( بالاسئاد )

لحق البطون من (اللغوب) على الطوى
وعلى الرواحل عنفوان الزاد

« لله هم » الى آخر البيت الذي ورد في المطبوع كذلك سقيما بزيادة « في » قبل « حقايب الاجساد » فقد الوزن والبناء
( وبعده ) :

يا ليت شعري والمنا لك جنة
والحال موذنة بطول بعاد

هل للعلا بك بعدها من نهضة
أم لانقضاء نواك من ميعاد

بأبي وقد ،،، ،،،
ذلت ،،، ،،

نعم الذماء البر ما قد غوروا
جثمانه بالأبرق المنقاد (كذا)

( علياء ) خص بها الضريح وانما
نعم الفوير بأبؤس الانجاد

أبني ( أبي ) العباس أي حلاحل
سلبتكم الدنيا وأي مصاد

هل كان الا العين وافق سهمها
قدرا فأقصد أيما اقصـــــــاد

أخلل بمجد لا يسد مكانــــه
بالاخوة النجبــــــاء والاولاد

ولكم يرى بك من هضاب لم يكن
لولاك غير دكادك ووهــــــاد

ما زلت تنعشها بسيبك قابضا
منها على الاضباع والاعضاد

حتى أراك أبا محمد الـــردى
كيف انهداد بواذخ الاطــواد

ياحرها من جمرة مشبوبــة
يلقى لها الايدي على الاكتـاد

كيف العزاء وانها لرزيـــــة
خرج الاسى فيها عن المعتاد

صدع النعاة بها فقلت لمدمعي
كيف انسكابك يا أبا الجــواد

لك من دمي ما شيت غير منهنه
صب كيف شيت معصفر الابراد

(كذا ولا يستقيم لا وزنا ولا معنى)

لقصير مجتهد وحسبك غاية
لو قد بلغت بها كبير مـــراد

أما الدمــــــوع ،،، ،،، ،،،

ثم السلام ولا أغـب قـــراره
وارتك صوب روايح وغـواد

تسقيـــك ،،، ،،،

وفي حرف الراء وردت ابيات ثمانية عشر من قصيدة ذات سبعة واربعين بيتا ، والساقط منهـــا الابيات التالية ( بعد البيت : مبادىء لين ) :

لبسنا بها ثوب الشباب لباسها
ولكن عرينا من حلاه ولم تعرا

أمنزلنا عصر الشبيبة ما الذي
طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا

محل أغر العهد لم نبد ذكــره
على كبد الا امترى أدمعا حمرا

أكـــل مكـــان ،،، ،،،

( وبعد : هي الدرة ) :

خليلي ان أصدر لها فانهــا
هي الوطن المحبوب أو كلته الصدرا

(كذا ولا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى)

ولم أطو عنها الخطو هجرا اذا
فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا

ولكن اجلالا لتربتها التـــي
تضم فتاها الندب أو كهلها الحرا

أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم
فبادت لياليهم فهل أشتكي الدهر

هجوع ببطن (الارض) قدضرب الردى
عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

تقضوا فمن نجم (هنالك) ساقط
أبى الله أن يرعى السماك أو (النسرا)

ومن سابق هذا اذا ( شاء ) غاية

(كذا وفيه بعد « غاية » شاء ، ولا يبدو وجهه)

وغير محمود جياد العلى حضرا

أناس اذا لاقيت من شيت منهم
تلقوك لا غث الحديث ولا غمرا

وقد درجت اعمارهم فتطلعوا
هلال ثلاث لو شفا رق أو بـدرا

ثلاثة أمجاد من النفر الالـــى
زكوا خبرا بين الورى وزكوا خبرا

ثكلتهم ثكلا دهى العين والحشى
فمجر ذا أما وسجر ذا جمرا (كذا)

كفى حزنا أني تباعدت عنهم
فلم ألق من سرى منها ولا سرا (كذا)

( وأني ) متى ( أسأل ) بهم كل راكب
ليظهر لي خيرا تأبط لي شرا

أباحثه عن صالحات عهدتها
(هناك) فينسيني بما يقصم الدهرا

محيا خليل غاض ماء حياته
وساكن قصر (صار) مسكنه التبرا

وأزهر كالاصباح قد كنت أجتلي
سناء كما يستقبل الارق الفجرا

فتى لم يكن خلو الصفات من الندى
ولم يتناس الجود أصرم او أثرى

(يصرف) ما بين اليراعة والقنا
أنامله لا بل هواطله الغرا

طويل نجاد السيف لان كأنما
تخطى به في البرد خطية سمرا

سقته على ما فيك من اريحية
خلائق هن الخمر أو تشبه الخمرا

ونشر محيا للمكارم لو سرت
حمياه في وجه الاصيل لما اصفرا

هل البعد الا حيث حط صعيده
لمن بل في شفري ضريح له شفرا

طوين الليالي طيهن وانما
طوين (بها) عني التجلد والصبرا

فلا حرمت سقياه أدمع مزنة
ترى مبسم النوار عنبر معترا (كذا)

وما دعوتي للمزن عذرا لدعوتي
اذا ما جعلت البعد عن قربه عذرا

وبعد هذه يأتي هذا البيت في الاخير ، ولا وجود له في الاحاطة :

معاهد قد ولت اذا ما اعتبرتها
وجدت الذي يحلو من العيش قد مرا

فيكون الساقط اذا ثلاثين بيتا ، والغالب ان البيت لم يكن مختتما به القصيدة .

وفي حرف السين ، هناك قطعة من ثلاثة ابيات، لم تذكر في الديوان ، وهي :

أدرها على أمر فما ثم من باس
وان ( حددت ) آذانها ورق الآس

وما هي الا ضاحكات غمايم
لواعب من ومض البروق بمقياس

ووفد رياح زعزع النهر ( مدة )
كما وطيت درعا سنابك أفراس

وفي حرف القاف ورد بيت من مقطوعة ، وهي في الاحاطة ذات تسعة ابيات ، والساقط من الديوان الابيات التالية :

دعاك خليل والاصيل كأنه
عليل يقضي مدة الزمن (الباقي)

الى شط ،،، ،،،

ومهوى جناح للصبا يمسح الربا
خفي ( الخوافي ) والقوادم خفاق

وفتيان صدق كالنجوم تألقوا
على النأى من شتى بروج وآفاق

على حين راح البرق في الجو مغمدا
ظباه ودمع المزن في جفنه راق

وجالت بعيني في الرياض التفاتة
حبست بها كاسي قليلا عن (الساقي)

على سطر خيري ذكرتك فانثنى
يميل باعناق ويرنو بأحداق

وقف وقفة المحبوب منه فانها
شمائل مشغوف بمرآك مشتاق

وصل زهرات منه صفرا كأنها
وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

وفى حرف اللام جاءت ثمانية أبيات من قصيدة ذكرت بعشرة أبيات في الاحاطة ، والبيتان الساقطان همـــــا : ( بعد البيتين الاولين ) :

**فى كل قلب عزيزات مذللــة**

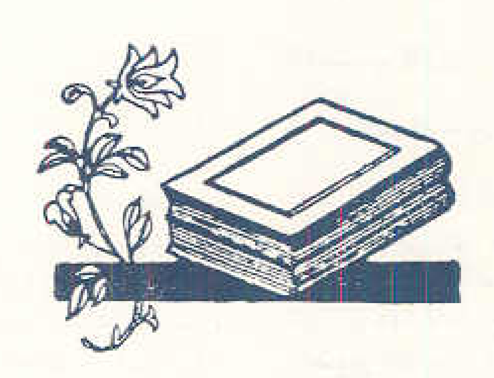
**(للحسن) والحسن ملك حيث جل (ولي) ؟**

( بعد بيتين آخرين ) :

**هيهات أبغي به من غيره بـــدلا**
**أخرى الليالي وهل في الغير من بدل**

هذا وهناك ملاحظات ، بعضها على الشكل وهي قليلة جدا ، والغالب أنها من الطباعة ، وبعضهـــا لا يتصل اتصالا جوهريا بالموضوع مثل تعليقه فى صفحة 34 على مكناســة الزيتون بأنها مدينة بالمغرب على البحر

وقد وضعنا بعض الكلمات بين هلالين . امـــا لكونها ســاقطة او سقط منها حرف ، او مصحفة فى الاصل او وضعت فى غير مكانها من مصراعي البيت وهناك بعض الابيات الاخرى لم تهتــد لتصويبهـــا فاثبتناها كما هي متبهين على ذلك وعلى ما فيهـــا من كسر لوزنهــا .



# فصول

## في الدين والأدب والاجتماع

● تأليف : الاستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض
● عرض وتقديم : الاستاذ عبد الرحيم بن سلامة

مؤلف هذا الكتاب من الباحثين السعوديين المرموقين الذين تتبعت انتاجه منذ نحو عشر سنوات ، حيث تعرفت عليه أولا من خلال كتاباته التي نشرها فى مجلات مختلفة ، ثم التقيت به فى جلسة ادبية مع مجموعة من الادباء والمثقفين العرب.

أما الكتاب الذي اهداني اياه فهو عبارة عن بحوث ودراسات قيمة فى الدين والادب والاجتماع ، عالج المؤلف فيها قضايا كثيرة جعلت كتابه هذا يصدر مستوفيا لمتطلبات الكتب ذات الاسلوب الرفيع والموضوعات المنتقاة ، الشيء الذي جعل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يقول فى تصديره للكتاب : « والكتاب الذي بين ايدينا ... كتاب فريد فى بابه ، ولا اشبهه الا بكتاب العقد الفريد ، وعيون الاخبار وزهر الآداب ، والكشكول للعاملي والمستظرف للابشيهي » .

وعلى العموم فان الكتاب من الحجم المتوسط يقع فى ستمائة صفحة مقسمة الى عدة فصول مرتبة على ستة أقسام تناول فيها المؤلف الموضوعات التالية :

1) المسلمون بين الماضي والحاضر
2) العلوم والمعارف
3) الادب والبيان
4) قصص وشخصيات
5) طلب العلم وبثه
6) الناس والحياة .

ونظرا لكون الموضوعات التي تدور حولها اقسام الكتاب تهتم بثلاثة نواحي هي : الدين ، والادب ، والاجتماع ، فاننا ارتأينا ان ننتقي من الكتاب بعض الابحاث التي عالج فيها المؤلف جانبا من هذه الجوانب .

### القسم الاول :

### المسلمون بين الماضي والحاضر

تطرق المؤلف فى هذا القسم الى النواحي الكثيرة التي لها علاقة بالاسلام والمسلمين فحلل واقع الاسلام والمسلمين منذ البعثة المحمدية الى عصرنا هذا الذي طغت فيه الماديات وانقلبت المفاهيم واصبح الانسان تائها متحيرا يجهل ماضيه العريق وقلق من حاضره التليد ومتخوف من مستقبله الغامض .

وهكذا نجد المؤلف يقول عن الاسلام : « الاسلام دين الفطرة ، والنفوس اذا ما عرفته اقبلت عليه راغبة راضية يحدوها الامل الباسم ، والغد الكريم ، والسعادة العاجلة والآجلة .

وينعم الانسان فى ظلال الاسلام بالهناء وراحة النفس ، وهدوء البال ، وان كان حظها من المال والمنصب قليلا » .

وعن الدين الاسلامي وأعدائه كتب المؤلف يقول : « لم يجد أي دين من المقاومة والعناد والحرب

ما وجد الدين الاسلامي ، وقد تألبت عليه فرق شتى وطوائف مختلفة ومذاهب متعددة ، وحاولت القضاء عليه وازالته من الوجود قوى طاغية لها من الامكانيات المادية الهائلة ومن الاختراعات وقوة الصناعة وامتلاك الاسلحة الفتاكة والخبرة بالاساليب الشريرة ما يهيل العقول : وقد بقي الاسلام شامخا كالطود قويا ثابتا مع ما توالى عليه من المحن وما تعرض له من الفتن في كل الازمان ، وذلك من آيات الله الدالة على ان قدرة الله فوق كل قدرة ، وان ما حفظه الله فلن تستطيع قوة مهما تجبرت ان تهلكه او تدمره » .

وكتب المؤلف عن الشيوعية يقول : « الشيوعية مذهب هدام ، مناقض للفطرة والعقول والاديان ، وهي تتسرب بالدعاوي البراقة ، والاضاليل الملفقة ، وهي تزعم انها جاءت لرفع مستوى الطبقة العاملة ، مع انه ليست في الدنيا كلها — في قديم الزمان او حديثه — شيء يضر بمصلحة العامل ويقضي على طموحه ويسلبه جهوده ويقسو عليه ويغمط حقه مثل الشيوعية .

ان المغفلين والمخدوعين هم الذين يقعون في شراك الشيوعية ويسقطون في فخاخها ، ثم لا يستطيعون الخلاص ، وانما يحتويهم سجنها الكبير واسوارها الرهيبة ، ويندر أن يجد اقوام الطريق للفكاك من زبانيتها وشياطينها ، وان يقدروا على الهرب من سجنها الرهيب ...

ان الشيوعية تنكر وجود الله وتجحد النبوات وتسخر بالدين والمتدينين وتناهض الاخلاق الكريمة وتقاوم الجهود الفردية وتسخر الطبقة العاملة وتستغل فئة قليلة من جماهير الشعب لاغراضها الخاصة اسوأ استغلال وابشعه .

وقد اوصى المرحوم احمد امين ابنه في كتابه « الى ولدي » قائلا : « والانس بالدين طبيعة النفس وراحة الروح ، فاذا سلبت من تانس به احسست بالوحدة والوحشة وتململت من الفراق ، ان الناس يعدون الحواس خمسا ولكني اعتقد ان هناك في كل انسان حاسة سادسة هي حاسة الدين ... من فقدها فقد عنصرا هاما من عناصره ، وركنا عظيما من أركان حياته ، ولذلك هدأ المؤمن واضطرب الملحد ، وهذا هو الشان في الشرق والغرب والمدنية القديمة والمدنية الحديثة ... اي بني ان الايمان بالله يملأ فراغ النفس ، ويوحي بالطمانينة ويوثق الصلة بين الفرد واهله ووطنه كما يوثق الصلة بينهم جميعا وبين الله . فنصيحتي لك ان تؤمن ولو الحد الناس ، وتوثق الصلة بينك وبين الله ولو قطعها الناس » (1) .

وعن اخطار المذاهب التبشيرية التي اخذت تغزو العالم ، والبلاد العربية والاسلامية ، كتب المؤلف يقول عن الماسونية : « الغزو الثقافي هو اخطر انواع الغزو وهو يأتي في صور كتب وصحف واذاعات وسينما وغيرها وعن طريق المراكز الاجنبية التي تبث سمومها والتي يتولى الترويج لها أناس دربوا للقيام بمهمات ذلك الغزو ، سواء علموا الاهداف البعيدة والمرامي القاصية أم كانوا ممن يسميهم اليهود في برتوكولاتهم العميان الذين ينفذون اهداف الاعداء بدون وعي ، ولعل الماسونية بأسمائها المختلفة وشعاراتها المتلونة وانديتها الكثيرة واساليبها الشيطانية هي اشد ما يواجه العالم الاسلامي في هذا العصر ، سواء كانت مكشوفة أم متسترة بستار المدنية والحرية والمساواة والاخاء ام كانت محتمية بالشيوعية او الصهيونية او الكنيسة ، فهي اشد ما ابتلى به المسلمون لما لها من أساليب ماكرة ومؤامرات فظيعة ، ولذلك يجب محاربتها .

## القسم الثاني :

## العلوم والمعارف

لقد اخترنا من هذا القسم هاته الرواية التي نقلها المؤلف عن ما جرى بين الرشيد وسهل بن هارون : « دخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المامون فقال : اللهم زده من الخيرات وابسط له من البركات حتى يكون في كل يوم من ايامه مربيا على امسه مقصرا عن غده . فقال له الرشيد : يا سهيل من روى من الشعر احسنه ومن الحديث افصحه واوضحه اذا رام ان يقول لم يعجزه القول ، فقال سهيل : يا امير المؤمنين ما ظننت ان

(1) لقد قرانا مؤخرا في الصحف دعوة بعض رواد الفضاء الذين كانوا لا يؤمنون بالله ولا يدينون بدين الى الايمان بالله ووحدانيته فهم عادوا من رحلتهم الى الارض مقتنعين بأن هناك خالقا لهذا الكون يجب ان تتوحد الانسانية في عبادته .

احدا تقدمني الى هذا المعنى قال : بل اعشى همدان حيث يقــول :

رأيتك امس خير بني لــؤي
وانت اليوم خير منك امس

وانت غدا تزيد الخير ضعفا
كذاك تزيد سادة عبد شمس

**القســم الثالــث :**

**الادب والبيــــان**

ان من البيان لسحرا ــ فكم ازال البيان مــن جفوة وقرب من ود ونقى من كدر واطاب نفوسا ملأها الغضب فتاهبت للانتقام واستعدت للفتك فان سحر البيان يبدد العداء ويستجلب الصفاء فيتحول الخصام الى وئام والجفاء الى حب ، وفى هــذا الصدد قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عمارة بنت الاشتر فاستاذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمــت عليه فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر قالت بخيــر يا أمير المؤمنين ، قال لها أ نت القائلة لاخيــك :

شمر لفعل ابيك يابن عمــاره
يوم الطعان وملتقى الاقــران

وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهــوان

ان الامام اخا النبي محمــد
علم الهدى ومنارة الايمــان

فقد الجيوش وسر امام لوائه
قدما بابيض صارم وسنــان

قالت يا امير المؤمنين مات الراس وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي . قال : هيهات ليس مثل مقام اخيك نسي . قالت صدقت والله يا امير المؤمنين، ما كان اخي خفي المقام ذليل المكان ، ولكن كمــا قالــت الخنســاء :

وان صخرا لتأتم الهداة بــه
كأنه علم فى رأسه نــــار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائــي مــا استعفيته ، قال قد فعلت فقولي حاجتك : قالت :

يا امير المؤمنين : انك للناس سيد ولامرهــم مقلد والله سائلك عما افترض عليــك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانــك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دبــاس البقــر ويسومنا سوم الخسيسة ويسألنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة قدم بلادي وقتل رجالي واخذ مالــي ولــولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما فعرفناك ، فقال معاوية ، اياي تهددين بقومك ؟ والله لقد هممت ان اردك اليه على قتب اشرس فينفــذ حكمه فيك ، فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه
قبر فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا
فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابي طالــب ، قال : ما ارى عليك منه ثارا :

قالت : بلى اتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنــا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدتــه قائما يصلي فانفتل عن الصلاة ، ثم قال ــ برأفــة وتلطف ــ هل لك حاجة ؟ فاخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال : اللهم اني لم آمرهــم بظلم خلقك ولا ترك حقك .

ثم اخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه ( بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين ) .

ثم قال معاوية : اكتبوا بالانصاف لها والعــدل عليها فقالت : الي خاصة أم لقومي عامة ؟ قال : وما انت وغيرك ؟ قالت : هي والله اذن الفحشــاء واللؤم ان كان عدلا شاملا ولا يسعني ما وسع قومي ، قال هيهــات :

فلو كنت بوابا على باب جنة
لقلت لهمدان ادخلوا بســلام

**القســم الرابــع :**

**قصــــص وشخصيــــات**

فى هذا القسم قدم المؤلف قصصا شيقــة وعرف بشخصيات كثيرة من مختلف العصور ، ولعل

مجال هذا العرض لا يتسع لتقديم نماذج من موضوعات هذا القسم مفضلين الانتقال الى القسم الخامس الذي خصه الاستاذ زيد بن فياض للعلم ووسائل بثه .

**القسم الخامس :**

## طلب العلم وبثه

في هذا القسم يتعرض المؤلف الى اهمية العلم وما قيل فيه من فضائل عبر العصور ويأتي في ابحاثه بامثلة كثيرة من ذلك قول الشعبي في آداب العلم : جالسوا العلماء فانكم ان احسنتم حمدوكم وان اسأتم تأولوا لكم وعذروكم وان أخطأتم لم يعنفوكم وان جهلتم علموكم وان شهدوا لكم نفعوكم .

الى غير ذلك من النوادر والاقوال والامثال التي دونت عن فضل العلم والعلماء لا يسع المجال لاستعراض معظمها .

**القسم السادس :**

## الناس والحياة

هذا القسم هو الذي اخذ عدد هام من صفحات الكتاب حيث ضمنه المؤلف كل الاحاديث التي كتبها لاذاعة الرياض او التي نشرها في الصحف والمجلات، وهي بحق موضوعات توجيهية جد هامة لم يغفل فيها المؤلف اي جانب من جوانب الحياة وقد اخترنا من بين الموضوعات ما كتبه المؤلف عن القلق حيث قال: ينعت هذا العصر بانه عصر القلق ، والسبب واضح وهو اعراض الكثير من الناس عن الدين الذي به سعادة الدارين والاطمئنان النفسي ، وانه لمن المؤسف ان كثيرين قد اصبحوا ينظرون للاشياء نظرة مادية صرفة ، وقد اسقطوا الدين من حسابهم وتخيلوا السعادة كل السعادة في المال او الجاه او الوظيفة او التقرب من الكبار والوجهاء وغفلوا عن ذكر الله وعبادته ، فاصبحت حياته شقاء في شقاء ، فالحياة دون عقيدة زيف وضلال .

— ◆ —

انه عرض موجز لكتاب الصديق زيد بن فياض وهو كتاب يستعرض جهود كاتب حنكته التجارب وعاركته الحياة فانطلق قلمه الفياض ليصور جوانب هامة من الحياة على الصعيد الديني والادبي والاجتماعي ، وانه في رأيي الخاص ليس هناك اية انتقادات او ملاحظات يمكن اثارتها في هذا التحليل السريع .

ان الارض لا تخلو من قائم لله بحجة . واين أولئك الاقلون عــددا والاعظمون قدرا ، اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة ، صحبــوا الدنيا بأبدان وأرواحها معلقة بالمحل الاعلى ، أولئك هم الربانيون .

**علــي بن أبي طالــب**

# ديوان المجلة

- في الصحارى طباع غير مائلة
- بين قلب ورب
- فداء إلى النصر



ان الاسلام يتمتع بامكانات هائلة ، واذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحاً أمامه فان كثيراً من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، وهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الشرقية والغربية »

جاك أستروي في كتابه :

« الاسلام امام التطور الاقتصادي »

# وفي الصحارى طباع خير ماثلة

لشاعر المغرب العربي الكبير :
الاستاذ مفدى زكرياء

تحية شاعر المغرب العربى الكبير لموريتانية العربية رئيسا وحكومة وشعبا ، بمناسبة تخليد الذكرى السادسة عشرة لاستقلالها المجيد .

عج بالديار ... وتاج المجد والكرما　　واسمع لقلبك ... يعزف حبه نغما

ارض الاحبة ... كم ثارت مواجدنا　　شوقا اليكم ... تناجى النيل والشيما

ونغرف الشعر صرفا ، من منابعكم　　تسرى اصالته ـ ملء العروق ـ دما

ونقبس الوحى من همس الرمال التى　　نخيلها ... فوددنا ان نكون فما

وفى الصحارى السكارى الحالمات لنا　　صلب ... يناغم فى اوصالنا الرحما

ارض الصفا والوفا ... لم تال تغمرها　　ذكاء .. ذكاء .. فدينى وقدها الرمما

ومهبط الوحى ... فى دنيا عباقرة　　( لم تدر الا الندى ... والسيف والقلما )

وذكريات من الامجاد ناصعة　　كشمسها ... تلهب الاحساس والهمما

تسقى السما ... ويسمو الروح ترتهما　　فيجريان سواء ... سيلها العرما

وفى الغدير ... ظلال من جآذرها　　تسابق الشمس ... لا تلقى لها السلما

ويكتويها الطوى ، فى حرها جمرة　　فتقضم البان .. والنعمان .. والعنما

والعيس .. تطوى الفيافى .. وهى حالمة　　تنفى يداها الحصى .. والشيح .. والرتما

ويستريح رعاء الشاء فى دعة　　مذ ضم حب السلام الذئب والغنما

وتغرف الماء عشر من أناملها　　تخضب الطين منها الكف والقدما

وللسماكين .. والاسماك .. ملحمة　　غنى بها العارض الوسمى حين هما

واليم غازل فيها الرمل منسجما　　فما دنا منه حتى ارتد محتدما

وتحت هذى الخيام الشقر ، مجتمع     من الرعابيب ، عاش الدهر محتشما

يطوف هاروت ، يستجدى سواحرها     فينثنى — دونها — هاروت منهزما

وتحت هذى الخيام السمر ، كم نبعت     حضارة لم تزل — ملء العروق دما

وبين اوتادها تختال قافلة     من ناصع الشعر ، تذرو اثم من هدما

وفى الصحارى .. طباع الخير مشرقة     ومعشر لم يزل بالله معتصما

تسمو عن الزور والبهتان فطرته     ويعشق الفضل والاخلاق والقيما

بها نزلت رحابا ... كم شغفت بها     اقبل الشعب ، والمختار والعلما !

وفى حنايا ( نواق الشط ) لى ملا     من الاحبة ... اربى حبهم ، ونما

قرات فى القسمات الغر ما طفحت     به الجوانح فاستلهمتها الكلما

فتمت فى رحب هذا الشعب ، اسمعه     فى عيد فرحته — من وحيه — النغما

اهدى التحية لاستقلال مقدسه     وللاصالة فيه ارفع الهرما

ابثه صفو حب ، من وشائجه     فى مغرب عربى ... لم يخن ذمما !

واستعيد مع المختار قصته     لعلها تلهم الاجيال والامما

سالت ( شنقيط ) عن بحر وقافية     للمنتهى تتسامى تفجا التدما

وعن جلال عمود ، ظل ملتزما     لمجد يعرب ، ما حابى ، ولا اجترما

مجنح الروح .... تستعصى ارومته     عن ردة ... تجرف الشذاذ والقزما

لا تنكروا فيه ( حسانية ) زخرت     أليس ( حسان ) راع العرب والعجما !

( الضاد ) يجرى فى خوالدها     يشدو الهوى ، والمنى ، والشعر والنغما

فعاش ، يطوى الليالى شامخا ابدا     وظل كالقدر الجبار مرتسما

فقال ( شنقيط ) والدنيا تسانده     فكلنا اليوم ( حسان ) ولا جرما !

لا تتركوا ( بولزاريو ) الشعر ... يمسخه     فالشعر ، مثل الصحارى — لم يزل حرما !

***

يا وحدة . صهر المختار ولحمتها —     بعد الشتات ... فعاد الشمل والتأما

آسى جراحات ( تيرسى ) بعد محنتها —     ( خمسا وسبعين ) واسترعاه فالتحما

وانضم شلو الى جسم ، يقاسمه     دم الشرائين ... لم يتركه منقسما

قوام وحدته ، دين ومعرفة     من نبع عدنان ، يجلى الظلم والظلما

( وحزب شعب ) عتيد ، ظل يرضعها     حب النظام ، ويمضى للبناء قدما

( احدى وستين ) شادت صرح وحدته
فاصبح الحزب — لا الاحزاب — محترما

( خمس وسبعون ) و ( الميثاق ) يشرعه
مختار ... يوضح فيه النهج والنظما

فاصبح هذا الشباب الحر عن ثقة
فى حزب شعب عتيد ، وانضوى ، فسما

قاد الحوار الى الاقتناع ، فاصطفيا
دما جديدا عريقا ، يلهب الهمما

الشعب زكاه ... والمختار ، باركه
والحزب فجر فى اعماقه الشمما

فى موطن — عانق العرب الكرام به
افريقيا — واعادا العهد والقسما

تأبى البطولات فيه ، ان يرى شيعا
وان يكيد له ، من يقطع الرحما

ويسخر الرمل فى ( تيرسى ) بمن زرعوا
فيه عصابات شر ، تعبد الصنما

هم يجحدون حقوق الجار عن سفه
طوع التفايات ، ممن يجحد النعما

كم راود القوم للحسنى ، ذوو رحم
وفى المسامع وقر — والعيون ، عمى

وفى الجزائر ، ابطال نفوسهمو
حيرى .. وفيها من المسترزقين ، دمى

وغاصب الحكم ، لا يصغى لوازعه
يوما ، ولا يعرف الاذعان والندما

يملى له الله ( حينا ) ثم ياخذه
وقد رضينا به فى امرنا حكما

قولوا لمن رام اجهاضا لوحدتنا
نحن الالى بددوا الاوهام والحلما

نحن الالى حالف التوفيق وحدتنا
فاسترصخت تنسف الاطماع والنهما

نحن الالى تحمد الدنيا مسيرتنا
ويصرع العزم فينا الموت والعدما

نحن الالى سوف نبنى صرح وحدتنا
فى مغرب عربى الهم القمما

مختار والحسن الثانى ، وصنوهما
حبيب تونس كم شادوا لها هرما

لن يخزى الله شعبا فى قيادته
ما دام والقادة الاحرار منسجما

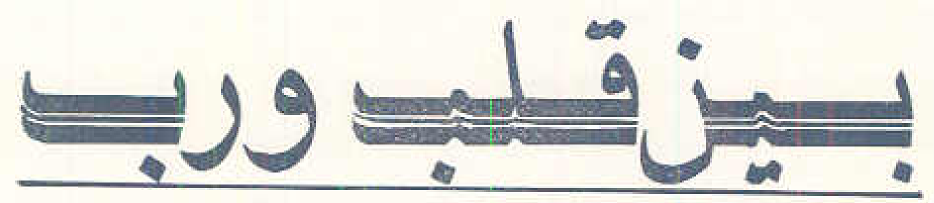
ولن يشل ابن آوى صدق وثبته
ما دام بالدين والاخلاق معتصما

فاسلم — فديتك — يا مختار فى وطن
اصبحت للمثل العليا به علما

واهنأ بحجك — يا مختار — فى حرم
سر النبوة فيه انقذ الامما

واقبل — فديتك — يامختار — حب فتى
يقبل الشعب — والمختار — والعلما

**مفدى زكرياء**




للشاعر الأستاذ
عمر بهاء الدين الأميري

المـى من جذور عينـى تداعـى
كـل جسمى له ، سهادا وحمـى

وبراسـى من غـور اطرافـه
شـاع دبيب الاذى وذاع وعمـا

وتوالـت على من وطنـى الانبـاء
كالعاصفـات هـزت خضمـا

كلمـا قلـت : عن قريـب يولـى الليـل ،
القـى جـرانـه وادلهمـا

همتـى ترسـم المناهـج فى امـرى
وامـر العلـى وتصعـد قدمـا

والفجاءات تهدم الامل المنشود
والخطة المرجـاة هدمـا

قدر الله فى الغيـوب بصيـر
بيـد ان الاعصـار يفتـك اعمـى

ويظـل الابـى يمضـى ويستنفـد
وسـع الجهـاد مهما .. ومهما

فاذا الغارة الغشوم أصابـت
مقتـل الحـر فجـأة مـات شهمـا

***

يا إلهي في الكرب ، والدرب داج ،
ومرادي من عابر العيش أسمى

وليالي عمري تفركسهم
طاش عن قوسه وأخطأ مرمى

قد دعاك المضطر في خفقة
القلب ، مقرا بالذنب ، جهلا وعلما

يخطىء الحر ، وهو يستغفر الله
صلاة ، ويذكر الله صوما

فتحمل عن الصغير الذي قلدته
أمرك الكبير الأهما

فالفتى اشتد ، والعداة اللد
خطب بالعالمين ألما

***

يا إلهي استخلفتني ولك المجد
وعزمي بالإله يشتد عزما

كبلتني اللأواء والغربة الليلاء
فازددت فوق همي هما

يا إلهي يكاد ينحل قلبي
ولك الأمر بينا ومعمى

لك أسلمت راضيا كل ذاتي
وشكاتي ، فجد علي بنعمى

وأعني ، وأطلق النور في سعيي
فأبدو في وقدة الظهر نجما

ساطعا يبهر الشموس ويهديها ،
شهابا في مقتل الكفر سهما

# فداء إلى النّصر

للشاعر الأستاذ المدني الحمراوي

فداء له سطوة تردع ... قرودا بهم تبتلى الاربع
فداء العروبة هز الدنى ... وطارت له شهرة تسمع
اباء به عرفت أمة ... طبائعها للعلى تنزع
وعزم لاجيالها لم يزل ... لآيات امجادها يبدع
اذا هب يوما الى غاية ... فليس له دونها مرجع
وغضبة شعب اذا هاجها ... مثير يهج ثورة تفجع
اذا ما استباح الحمى غاصب ... يباغته من هولها زعزع
يسد المناهج في وجهه ... ويرمي به حيث لا يرجع

—×—

هم العرب اوطانهم حرة ... وراياتهم للعلى ترفع
وأبناءهم بالفدى اغرموا ... فلن يستذلوا ولن يخضعوا
ليوث الكفاح وفرسانه ... وشمسه من افقهم تطلع
وفي ساحة الحرب قد ابصروا ... حياة وهم صبية رضع
وفيها لامجادهم موسم ... بهيج ، وفيها لهم مرتع
وضوضاءها عندهم نغمة ... يسر بها القلب والمسمع
هم الناس ليس لهم مشبه ... ولا مثل امجادهم يصنع
الم يملكوا الارض في حقب ... فكانت لسلطانهم تخضع ؟

وكانت بقرآنهم جنة    لكل الانام بها موضع
وكانت بأفكارهم حرة    جوانبها بالحجى تسطع
بروح الكتاب بنوا مجدهم    يسددهم خلق أرفع
وبالعدل – لا بالهوى – اسسوا    بناء به الارض تستمتع
بنور معارفهم أشرقت    وكان الظلام بها يفزع
فهم أيقظوها ، وكانت على    حصير جهالتها تهجع
وهم أنهضوها ، وكانت على    تراب الشقا – قبلهم – تقبع
وهم علموها ، وهم مدنوا    شعوبا على نهجهم تطبع
مآثرهم لم تزل غضة    ومعروفهم لم يزل يمرع

—×—

فكيف استباح منابتهم    قرود لهم في الحمى مقبع ؟
اتوا كالوباء على بغتة    تسعرهم احنة تلذع
وهب اللئام الى حتفهم    ولكن كما استأسدت اضبع
وما شأنهم بالعلى ؟ انما    هم – الدهر – زعنفة تخنع
وقد عودتهم خساستهم    – من الذل – للغير أن يركعوا
فقد رضوا الذل طول المدى    فلم يقطموا عنه أو يقلعوا
فكيف تصح لهم عزة ؟    وقد فاتهم سرها المبدع
وكيف تتم لهم دولة ؟    وهم بدد ما لهم مجمع
لقد غرهم من به استنجدوا    وخاب لهم في العلى مطمع
وعرضهم للردى مغرض    وحظ لهم سيء اسفع

—×—

« فلسطين » للعرب اقطارها    وما لسواهم بها اصبع
أبى الانس والجن ذلك أم    ارادوه ، انه لا يدفع
وتلك حقيقتنا ، اننا    – يقينا – على امرها نجمع
وفيها نذوب ، ومن أجلها    نحارب صفا ولا نردع
وتلك عقيدة شعب غدت    شعارا له ؛ فيها يصدع
يعبيء من أجلها حاضرا    يمده غابره الامنع
وفيها مفاخره تلتقي    ويحشد تاريخه اجمع

« فلسطين » ان لم تصر حـــرة ... وللعرب ؛ فالحرب لا تقطع
الى أن تعود سيبقى الفــدى ... وحرب بها للعدى مصرع
ولسنا نبالي اذا أسترسلت ... حروب ، وساء لها موقع
الى الحشر قد صممت امة ... على أن تحارب من يمنع
فما للعروبة من قيمة ... وللدين من شرف يرفع
اذا لم نحرر فلسطيننا ... وفيها تواريخنا تزرع
وفيها لنا شرف معرق ... ومجد عظيم السنا أوسع
وقبلتنا ـ أولا ـ مسجد ... له حرمة نورها ينصع
ومسرى رسول الهدى جاءه ... فصلى وطاب به الموضع
وصلى به عمر بعده ... خليفته المرتضى الاورع
ومهد المسيح الطهور الذي ... يجله قرآننا الاروع
فكيف القعود ؟ وأمجادنا ... هناك تنادي ، ألا تسمع ؟
وموسى وعيسى مع المصطفى ... يقولون : هبوا ولا تجزعوا
فقد نجس البغي آثارهم ... وحاق بها منه ما يفظع
وداس تعاليمهم كلها ... ولم يرعو المجرم الاوكع
فتلك الكنائس قد اقفرت ... فليس بها راهب يضرع
وتلك المساجد مهجورة ... فليس بها مؤمن يركع
وتلك « القيامة » محزونة ... ومسجدنا حولها يخشع
و « صخرته » تشتكي غربة ... وتبكي وإن لم تر الادمع

—×—

فيا ضيعة الدين في « قدسه » ... ويا اسفاه لما يجرع !
متى ينصر الدين أصحابه ... متى ينجلي كربه المفزع ؟؟
متى يسترد الحمى اهله ؟ ... فيغسل عار به نقدع
ويطرد وحش يعيث به ... فسادا ، متى نابه تقلع ؟
وتنكا قرحة احفاده ... ويقلق « صهيون » او يبضع
فيمحق باطله المفترى ... ويرفع عن حقنا برقع
وتستبشر الارض ان أصبحت ... وليس بها سمه الانقع
وليس بها خبث انفاسه ... وليس بها مكره المفظع
وباء وبيء به تبتلى ... وداء عياء به تصرع

فليس لها ـ ابدا ـ راحة    اذا ما استمر بها يرتع
وليس بها هدنة ترتجى    ولا للرخاء بها مطلع
فذلك « صهيون » داء الورى    وحرب السلام التى تفظع
مبيد الحضارات سر الشقا    ونسج اليهود الذي يرقع
وكيد قديم جديد لهم    وحقد دفين لهم يلسع
عليه انطووا للورى كلهم    ومنهم كوارثه تنبع
فكم اوقدوا من حروب ، وكم    اطاحوا رؤوسا ، وكم روعوا
وكم امة اكرمت نزلهم    فصاروا لها علة تنقع
وصاروا لثروة ابنائها    لصوصا ، لهم حيلة تخدع
فهم ساسة المال ؛ لا ينتحي    سواهم ، وعباده الخشع
ابالسة الدهر ، بل شؤمه    ففي كل شعب لهم مهيع
يسيرون فيه بلا كلفة    ومن خلفهم فتن تتبع

—×—

وفى الشرق قد فجروا فتنة    ولكن بها داءهم يقمع
فقد ساقهم قدر غالب    الى حيث آنافهم تجدع
الى امة جربت مكرهم    فما معها مكرهم ينفع
بـ « يثرب » كانت لهم غدرة    وكانت مكايد تستبشع
فكم دبروا قتل خير الورى    ولم يتركوا حقه يسرع
وكم عاهدوه على ذمة    ولكنها ذمة بلقع
فبالغدر ـ من قدم ـ اغرموا    عليه انطوت منهم الاضلع
دناءتهم لم تزل تدلة    واحقادهم كالقنا تشرع
نفايات خلق وامراضه    فليس لهم خلق يشفع
متى يستريح الورى منهمو    ويطوى لهم شبح ابشع ؟
متى ينصف الدهر من كيدهم    شعوبا بويلاتهم تقرع ؟
متى الحق يخمد انفاسهم    وبالعدل اقفاءهم تصفع ؟
كاني بليل رهيب الردى    اتتهم مواحقه تهرع
فلم تبق من كيدهم قطرة    ولم يبق فى قوسهم منزع
لقد نفد المكر ، واستشعرت    طواغيتهم نكبة تصقع

—×—

فداء العروبة لا ينثني ... ولا يستكين ولا يقلع

الى أن يدق جماجمهم ... ويتركهم نبأ يسمع

ومن خلفه شعبنا كله ... بغير انتصاره لا يقنع

يمد الفداء بطاقاته ... فيمشي قويا ولا يظلع

تحيات شعب وتاريخه ... لجيش مواقفه تمتع

واعجاب دنيا باقدامه ... وفخر على جمعه يخلع

وغار البطولة فى هامه ... وتيجانها فوقها تلمع

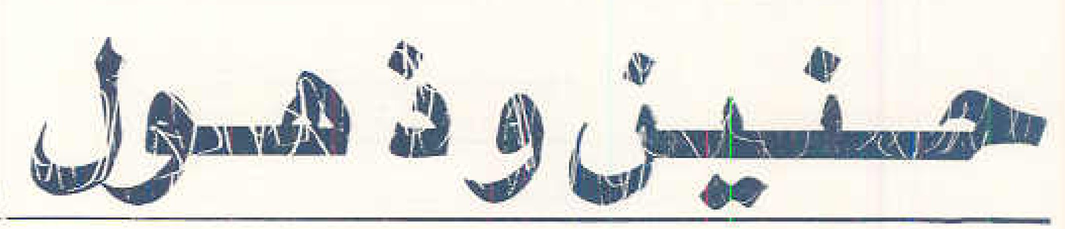
وحيى عصائب ابطاله ... ملائك نصر لهم تبع

بهم شرف العرب مستعصم ... ومنهم دواء له انجع

وبالله يكمل نصر الفدى ... وعن حقنا سحب تقشع

ومن ربنا العون مستمنح ... على ما بدانا وما نزمع

**الرباط : المدني الحمراوي**




للشاعر

غزي محمد

نظرت الى هذي المشاكل كلهـــــا
بعـين خشـوع ، لا خبيـر بحلهـــا
فلسـت على هـذا الـورى متألهـــا

وقلت : الهــي ، أنت وحـدك قــادر      ومـا كنـت يومـا عن عبـادك غافـلا

وعـدت الى نفسـي فقلت لها ، انظـرى
مشاكل هذا الخلق ، ثم تصـــــورى
اذا لم يكـن عـون الالـه المدبــر

ايمكن أن يرعـى الـوجـود ، مكـابـر      يدبـر هـذا الكـون وحـده جاهـلا؟

فمن اين يأتيهم بمـاء ومـأكـــل ،
وشمس ، واثـواب ، ومختلـف الحلـى
امـا يستحي قـوم ، بعقـل مغفـــل

وعلـم قليـل ، كـدرتـه المصـــادر      يقولـون ان العقـل أصبـح شامـــلا

ولما وجدت النفس يفقرهـا الغنـــى
ويسلبهـا حـب الحياة الى الفنـــا
وصاحت تنادى المال : نفسى أنا ،، انـــا

ربـأت بنفســى أن يقال مغـامــــر      ينادى الهـا ليس ينفـــع زائـــلا

وقلت لماذا والحياة الى زوال
اناديه مجروحا ، الى انا تعال
وعند الهى ، ما رجوته من نوال

وحسبى انى مومن به شاكر دعوته فى ذل ، وادعوه سائلا

ولم اتخذ زلفى اليه سوى الرجا
لعلى ان الله ان شاء فرجا
بدون وسيط ، ربما كان اعرجا

ومثلى ، على حقل الذنوب يباكر ليغرس فيه حسرة وسلاسلا

لقد خلق الله العباد ليعبدوه
ويرعوا جمال الكون ، لا ليبددوه
بكسب حلال نافع ، لم يابدوه

ومن اجل اخوان لهم لهو دائر يمتع هذا ثم ذلك ، جاهلا

ارى عالم اليوم استخف بدينه
ومال الى الدنيا بكل حنينه
اليها فقط ، شد الرحيل لحينه

واما الى الاخرى ، فليس يهاجر كانه فى الدنيا سيخلد راحلا

**شفشاون — غربى محمد**

# ● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

## تدشين خزانة المسجد الاعظم بسلا

● دشن السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مؤخرا بمدينة سلا خزانة المسجد الاعظم بحضور الكاتب العام للوزارة وعامل الرباط وسلا وباشا مدينة سلا ، ورئيس المجلس البلدي ونخبة من العلماء والمثقفين وأعيان المدينة . وتحتوي الخزانة على ثلاث قاعات تختص اثنتان منها بعرض الكتب في المواد الاسلامية والعلوم الانسانية والطبيعية باللغتين العربية والفرنسية ، وخصصت القاعة الثالثة للمطالعة .

والقى السيد الوزير بالمناسبة كلمة قال فيها :

**« يسرني فى هذا اليوم السعيد أن أحضر فى هذا المكان المبارك لتدشين خزانة أبت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الا أن تشيدها فى رحاب هذا المسجد لتكون موقع اشعاع وتربية وتثقيف لابناء هذه المدينة العزيزة . وان تدشين هذه الخزانة فى هذه البقعة التي اشتهرت فى ماضيها وحاضرها بتشبثها بالثقافة وبالعلم ، انما هو عمل نريد أن ندشن به سلسلة من الخزانات التي ستقبل الوزارة على انشائها فى المساجد والمدن الكبرى .**

**وآمل ان تؤدي هذه الخزانة رسالتها على أكمل وجه وان يجد فيها الرواد نقطة اشعاع وفكر فى هذه المدينة .**

**وقبل أن اختم هذه الكلمة أريد أن أعبر عن مشاعر الامتنان والشكر لكل الذين ساهموا فى انشاء هذه الخزانة سواء بخبرتهم او بما تقدموا به من مساعدات ، واشكر كذلك السلطات المحلية وعلى راسها سعادة العامل على اهتمامها بهذه المنجزات التي تعد فى نظرنا جزءا لا يتجزأ من عزة هذا البلد وعظمته وازدهاره » .**

## سفير باكستان يزور مديرية الشؤون الاسلامية

● قام سعادة سفير جمهورية باكستان الاسلامية بالرباط اليوتنا جنرال مالك عبد المجيد بزيارة مجاملة لمديرية الشؤون الاسلامية حيث كان فى استقباله الاستاذ محمد يسف مدير الشؤون الاسلامية . وقد دار الحديث بين السيد السفير الباكستاني والسيد يسف حول العلاقات الاخوية بين البلدين الشقيقين وآفاق التعاون المثمر فى مجالات الدعوة الاسلامية ونشر الفكر الاسلامي .

وقد عبر السيد السفير خلال هذه المقابلة عن اعجابه بالتطور الحثيث فى المغرب واكباره لمواقف جلالة الملك نصره الله مشيدا بجهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى ميدان التثقيف الاسلامي وتدعيم الصلة مع الدول الاسلامية الشقيقة لما فيه مصلحة المسلمين فى كل مكان .

## مشاركة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى مهرجان التجويد بتركيا

● أوفدت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ أحمد الشرقاوي من ديوان السيد الوزير الى مهرجان التجويد الذي انعقد مؤخرا بتركيا وشاركت فيه أربع عشرة دولة عربية واسلامية هي : المغرب الجزائر ، تونس ، ليبيا ، مصر ، الاردن ، الكويت ، العراق ، ماليزيا ، باكستان ، اندونيسيا ، يوغوسلافيا ، افغانستان ، تركيا .

والقى السيد الشرقاوي كلمة المغرب امام رئيس الوزراء التركي ووزير الثقافة اشاد فيها بانفتاح تركيا على العالم العربي والاسلامي مركزا على الدور التاريخي الكبير الذي لعبه هذا البلد الاسلامي فى اثراء الحضارة الاسلامية .

## الجزء الثالث من الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية

● صدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ( مديرية الشؤون الاسلامية ) الجزء الثالث من **« الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية »** للاستاذ الباحث عبد العزيز بنعبد الله المدير العام لمكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي . ومن المقرر أن تظهر اجزاء اخرى من هذه الموسوعة تباعا . وهي تعطي صورة مشرقة عن مظاهر الحضارة والثقافة المغربية وتظهر مساهمة العلماء والمفكرين

# من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

المغاربة في شتى المجالات الفكرية والحضاريـــة . وقد بذل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله جهودا شاقة في البحث والتنقيب والتبويب . وهو خير من ينهض بهـــذا العمل الثقافي الضخم .

## برنامج موسع لتحقيق الكتب الاسلاميـــة

● تصدر مديرية الشؤون الاسلاميـــة قريبـــا مجموعة من الكتب الاسلاميـــة القيمـــة بتحقيـــق الباحثين المختصين . ومن المقرر ان يصدر الجزء الثالث من تفسير ابن عطية بتحقيق المجلس العلمي لمدينة فاس ، كما سيصدر الجـــزء الخامس مـــن المدارك للقاضي عياض بتحقيق الدكتـــور محمد بن شريفة . اما كتاب « التمهيد » لابن عبد البر فقـــد صدرت منه خمسة أجزاء ، وسيصدر الجزء السادس قريبا بتحقيق الاستاذين سعيد اعراب ومحمد الفلاح ويليه الجزء السابع الذي فرغ من تحقيقـــه الاستاذ عبد الله بن الصديق .

ومن كتب التراث التي ستصدرهـــا مديريـــة الشؤون الاسلامية في القريب بحـــول الله كتـــاب « نشر البنود على مراقي السعود » لصاحبه العلامة عبد الله العلوي الشنقيطي . وكان قد طبع بالمطبعـــة الحجرية بفاس بأمر السلطان المولى عبد الحفيظ .

ويشتغل الدكتور محمد شبانة في تحقيـــق كتاب « معيار الاختيار في ذكر المعاهـــد والديار » لابن الخطيب الذي تقرر نشره هذه السنة .

وقد انتهى الاستاذ حسن السائح من تحقيـــق الرحلة الحجازية للبلوي .

## التقويم الهجري المغربي



● اصدرت مديريـــة الشـــؤون الاسلاميـــة التقويم الهجري المغربي في مائة وتسع صفحات من الحجم الصغيـــر ، من اعداد المؤقت محمد ابن عبد الوهاب بن عبد الرازق . وقد وزعـــت كمية كبيرة منـــه على الوزارات والمصالـــح الادارية والجالية المغربية في أوربـــا .



ويمتاز « التقويـــم الهجـــري المغـــربـــي بالجداول والبيانـــات المدققـــة الى جانـــب طائفة من الحكم والامثال والابيـــات الشعريـــة المختـــارة .

# شهريات العالم الاسلامي

## مؤتمر المجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي

● انعقد في داكار في أواخر الشهر المنصرم « المجلس الافريقي للتنسيق الاسلامي » حضره ممثلون عن عدد من الدول الافريقية الاسلامية .

وقد انتخب المجلس التنفيذي وهو يضم ستة عشر عضوا وبذلك اصبح رئيس المجلس من السنغال ونائب الرئيس من فولتا العليا والرئيس المساعد الاستاذ أبو بكر القادري من المغرب .

وقد اصدر المجلس عدة قرارات في مقدمتها بذل كل الجهود لنشر تعاليم الاسلام الحنيف في كافة ارجاء القارة الافريقية ، والعمل للتنسيق بين رابطات العالم الاسلامي والافريقي ، وبذل ما في الوسع من اجل رفع المستوى الثقافي والاجتماعي للشعوب الافريقية .

## اسبوع السلطان عبد الحميد بتركيا

● احتفل في تركيا مؤخرا باسبوع السلطان عبد الحميد . وقد دعت صحيفة « سبيل » الاسلامية الى ذلك تخليدا لذكرى آخر خلفاء الدولة العثمانية .

وعلقت صحيفة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب على ذلك بقولها :

**« لم يظلم رجل كما ظلم السلطان عبد الحميد فقد صوره اعداؤه رجلا ظالما طاغية متعطشا للدم يحكم بالحديد والنار ، ومع ذلك فقد استطاع هذا الرجل الذكي ان يحتفظ ما استطاع بكيان الدولة الاسلامية مدة 33 سنة ولكن قدر الله وسوء حظ المسلمين هو الذي مكن لاعداء الله من خليفة المسلمين ، واليوم بدا المسلمون يدركون اهمية الرجل وعظمته »** .

## 1 100 مليون دولار من السعودية لباكستان

● وافقت المملكة العربية السعودية على الاشتراك بمبلغ يقدر بمليار ومائة مليون دولار في مشروعات مختلفة بالباكستان في المجالين الاقتصادي والعسكري ، وقد اتخذ جلالة الملك خالد هذا القرار أثناء زيارته الاخيرة لباكستان ، وسيخصص مبلغ 560 مليون دولار اساسا لبناء المركز النووي الجديد .

## معهد للدراسات الاسلامية بباريس

● قررت الحكومة الفرنسية انشاء معهد للفن والدراسات العربية والاسلامية ، وستخصص له احد القصور التاريخية بباريس ، ويضم متحفا للآثار الاسلامية ومكتبة تحتوي على المراجع الاسلامية المترجمة الى الفرنسية واللغات الحية .

وسيقوم المعهد بتنظيم سلسلة من المحاضرات الجامعية بهدف القاء الضوء على جوانب من الحضارة الاسلامية وتقديم صورة حية للمواطنين الفرنسيين عن الفكر والثقافة العربية الاسلامية .

## أكاديمية للعلوم الاسلامية

● دعا مقرر جمعية « احياء التراث الاسلامي » بالقاهرة الى انشاء أكاديمية للعلوم الاسلامية لتكون خطوة رائدة وملهمة من اجل نهضة الاسلام والمسلمين .

وطالب بضرورة انتهاج التفكير العلمي لكي نعد انفسنا للهدف الذي نرنو اليه وذلك بتقصي ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من نظم وأحكام ودراسة عهد الخلفاء الراشدين ونظم الحكم والادارة والاقتصاد والفتح الاسلامي .

## بعثة من زعماء المسلمين في أمريكا تزور مصر

● قامت بعثة من زعماء المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية بزيارة لجمهورية مصر العربية تمثل جميع الهيئات الاسلامية .

## اعادة بناء مساجد السويس المدمرة

● اعتمدت الحكومة المصرية مبلغ 10 آلاف جنيه لتاسيس المساجد التي دمرت في مدينة السويس نتيجة العدوان الصهيوني ، وذلك كدفعة أولى تتبعها دفعات أخرى .

**المغــــــرب :**

تلقى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مجموعة من الكتب الاسلامية القيمة هدية من الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر . وقد بعث جلالة العاهل الى فضيلة الشيخ برسالة شكر أشارت اليها صحيفة الاهرام القاهرية .

وقالت الصحيفة ايضا ان جلالة الملك الحسن الثاني قد ارسل الى الدكتور عبد الحليم محمود المخطوطة الملكية للجامع الكبير للاطلاع عليها ... وعلقت الاهرام على ذلك بأن هذه اول مرة تعار فيها المخطوطة خارج المكتبة الملكية .

قدم الاستاذ احمد الاخضر غزال مشروع اصلاح الطباعة العربية لمؤتمر اليونسكو المنعقد مؤخرا بنايروبي معززا من طرف جميع البلدان العربية والاسلامية التي تستعمل الحرف العربي فى كتابتها فصودق عليه بالاجماع وطلب المؤتمر من جميع البلدان المعنية بتبنيه نهائيا بصفة رسمية لانه المشروع الوحيد الذي يحل جميع مشاكل اللغة العربية من حيث طبع الحرف العربي بجميع الوسائل المعيارية الدولية مع المحافظة على هياته الاصلية وضمان علامات الشكل الضرورية لرفع كل لبس وبالتالي للنهوض بالفصحى كما ان مشروع ادخال العربية المشكولة فى الاعلاميات على أساس وحدة التواصل بين الاقطار العربية بوسائل النظامات ( الادمغة الالكترونية ) والبراقات ( تيليكس ) للتحاور فيما بينها صدوق عليه كذلك بالاجماع وطلب المؤتمر من المدير العام ان يقدم هذا المشروع المسمى بالعربية المعيارية المشكولة بالشفرة العربية الموحدة الى المنظمات الدولية المكلفة بالتنميط الدولي لاعتماده كوسيلة رسمية للتواصل بين جميع البلدان التي تستعمل الحرف العربي فى كتابة لغاتها .

انعقدت بكلية العلوم بالرباط ندوة ثقافية حول موضوع « الشباب والمعرفة العلمية » التي تنظمها اللجنة الوطنية المغربية لليونيسكو . وذلك بحضور اعضاء الاتحاد المغربي لنوادي اليونيسكو لبحث القضايا العلمية ومكانتها فى حياة الانسان من خلال محاضرات الاساتذة المختصين .

حل بالمغرب مؤخرا مجموعة من الاساتذة المستشرقين بجامعة مانشستر فى انجلترا . وقد زاروا الخزانة الملكية حيث استمعوا الى شروح مفصلة من طرف الاستاذ عبد الرحمن الفاسي محافظ الخزانـــة .

وقد اوضح الاستاذ عبد الرحمن الفاسي ان الخزانة الملكية تحتوي على مخطوطات ووثائق ومطبوعات يصل عددها الى 25 الف كما تشتمل على نوادر المخطوطات فى العالم وان تاريخ انشائها يرجع الى عهد المولى اسماعيل اذ انشىء فى ذلك العهد ما يسمى « بديوان النسخ » ، وهي وزارة قائمة بذاتها تقوم بنسخ الكتب العلمية التي تصلها ، سواء من داخل المملكة او خارجها ، اما فى الوقت الحاضر فقد انشا صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ما يسمى – بجائزة الحسن الثاني للمخطوطات – وتجري كل سنة كما يتم تصوير النادر منها .

واوضح الاستاذ عبد الرحمن الفاسي فى الاخير ان الخزانة الملكية تستعمل احدث الطرق العلمية للمحافظة على الوثائق والمخطوطات .

زار المغرب الاديبان العراقيان جبرا ابراهيم جبرا وشفيق الكمالي . وقد نظم لهما اتحاد كتاب المغرب لقاء مع جمهور المثقفين بقاعة المحاضرات بوزارة الثقافــة .

من الدراسات التاريخية الجديدة التي تعززت بها المكتبة المغربية كتاب « **خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور وما جاورها حتى كدية الطيفور**» لمؤلفه الاستاذ محمد السراج القاضي سابقا بمدينتي سبتة ومليلية رد الله غربتهما .

# ● شهريات الفكر والثقافة

والمؤلف يهدي الكتاب الى جلالة الملك الحسن الثاني مع متمنياته **« بان تزف سبتة عروسا لجنابه العزيز »** .

والكتاب عرض تاريخي مسهب وتحليل ودراسة لمختلف مراحل الاحتلال الاجنبي لمدينة سبتة . ويستهل ببحث حول تسميتها وذكر القرى المجاورة لها ثم يسترسل في عرض الاطوار التاريخية من « القوط » الى طارق بن زياد الى الادارسة الى عبد الرحمان الناصر المرواني الى استيلاء الشيعة على المدينة . ومن الحكم المستنصر الى المنصور بن ابي عامر الى الحموديين الى الحاجب سكوت البرغواطي . ويمضي في هذا التسلسل الى عصر القاضي عياض ابن المدينة ويعرج على عبد المؤمن وولده سعيد ومن ثم الى العزفيين وفرج ابن الاحمر ثم يقف عند تمرد أهل سبتة على بني الاحمر ، لينتقل الى عهد بني مرين .

ويركز المؤلف على العصور الحديثة بعد ان يأتي على ذكر مفصل لتاريخ احتلال اسبانيا للمدينة ليعطي بعد ذلك صورة شاملة للحياة العلمية والاجتماعية والادارية للمغاربة في مدينتهم المحتلة بما في ذلك عادات السكان وتقاليدهم ومظاهر تشبثهم بالاصالة المغربية والثقافة العربية الاسلامية رغم ظروف الاحتلال القاسية . ويعزز المؤلف كتابه بالصور والخرائط .

● تعززت المكتبة المغربية بمعجم التربية والتعليم للدكتور محمد بن شقرون . وهو اتجاه جديد في التاليف التربوي قصد به المؤلف اظهار غزارة وتنوع المادة التربوية في الثقافة العربية الاسلامية . ولذلك يقول المؤلف :

**«وأدهى من ذلك أنك مما كلفت نفسك من عناء ، فلن تجد في مؤلفات هؤلاء الاساتذة ذكرا لمفكر عربي أو احالة على مرجع اسلامي . تصفح كتابا لتاريخ التربية العام يستعرض فيه مؤلفه أطوار الحركة التعليمية أو التربوية ، ويقدم نظريات الفلاسفة والمتفلسفين والخبراء والمربين ، ولكنه يجهل ويتجاهل ما خلفه مفكرو العرب والمسلمين من تراث أصيل يستحق الدرس والتحليل ، والنتيجة الحتمية هو ما يجنيه طلبتنا من أفكار ، اذ يعرفون عن أوروبا كل شيء ولا يعرفون شيئا في الغالب عما تركه اسلافهم من نظريات ودراسات وتحليلات في المواضيع التي تهم المعلمين والمتعلمين)».**

● كتب الدكتور عباس الجراري مقالا في مجلة ( الدوحة ) عدد ديسمبر تحت عنوان : من قضايا الفكر والادب في المغرب جاء فيه على الخصوص :

**« لسنا نزعم ان النقاب كشف كليا عن المكتبة المغربية ، ولا أن أسباب البحث العلمي قد تيسرت للدارسين ، فما زال الغبار الكثيف يخفي الكثير من تراثنا المكتوب ، وما زال الباحثون يتكبدون من المشاق ويصادفون من العراقيل ما يعوق عن الاستمرار ان لم يعق عن البدء . ولكننا مع ذلك نرى حقا لنا ـ نحن أبناء هذا الجيل ـ وواجبا علينا كذلك أن نقول كلمتنا نضيف بها دما جديدا أو نحرك الدم القديم على الاقل . ونحن على يقين من أنه يوم يزاح الستار عن المكتبة المغربية وما يكملها من مختلف ألوان التراث ، ويوم تتاح دراسة كل ذلك بموضوعية وفكر متحرر من كل ألوان القيود ، يومئذ سيعاد النظر كليا في تاريخنا الثقافي والحضاري ، وسيكتب هذا التاريخ من جديد ، وفي اطار يبرز الملامح الحقيقية للفكر والادب في المغرب »** .

**الجزائر :**

● الباحث الجزائري « موسى لقبال » اصدر كتابا عن « الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي : نشأتها وتطورها » ، تعرض فيه لجوانب من تاريخ المغرب في مختلف اطواره .

## شهريات الفكر والثقافة

تونس :

● أصدرت كلية الآداب بالجامعة التونسية كتابا باللغتين العربية والفرنسية بعنوان : « التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الثامن للهجرة » من تاليف الباحثة نجاة باشا .

● أقامت منظمة اليونسكو بالاشتراك مع المعهد القومي للتربية بتونس حلقة دراسية على مستوى البلاد العربية بمدينة « الحمامات » حيث المركز الثقافي الدولي وعالجت الحلقة موضوع مشكلات الكتاب والقراءة وقضاياها في الاقطار العربية .

● « البنية القصصية في رسالة الغفران » لحسين الواد صدر عن دار العربية للكتاب بتونس .

● « المعري وجوانب من اللزوميات » للحبيب حمادي أصدرته الدار التونسية للنشر .

● « شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى » لمحمد مصطفى بلحاج أصدرته الدار العربية للكتاب .

● « الزهريات » للشيخ سالم بن حميدة أصدرته الشركة التونسية للتوزيع بتحقيق وتقديم محمد الحبيب عباس في 288 صفحة .

ليبيا :

● ساهمت ليبيا بثلاثمائة الف دينار ليبي لتدفئة مسجد طوكيو ، وبمبلغ مماثل لمسجد في كوالامبور . وتقدم المجلس الاعلى الاندلسي للدعوة الاسلامية الى ليبيا بطلب مساعدة من أجل بناء مستشفى ابن سينا الاسلامي .

مصر :

● حصل الدكتور محمد مهدي علام على جائزة الدولة التقديرية في الآداب باغلبية اصوات المجلس الاعلى للفنون والآداب .

● الاعمال الكاملة للمفكر المصري « علي مبارك » ظهرت مؤخرا في مجلد يضم 13 جزءا من انجاز الدكتور محمد عمارة الذي أصدر من قبل الاعمال الكاملة لمحمد عبده ورفاعة الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي .

● أعادت دار « المختار الاسلامي » بالقاهرة طبع كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للعالم الهندي الكبير ابي الحسن الندوي .

● قواعد المنهج السلفي والنسق الاسلامي في مسائل الألوهية والعالم والانسان عند ابن تيمية» كتاب جديد للدكتور مصطفى حلمي .

● « نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع » لمؤلفه « هنري لاووست » صدر الجزء الاول منه في القاهرة بترجمة محمد عبد العظيم علي . وتقديم وتعليق الدكتور مصطفى حلمي.

● صدرت في القاهرة مجموعة كتب التراث الاسلامي التالية :

— « اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا» لتقي الدين احمد علي المقريزي ، من تحقيق الدكتور محمد حلمي ، محمد احمد ، والدكتور جمال الدين الشيال .

— تأويلات اهل السنة للامام ابي المنصور الماتريدي ، من تحقيق الدكتور ابراهيم عوضين والسيد عوضين .

— « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » للمولى تقي الدين عبد القادر التميمي ، ومن تحقيق عبد الفتاح محمد لحلو .

● « المجتمع الاسلامي والمجتمع الشيوعي : دراسة مقارنة » كتاب جديد يبحث في المذاهب

الفكرية والسياسية المعاصرة من وجهة نظر اسلامية علمية موضوعية من تأليف الدكتور زيدان عبد الباقي المدرس بكلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر .

● « مثالية الدعوة والدعاة » كتاب جديد لعبد الحفيظ فرغلي القرني صدر مؤخرا في القاهرة .

● « الحضارة والحرية » دراسات في الانسان والتطور الحضاري ظهر حديثا في مصر لمؤلفه اميل توفيق .

● « آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة » كتاب جديد للدكتور فؤاد زكرياء يضم مجموعة من المقالات النقدية التي نشرها المؤلف في الفترة ما بين 1964 و 1971 .

● الاستاذ الباحث محمد عبد الله عنان الموجود حاليا في المغرب اصدر مؤخرا المجلد الثالث من كتاب لسان الدين ابن الخطيب « الاحاطة في اخبار غرناطة » . وقد اعتمد المحقق على مخطوطين مهمين احدهما بمكتبة الاسكوريال باسبانيا والثاني بجامع الزيتونة بتونس ، ويبلغ المجلد الثالث ازيد من 600 صفحة تتضمن مجموعة كبيرة من التراجم تبلغ نحو 194 ترجمة للملوك والعلماء والادباء والمثقفين الاندلسيين .

**المملكة العربية السعودية :**

● « علم ادارة الافراد » آخر مؤلفات الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والاوقاف في المملكة العربية السعودية . ينقسم الكتاب الى ثمانية ابواب :

1 ــ نشأة وتطور علم ادارة الافراد
2 ــ وظائف علم ادارة الافراد .
3 ــ التحليل المهني للوظائف
4 ــ تجنيد القوة العاملة
5 ــ اختيار وانتقاد افراد القوة العاملة .
6 ــ تنظيم المؤسسة ووظائف الافراد داخلها
7 ــ تقييم الوظائف
8 ــ التوجيه المهني والتدريب .

ويقع الكتاب في 300 صفحة من القطع المتوسط .

● صدرت في المملكة العربية السعودية مجلة جديدة بعنوان « المجلة العربية » ، وقد وصلنا منها العدد الثاني وبه موضوعان عن المغرب ، الاول استطلاع مصور عن مدينة الرباط كتبه الشيخ طه الولي .. والثاني بحث عن القاضي عياض كتبه الاستاذ عبد الله كنون .

« والمجلة العربية » التي يرأس تحريرها الدكتور منير العجلاني تمتاز باخراجها الممتاز وتنوع موادها ودسامتها . وقد بدأت صدورها في بيروت واضطرتها ظروف لبنان للانتقال الى الرياض ، وتفصل بين عدديها الاول والثاني مدة سنة .

● اصدرت كلية الشريعة بالرياض كتابا لمحمد ابن عبد العزيز السديس عن « الدراسات القرآنية المعاصرة » قدم له الشيخ مناع القطان .

● « الشوارد » كتاب جديد من منشورات دار اليمامة بالرياض اصدره عبد الله بن خميس .

**العراق :**

● صدر للشاعر فاضل العزاوي ديوان شعر جديد بعنوان : « الشجرة الشرقية » . وصدرت له قبل ذلك رواية بعنوان « القلعة » وهي نسق جديد في الرواية العربية .

**فلسطيـــــن المحتلـــــة :**

● « الحركة الوطنية الفلسطينية » كتاب جديد للمؤرخ عادل حسن غنيم . يستعرض مختلف اطوار الكفاح العسكري والسياسي الذي خاضه الشعب الفلسطيني من أجل حقه الطبيعي في الحرية والاستقلال .

**فـــرنســـا :**

● ظهرت ترجمة فرنسية لكتاب الاستاذ مالك ابن نبي « الظاهرة القرآنية » باشراف اتحاد الطلبة المسلمين في فرنسا .

● « القرآن والعلم » كتاب للمفكر الفرنسي موريس بوكاي ظهر مؤخرا بباريس يؤكد فيه مؤلفه أن القرآن هو الكتاب الوحيد في العالم الذي لا يتعارض مع العقل والعلم .

● وزير الخارجية الفرنسي السابق ميشيل جوبير اصدر كتابا عن مشاهير النساء في العالم بعنوان « رسائل مفتوحة الى النساء اللائي لعبن دورا قياديا في بلادهن » . بيعت 50 الف نسخة من الكتاب في اليوم الاول من صدوره .

**الاتحـــاد السوفياتـــي :**

● صدر في موسكو كتاب بعنوان « الاسلام » قال عنه مراسل مجلة ( الاقلام ) العراقية **« انه ما ان طرح في السوق حتى نفدت نسخه جميعا وأعيد طبعه ثانيا بمائة الف نسخة »** .

يقع الكتاب في 128 صفحة ونشرته دار بوليتيجسكايا ليتراتورا ( الآداب السياسية ) ، ويحتوي على تسعة فصول تتناول ظهور وانتشار الاسلام ودراسة واقع الاسلام اليوم اضافة الى مسح تاريخي وسياسي للواقع الاجتماعي الذي رافق ظهور الاسلام .